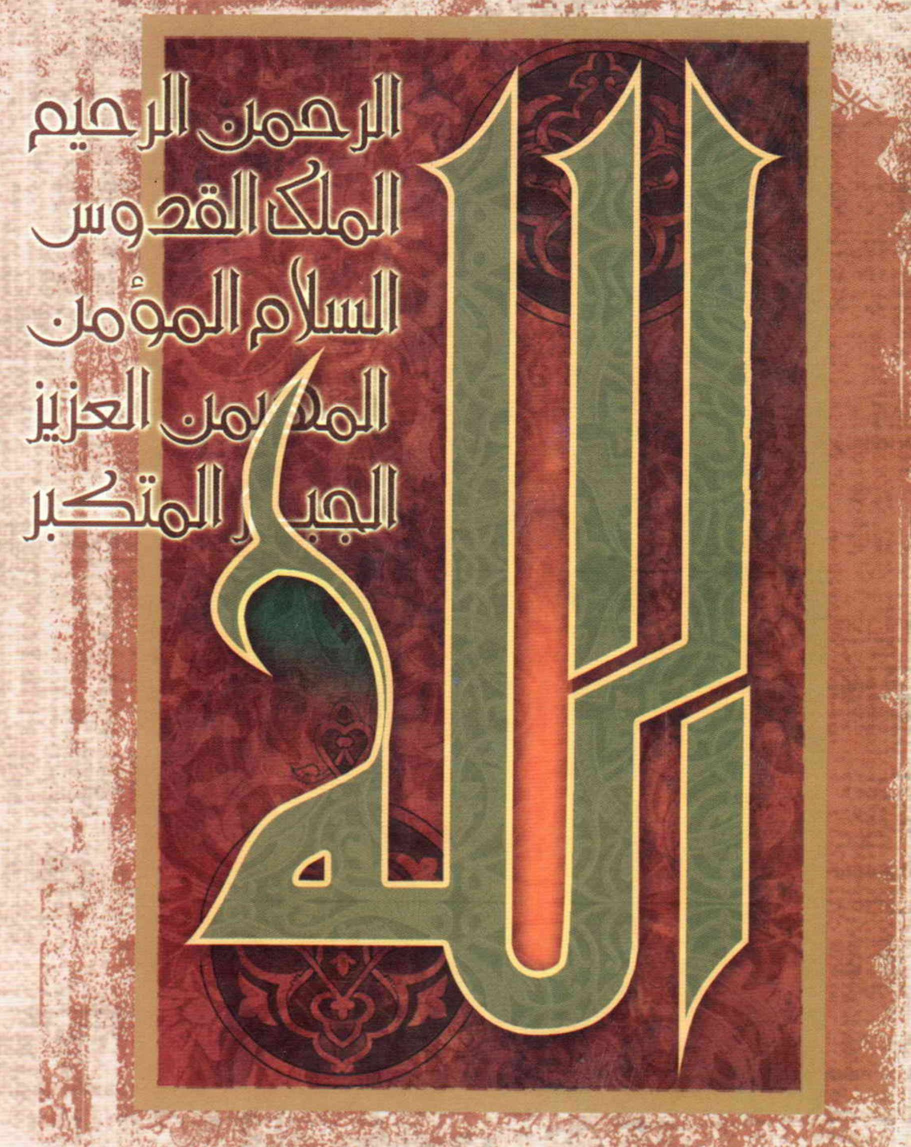
# لهُ دعوةُ الحقّ






الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني

مكتبة فدك





له دعوة الحق



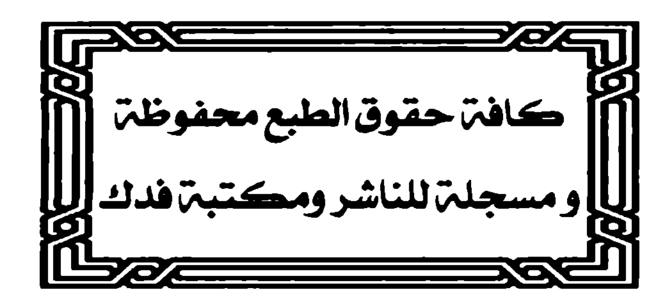

تأليف

الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني

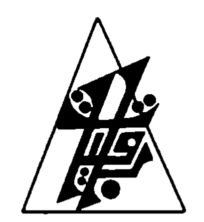


# له دعوة الحق

الشيخ عبد العظيم المهتدى البحراني







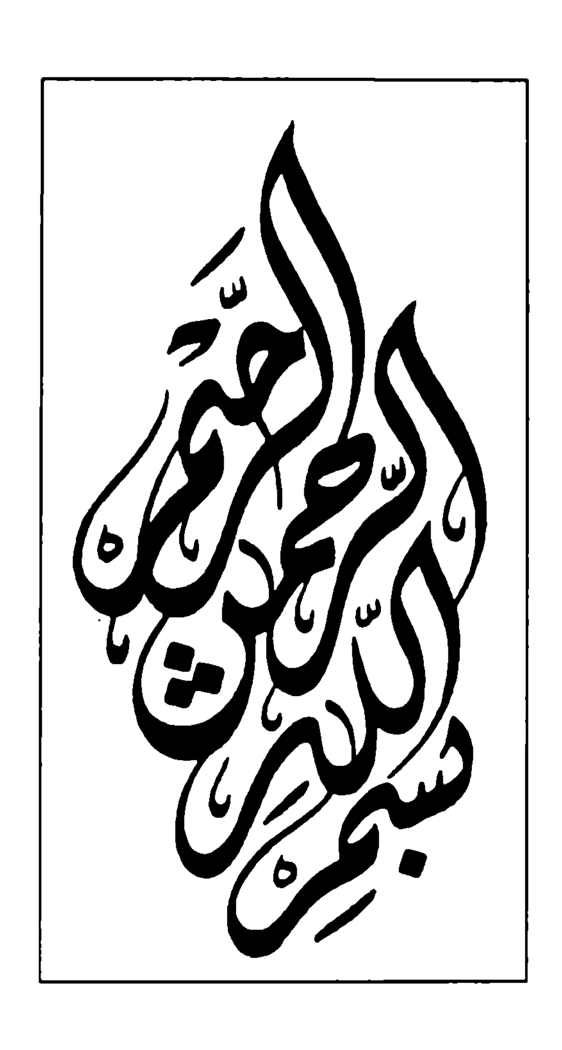

- الناشر: باقيات
- الكمية: ١٠٠٠ نسخة
- المطبعة: وفا
- الطبعة: الاولى
- تاريخ الطبع: ٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩هـ.ق
- القطع وعدد الصفحات: وزيري ـ ٢٢٤ صفحة

شابك: ١-٠٥-٥١٢٦-٦٠٠-٩٧٨

عنوان الناشر: ايران ـ قم ـ شارع معلم ـ رقم ٤٤ ـ تلفون: ٧٧٤٣٩٠٠

مركز التوزيع: ايران ـ قم ـ مجمع الإمام المهدي (عج) ـ الطابق الأرضي
رقم ١١٦،١١٧ ـ تلفون: ٧٨٣٣٦٢٤

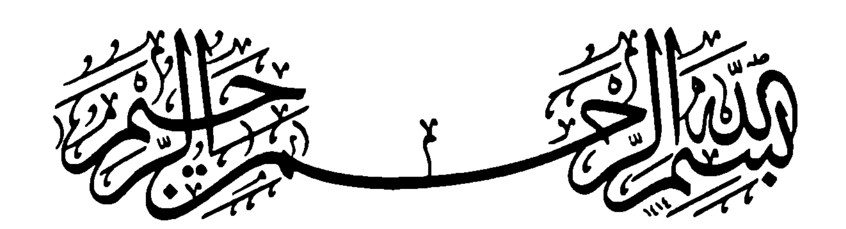




بسم الله الرحمن الرحيم

«الْحَمْدُ للهِ الَّـذي لَا مَـقْنُوطٌ مِـنْ رَحْـمَتِهِ، وَلَا مَـخْلُوٌّ مِـنْ نِـعْمَتِهِ، وَلَا مُؤْيَسٌ مِنْ رَوْحِهِ، وَلَا مُسْتَنْكِفٌ عَنْ عِبادَتِهِ...».

«اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ كَما هَدَيْتَنا بِهِ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ كَما اسْتَنْقَذْتَنا بِهِ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاةً تَشْفَعُ لَنا يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَوْمَ الْفاقَةِ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسيرٌ».

# كلمة الناشر



وصلى الله على محمد و آله الطاهرين المعصومين

إن الغاية التي خلق الله تعالى لأجلها الإنسان علىٰ وجه هذه البسيطة هى عبادته، وجعل منها منهجاً يحفظ له مسيرة حياته بين باقي المخلوقات.

فالعبادة منهج، و المنهج مرجعٌ يرجع إليه الإنسان في تسيير أموره الحياتيّة والعبادية، و هذا هو المسمّىٰ بالدين.

إن الدين و التديّن بأي مفهوم كان هو المنهج السليم لحفظ المسيرة الحياتيّة التي لأجلها خُلق الإنسان.

ولقد جعل الله تعالىٰ ضوابط و قوانين واجبة لهذا المنهج يتحتّم على الإنسان تعلّمها وإيجادها، كما حثّه علىٰ الإلتزام بأمور والابتعاد عن أُخرى، و كثيرة هي هذه الأمور، وقد تناولها أو أكثرها علماؤنا و سطّروا الكتب و فصّلوا و أسهبوا في التذكير بها في مواضيع الأخلاق و التربية و السلوك الأخلاقي و العبادي.

وإن هذا الكتاب واحد من تلك الكتب التي تُعنىٰ بهذا الموضوع، ففيه يبحث المؤلف

مواضيع غاية فى الأهمية، منها:

أن العبادة هى غايه الحياة، ويدرس الإبتلاء والمشاكل التي تصيب المرء، وكيف يمكن لهذا الإنسان أن ينأىٰ بنفسه عمّا نهى الله عنه، حتى يتمكّن من الوصول، ويحضىٰ بحضور عند الساحة الإلهية بقلب سليم، و يعيش مع من حوله من عائلة ومجتمع وأفراد بما يرضي الله تعالى و يجعله نعم الخليفة على هذه الأرض.

ولما لهذه المواضيع من الفوائد الجمّة و المعلومات القيّمة، فقدارتأت مكتبة فدك طباعته، وتقديمه إلى قرائها الكرام، شاكرة للمؤلف جهده داعين الله لنا و له و للجميع التوفيق و السداد.



﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِـهِ لَا يَسْـتَجِيبُونَ لَـهُم

بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ

وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ

وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

الرعد ١٣: ١٤

عن نبيّنا الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله :

**«كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النّاسِ ، وكُنْ قَنِعاً تَكُنْ أَشْكَرَ النّاسِ ، وَأَحِبَّ لِلنّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفسِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وَأَحْسِنْ مُجاوَرَةَ مَنْ جاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً ، وَأَقِلَّ الضِّحْكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضِّحْكِ تُميتُ الْقَلْبَ»**

نهج الفصاحة : **٦٢٣**، باب العين

وعن وليّنا الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام :

**«رَحِمَ اللهُ امْرءاً سَمِعَ حُكْماً فَوَعىٰ ، وَدُعِيَ إِلَىٰ رَشادٍ فَدَنا ، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هادٍ فَنَجا. راقَبَ رَبَّهُ ، وَخافَ ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ خالِصاً ، وَعَمِلَ صالِحاً. اكْتَسَبَ مَذْخُوراً ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً ، وَرَمَىٰ غَرَضاً ، وَأَحْرَزَ عِوَضاً. كابَرَ هَواهُ ، وَكَذَّبَ مُناهُ. جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ ، وَالتَّقْوىٰ عُدَّةَ وَفاتِهِ. رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرّاءَ ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضاءَ. اغْتَنَمَ الْمَهَلَ ، وَبادَرَ الْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ».**

نهج البلاغة : **١ : ١٢٥ و ١٢٦**

# دعاء الكتاب

اللّٰهُمَّ اجْعَلِ النُّورَ في بَصَري،

وَالْبَصيرَةَ في ديني،

وَالْيَقينَ في قَلْبي،

وَالْإِخْلَاصَ في عَمَلي،

وَالسَّلَامَةَ في نَفْسي،

وَالسَّعَةَ في رِزْقي،

وَالشُّكْرَ لَكَ أَبَداً ما أَبْقَيْتَني

## شعار المؤلّف

قد تقرأ الكتابَ الجيّد مرّة ،

ولكنّك سوف تتحدّث عنه مرّات ،

وتعمل به طول الحياة

# الإهداء

حينما تفكّر لمن تقدّم هديّتك.. تبحث عن أغلى وجود في الكائنات المخلوقة.. ولن تجد غير محمّد بن عبدالله وأهل بيته أحداً على الإطلاق..

ولذا كانت هذه السطور المتواضعة هديّتي التي أُقـدّمها إليهم (صلوات الله عليهم أجمعين)..

لأنّهم عقل الدين.. وحياة العبادة.. وهداة الذِّكْر..

وتقاة الصلاة.. ونجاة المسجد.. ودعاة الأخلاق..

وإنّهم هُمُ التديُّن والغاية والسبيل

والمعراج والمحراب والرسالة..

ومن الله أرجو القبول

أقلّ خدّام الحقّ

قرين دمعة الانتظار

المهتدي

# المقدّمة

لماذا التعقُّل، والعبادة، وذكر الله، والصلاة، والمسجد، والأخلاق؟

ستّة أسئلة أساسيّة، يهتمّ هذا الكتاب بالإجابة عليها في ستّة فصول، نخاطب من خلالها الشباب في الدرجة الأُولى.. وإليكم عناوين الفصول بمنطلقاتها القرآنيّة:

الفصل الأوّل: تفسيراً لآيات العقل بجميع مشتقّاتها القرآنيّة الـ(٤٩)، نحاول ابتداءاً شرح معنى التعقّل والتشجيع على الأخذ بمفتاح العقل للدخول إلى فهم الأُمور، ونمهّد بذلك إلى التأسيس للتديُّن المعقول، ونبذ التطرّف المصبوغ بالدين المصطنع!

الفصل الثاني: انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[1] نجيب على أسئلة الشباب حول معنى العبادة، وفلسفة الوجود، وهدفيّة الخِلْقة، ومنتهى الحياة، وقضيّة المعاد، ونروم من خلالها زرع التديُّن في النفوس، وبيان العلاقة الإيجابيّة بين الدين والدنيا، وإمكانيّة الجمع بين الإلتزام الديني والتحرّك في معترك المجتمع، ذلك لو عرف الشباب المفاهيم التي سنبيّنها، وقرّروا اتّخاذها منهاجاً عمليّاً لحياتهم حتّى يجعلوا دنياهم مزرعة لآخرتهم، وحصاداً لهم في الجنّة.

الفصل الثالث: استجابة لقوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا**

---

(١) الذاريات ٥١: ٥٦.

تكفُرُونِ ﴾[١] أوضحنا المعنى الصحيح لذِكْر الله وفوائده، وآثاره على هداية الإنسان، وسعادة الأُسرة، ومسيرة المجتمعات نحو الخير والعدالة.

الفصل الرابع: عملاً بالآية الشريفة: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾[٢] استعرضنا مجموعة روايات عن النبيّ محمّد وعترته الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) في وجوب الصلاة وآثارها الدنيويّة والأُخرويّة.

الفصل الخامس: بناءً على الآية الكريمة: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٣] نقلنا أحاديث في أهمّيّة المساجد، وفوائدها الفرديّة والأُسريّة والاجتماعيّة، وثواب بناء المساجد، وآداب التعامل معها، وحقّ المسجد على جيرانه، وأجر المشي إلى المساجد، والجلوس فيها للعبادة أو بانتظار صلاة الجماعة، وشكوى المسجد، وعالم الدين، والمصحف الشريف يوم القيامة، ممّن يتجاهله، وأجر الصلاة في المسجد، وصلاة الجماعة خاصّة، وشروط إمام الجماعة في فتاوى المراجع.

الفصل السادس: تفعيلاً لآيات الأخلاق الحسنة، مثل قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٤] أرسينا لأنفسنا ـ ولكلّ من يحبّ للأخلاق أن تحيا في سلوك الإنسان والأُسرة والمجتمع ـ رسالة في فضائلها المهجورة تذكيراً لمن تنفعه الذكرى، وكانت الأحاديث القدسيّة وكلمات النبيّ وأهل بيته ودعاء

---

(١) البقرة ٢: ١٥٢.

(٢) النساء ٤: ١٠٣.

(٣) التوبة ٩: ١٠٨.

(٤) النحل ١٦: ١٢٥.

مكارم الأخلاق محور هذه الرسالة .

هذه هي الخطوط العامّة للكتاب وفصوله الستّة ، فهل هو كتاب يمكن تصنيفه في العقائد ؟ أم في الأخلاق ؟ أم في قضيّة اجتماعيّة ؟ أم في أزمة تربويّة ؟ أم يستهدف معالجات متعدّدة الجوانب ؟

سؤال وجّهه إليَّ صهري العزيز فضيلة الشيخ محمود النجّار ( أدام الله توفيقه ) بعد ما أعطيته الكتاب ليراجعه ويعطيني ملاحظاته القيّمة مشكوراً .

فأجبتُه : أميل إلى أن يُصنَّف كتابي هذا في صنف الكتب التربويّة ذات الوعظ الهادف ، والنصيحة الواجبة على كلّ مسلم لأخيه المسلم ، ولا مانع ، ليكن ذا استهدافات متعدّدة الجوانب .

وبقي شيء لا بدّ من التذكير به في هذه المقدّمة امتثالاً لقول ربّنا عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ذلك هو أنّ العلم بالشيء خير من الجهل به ، لا سيّما إذا كان الشيء يرتبط بالإنسان مباشرة وغير مباشرة .

فكم يحصل للفرد أن يكتشف ما ينفعه ، ثمّ يقول في وقت متأخّر : يا ليتني كنتُ أعلم هذا من قبل !

وكم من الفرص تذبُل في الانتظار وتموت كمداً ولن تعود أبداً ، كما يموت الواحد منّا ، ولن يعود إلى الحياة ، ولن ينفعه ندمه بعد موته شيئاً .

فلكي لا تكون من الذين يستهزؤون من جهود العاملين ، وممّن يقتلون الفرص ، ويكتشفون الكفاءات بعد وأدها ، أو ممّن يحضرون جنائز ضحاياهم غداً برؤوس منكوسة ! فإنّه لا بدّ من الشجاعة في طلب علم ما لا تعلم ، أو تصحيح ما تعلّمته جهلاً وحسبته من العلم !

---

(١) الأنعام ٦ : ٥٠ .

إنّ هذه السطور ـ وغيرها ممّا كتبناه سابقاً ، وما سوف نكتبه لاحقاً بإذن الله ـ لا نريد منها إلّا خيراً للدين والعباد والبلاد ، وأجراً لآخرتنا التي نأتيها فرادى ، ولا ينفعنا فيها شيء من المال ، ولا أحد من البنون والعيال ، وحده الذي ينفع فيها هو القلب السليم من كلّ رياءٍ وغلٍّ وغشٍّ وحقدٍ وحسدٍ .

أيّها القارئ :

اعلم أنّ الفرد الشجاع ـ مثلك ـ حينما يتجاوز هذه العقبات ليصل إلى معرفة الحقائق بلا وسائط ، فيقرأ الحقّ ولا يخاف في الله لومة لائم ، فإنّما يعني هذا أنّه قد أخذ مفتاح الخير بيده ليفتح على نفسه وغيره المزيد من الخير ، على عكس ما لو أُصرّ فردٌ أن يبقى في سجن الذات ، وظلام الجهل ، وحصار التعصّب ، وسلاسل التخلّف ، وأسْر الشهوات . .

كنّا ولا زلنا نحاول ونسعى بكلّ ما يوفّقنا الله إليه ـ وقبل نفاد العمر ومغادرة الحياة الفانية ـ أن نسير في الاتّجاه التحرّري وفق المرسوم الإلٰهي الحقّ كلّما عرفناه ، دون أن تكبّلنا العادات والتراكمات السلبيّة ، أو نخضع للعقليّات الموروثة بها . .

ولا أسألك على هذا الجهد أجراً إلّا ساعة واحدة من وقتك فقط على أن تتجرّد فيها عن ذاتك ـ إنْ كنتَ من الذاتيين ! ـ حتّى تقرأني بحياد ، ثمّ تتفكّر بانحياز إلى الله الواحد الأحد . . فترقى بذلك مستوى الاستحقاق لهذا الخطاب القرآني الذي يقول : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰـئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾(١) .

هذا ما لزمت الإشارة إليه ، ونحن في العبور من المقدّمة إلى رحاب الكتاب . . شاكرين لله سبحانه على جميع نِعمه ، ورافعين إليه عزّ وجلّ أيدينا متضرّعين في زمن

(١) الزمر ٣٩ : ١٧ و ١٨ .

الفتن والبلوى: **اللّٰهُمّ إِنّا نَشْكُوا إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنا، وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا.**

**فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعِنّا عَلىٰ ذٰلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ، وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُناها، وَعافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُناها.**

**اللّٰهُمّ ما عَرَّفْتَنا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْناهُ، وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ**

ومُبتهلين إليه أيضاً بدعاء الفرَج لمولانا المنقذ الموعود.. القائم من آل محمّد عليهم السلام:
**اللّٰهُمّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آبائِهِ، فِي هٰذِهِ السّاعَةِ، وَفِي كُلِّ ساعَةٍ، وَلِيّاً وَحافِظاً، وَقائِداً وناصِراً، وَدَليلاً وَعَيْناً، حَتّىٰ تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً، وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلاً».**

**وَهَبْ لَنا مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَدُعائِهِ وَخَيْرِهِ ما نَنالُ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَفَوْزاً عِنْدَكَ يا كَريمُ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.**

**الفقير إلى رحمة ربّه الغنيّ:**
**عبدالعظيم المهتدي البحراني**
**٢٠ جمادى الثانية ١٤٢٨**
ذكرى مولد الصدّيقة الكبرى
فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين
بنت النبيّ محمّد سيّد المرسلين



# الفصل الأوّل

# التديّن المعقول ونبذ التطرّف



قال الله عزّ وجلّ:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

سورة الحجّ ٢٢: ٤٦

❁ العقل نعمة.. والمعقوليّة حالة في الإنسان يفرزها عقله إذا كان موزوناً بميزان الفطرة، ونقاء الذات، وطيب السريرة.

تتركّب هذه الحالة من تفعيلٍ إيجابي للعقل الإنساني بما يضع صاحبه على نهج العقلاء في الاستجابة السريعة لنداء العقل والفطرة.. والتطابق التلقائي مع صوت الضمير النابض من داخله بمعايير الحقّ.. ممّا يجعله سهل القبول بأيّ فكرة من أيّ جهة ما دامت منسجمة مع سُنّة الكون، وضوابط الخير والفضيلة، وشروط الحياة الطيّبة.

❁ بهذا، فالمعقوليّة تكون في أساس بنائها قائمة على العقل الأقرب إلى الفطرة، والأكثر قوّة بالوجدان والضمير.. دون الذي تلوّث بأهواء النفس الأمّارة بالسوء، واتّبع المتلوّثين في أهوائهم.. فذلك هو العقل الشبيه المتلبّس بشخصيّة العقل النزيه..

❁ وبينما يتّصف الرأي أو السلوك باللّامعقول انطلاقاً من العقل الشبيه تراهما يتّصفان بالمعقول انطلاقاً من العقل النزيه، ليكون هذا هو المفتاح الأوّل للتفكير السليم، والاختيار الصحيح، سواءً حينما يبدع بنفسه نتيجة الغور والتأمّل، أو حينما يستمع أو يقرأ أمراً معقولاً ينشرح له صدره، فمثل هذا الإنسان لا يتمرّد ولا يتعصّب ولا يتكابر على الحقّ، ولا يعادي أهله..

❁ هذه أهمّيّة العقل الذي لو زال (بالجنون، أو الخمر، أو غلبة الشهوات وسُكْر الجنس)، فستقفل على الإنسان جميع أبواب المعرفة، واختيار الخير

والصلاح ، ومع ضعفه يقفل الإنسان على نفسه بعضها حسب درجة الضعف.. وبالتالي لا تتّصف آراؤه ومواقفه بالمعقوليّة لعدم وجود العقل في مصدر قيادته وقراره.

يولد الإنسان الطبيعي وله عقل يتحرّك به في رحاب المعقوليّة بتوازن وسعادة وهناء.. وأمّا الذين يولدون من غير عقل أو يعترضهم الجنون (ويسمّون مجانين)، أو يولدون بضعف عقلي (ويسمّون بُلهاء)، فهؤلاء قد أعذرهم خالقهم من أيّ تكليف ومسؤوليّة ومحاسبة ، وأهمّ فوائدهم في الحياة هي العبرة لغيرهم من العقلاء ليعرفوا الفرق وقيمة العقل والتعقّل.

❁ ولكنّ البشر في الغالب عاش ضعفاً عقليّاً من نوع آخر ، وهو ما نلاحظه على الصعيد المنهجي لمعرفة جوهر الحقّ ، وآليات البحث عن الأحسن من مصاديقه ، ممّا جعله يوقع نفسه في أزمات يستحقّ أن يضحك عليه المجانين والبلهاء !!كان هذا ولا يزال مصدر معاناة الإنسانيّة على مرّ التاريخ.

❁ ومن أدلّة جنون البشر واقعه الذي ينزف دماً منذ قتل قابيل أخاه هابيل ، وكذلك تفعل سلالة الأوّل بسلالة الثاني ، وتفعل ببعضها إلى يومنا.. هذا ما عدا الظلم ، والتخبّط ، والجاهليّة ، والطيش ، وقوانين الغابات التي حكم بها البشر بعضه بعضاً منذ العصور القديمة ، وتطوّرت في شكلها مع تطوّر الوسائل..

فكانت البشريّة في أكثر حالاتها غير عاقلة السيرة ، تظلم نفسها بنفسها ، وتأخذها العزّة بالإثم ، وهي تحسب نفسها قمّة في العقل والعقلائيّة والمعقوليّة ، و...

**﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾**[1].

(١) الكهف ١٨ : ١٠٣ و ١٠٤.

وما يحدث في عصرنا من حروب ، وسباق تسلّح ، وقوانين جائرة على الشعوب المستضعفة رغم التقدّم العلمي الهائل ، وما يدّعيه الإنسان من حضاريّة وديمقراطيّة ، يثبت جليّاً كم للعقل المنقطع عن الوحي من ضعفٍ خطير أمام الهوى عند هؤلاء !

وهل من العقل حرق مليارات القمح للحفاظ على سعره في الأسواق العالميّة ، ويموت إلى جانبه آلاف البشر في أفريقيا جوعاً ، ويعاني الملايين من أزمات غذائيّة في العالم ؟ !

وهل العالم يسير نحو سعادة البشريّة ، وتعميم العدالة ـ ولو نسبيّاً ـ وهو مصاب بحُمّى الصراعات الدمويّة ، والثأر ، ونار الغضب ، والانتقام ، والتشفّي ، وتوظيف الطاقات والثروات ، وقلب الموازين لمزيد من الكراهيّات والعداوات ؟ !

وهل العالم في سلامة من عقله وهو نائم على زرّ القنابل النوويّة ، ويعالج الإرهاب بالإرهاب ؟ !

وعالمنا الإسلامي . . خلافات قوميّة ، وأُخرى سياسيّة ، وثالثة مذهبيّة ، ورابعة اقتصاديّة ، وخامسة عوائليّة ، في دوائر وحلقات بحجم الحكومات إلى حجم البيوتات والأفراد والأطفال ، وكلمات واهتمامات وعادات وقصص ومواقف وأشكال وألبسة تُبكي ذوي الحِجى ، وتُضحِك الثكلى ، وكأنّ العقل قد انقرض وانتهى ، والضمير ولّى بلا رُجْعى . .

لا نستطيع وصف هذا الواقع الجنوني ، والمظاهر الحمقاويّة ، إلّا بما وصفها القرآن الكريم حينما قال عن الأكثريّة بأنّهم **﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾** ، **﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** ، **﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** ، **﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾** ، **﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾** ، **﴿ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾** . . .

ومن هنا كانت ظرافة عقلاء المجانين في التاريخ إشارات للتنبيه على الخلل

في مسيرة الأكثريّة المسترسلة مع المرسوم.. كالقطيع بيد الذئاب البشريّة الحاذقة في الشيطنة، بل إنّهم قد أراحوا الشيطان من مهامّه!!

ينقل في كتب التاريخ أن بهلول العاقل كان جالساً مع هارون الرشيد، وجمع من وزرائه، فأرادوا أن يضحكوا عليه، فقال له هارون: كم تقدّر عدد مجانين البلاد يا بهلول؟

فأجابه بلا تكلّف: هذا صعبٌ لكثرتهم يا هارون، أمّا لو طلبتَ منّي أن أُعدّد لك العقلاء فهو سهلٌ جدّاً!

فقال له أحد الوزراء مستهزءاً: إنّ الخليفة يريد التفضّل عليك بأن ينصّبك وزيراً على مجانين البلاد!

فأجابه بهلول بسرعة البداهة: حسناً، فلقد أمّرتك من الآن أن تخضع لأوامري.

فانفجر الجالسون بالضحك على الوزير المسكين.

❃ والسؤال الذي نحاول رسم الإجابة عليه لتنشيط عقول الشباب خاصّة يدور حول التديُّن المعقول، فهل هناك تديّن غير معقول؟

لا بدّ من تعريف موجز للدين ودوره في حياة الإنسان، ثمّ مفهوم العقل في الإسلام، ثمّ ننظر إلى حجم التطابق بين النظريّة والواقع الذي يعيشه (المتديّنون) ثمّ المطلوب أن يعيشوه.

❃ فما هو الدين وما هو دوره؟

الدين هو مجموعة اعتقادات وأعمال مؤطّرة قد صاغها خالق الإنسان ربّ العالمين، تهدف إلى تحريك الرحمة والمحبّة والقسط والعدالة ولغة الحوار في علاقات الإنسان بالإنسان والمجتمعات.

فكلّ ما يتعارض مع هذه المفاهيم وهدفها ودورها، يكون متعارضاً مع الدين،

وبالتالي لم يكن من الدين ما يمارسه البعض باسمه في تحريك قضايا العنف والبغضاء والظلم وسفك الدماء وإرهاق الناس..

❃ وعلى ضوئه يتوضّح مفهوم العقل الإسلامي..

إنّه القوّة الكامنة في داخل الإنسان لتكتشف من خلالها المفردات الميدانيّة لدعوات الدين وأهدافه كي يتمكّن الدين الحقيقي من أخذ الدور الأساس في الحياة، والإمساك بزمام الحركة الإنسانيّة إلى مصداقيّاتها.. وتسمّى هذه العلميّة بمجموعها: التعقُّل.

❃ والآن نفحص الواقع الديني لدى دعاته، فهل يلتقي بجوهر الدين الرحماني ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1]؟

الجواب: اعلم أنّ المتديّنين ـ بعد خلط الأوراق ـ ظهروا على ثلاثة أنماط:

١ ـ مَن عرف الدين عنفاً ويمارسه بالعنف، ويسمّيه جهاداً، ويحسب نفسه مدعوّاً على مائدة في الجنّة مع رسول الله ﷺ، وبطاقة دخوله (الشهادة) بتفجير أشلائه مع أشلاء العشرات والمئات من الناس، وإنّه على عدد قطع الرؤوس ترتفع درجاته في الجنّة.

نتصوّر هؤلاء قد ذبحوا ضمائرهم أوّلاً، وألغوا عقولهم ثانياً، وعطّلوا مسؤوليّة التفكير، وتمسّكوا ببعض قشور الدين، ولم يعرفوا كبار المستثمرين من وراء دخولهم إلى النار وبئس المصير، فهم ضحايا لمن يموّلون (جهادهم) من فوق بروج عاتية..

ورد أنّ بعض الصحابة قد أثنى بحضرة الرسول الأعظم ﷺ على رجل حتّى ذكروا جميع خصال الخير، فقال رسول الله ﷺ: **كيف عقل الرجل؟**

---

(١) الأنبياء ٢١: ١٠٧.

فقالوا: يا رسول الله، نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟!

فقال ﷺ: **إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات، وينالون الزلفى من ربّهم على قدر عقولهم»**[١].

٢ـ مَن عرف الدين تساهلات مزاجيّة، يوزّع الفتاوى حسب مشتهياته النفسيّة، يحلّل الحرام، ويحرّم الحلال، ويميّع المعتقدات، ويسفّه السلف الصالح، ويجرأ على تحوير الآيات القرآنيّة وأحاديث نبيّ الإسلام وأهل بيته الكرام.. ليُرضي قِردَة اليهود، ومَرَدة النصارى، وفسقة المسلمين، وتكون له وجهة بين الناس، ووسائل الإعلام، ويسمّى فعله تحديثاً للدين، ولا ندري مَن هو الإلـه الذي فوّض إليه هذه المهمّة الحداثويّة ليدوس بها في بطن الدين باسم العلميّة والحرّيّة!!

قال النبيّ الأكرم ﷺ: «**إنّما أتخوّف على أُمّتي من بعدي ثلاث خصال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتّبعوا زلّة عالِم، أو يظهر فيهم المال حتّى أنّهم يطغوا ويبطروا**»[٢].

وقال الإمام عليّ عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: «**يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، إنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُها أَوْعاها، فَاحْفَظْ عَنّي مَا أَقُولُ لَكَ:**

**النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعالِمٌ رَبّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجاةٍ، وَهَمَجٌ رَعاعٌ أَتْباعُ كُلِّ ناعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ.**

**يَا كُمَيْلُ، إنَّ ها هُنَا لَعِلْماً جَمّاً** ـ وأشار إلى صدره ـ **لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَىٰ أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيا، وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عِبادِهِ،**

---

(١) تحف العقول: ٥٤.

(٢) الخصال: ١/١٦٤، الحديث ٢١٦.

**وَبِحُجَجِهِ عَلَىٰ أَوْلِيائِهِ؛ أَوْ مُنْقاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ في أَحْنائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ في قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ...**

**أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالادِّخارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ في شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِما الْأَنْعامُ السَّائِمَةُ!»**[1].

٣ـ مَن عرف الدين بالدين، وحاول متواضعاً لروح الدين أن يجعل نفسه خادماً مهما تقدّم في علمه ومكانته بين الناس، فهو التلميذ بين يدي النصوص القرآنيّة، وما ثبت وروده عن رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

هذا على الصعيد المعرفي، وهو على الصعيد العملي يجهد نفسه أن يكون سلميّاً.. أخلاقيّاً.. معتدلاً..متوازناً.. عقلانيّاً.. متسامحاً.. مبتسماً.. يعبد الله بإخلاص النيّة، يحذر من التجاوز على حقوق الناس، يسالم ما كان السلم يصبّ فيهذا الاتّجاه، وإذا حوصر دافع عن دين الله الحقّ إلى حدّ الشهادة، ولن يعطي نفسه ذليلاً، إنّه بشكلٍ عام ينظّم بوصلة حياته على جهة الآخرة كيلا يخسر الجنّة ورضوان الله الأكبر..

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه، فقال: يا رسول الله، ما الدّين؟

فقال: **حُسْنُ الخُلْق**.

ثمّ أتاه من قِبل يمينه، فقال: يا رسول الله، ما الدّين؟

فقال: **حُسْنُ الخُلْق**.

ثمّ أتاه مِن قِبل شماله، فقال: ما الدّين؟

فقال: **حُسْنُ الخُلْق**.

ثمّ أتاه من ورائه، فقال: ما الدّين؟

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٤/٣٥ ـ ٣٧.

فالتفت إليه فقال: **أما تفْقَه، هو أنْ لَا تغْضَب**(١).

وللإمام الصادق عليه السلام شرحٌ لحديث جدّه صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ صاحب الدين فكّر فعلته السكينة، واستكان فتواضع، وقنع فاستغنى، ورضي بما أُعطي، وانفرد فكُفِيَ الإخوان، ورفض الشهوات فصار حرّاً، وخلع الدنيا فتحامى الشرور، وأطرح الحسد فظهرت المحبّة، ولم يخف الناس فلم يخفهم، ولم يذنب إليهم فسلم منهم، وسخت نفسه عن كلّ شيء ففاز واستكمل الفضل، وأبصر العافية فأمن الندامة**»(٢).

❁ وهكذا.. ففي الوقت الذي يتسبّب النمط الأوّل في تنفير الناس ـ والشباب خاصّة ـ عن الدين، ترى النمط الثاني يتسبّب في تمييع الدين بشكل فاضح، بينما يأتي النمط الثالث ليكون صورة الدين الأقرب إلى العقل والأخلاق والضمير والعزّة والكرامة، والوسطيّة والانفتاح على الإنسانيّة بكلّ منافذها.

❁ إنّنا نسعى إلى التديُّن بهذا المفهوم العقلائي، والروح الأخلاقيّة، هدفاً وأداةً وبياناً ودعوةً.. ونعتقد أنّ الحرب على هذا الدين وعلى هذا النوع من التديُّن يقودها المتضرّرون من تقدّمه بين الناس وفئة الشباب..

ومن صور الحرب على هذا الدين والتديُّن ذرّ الرماد في عيون الشباب لكيلا يروا الحقيقة، وهذا الرماد له ألوان!

**منها**: إظهار دين اللّاعنف والرحمة في صورة الإرهابيّين وأشكالهم المقزّزة!

**ومنها**: إظهار دين المحبّة والأخلاق في صورة الخلافات بين المتديّنين والبذاءات المتبادلة.

**ومنها**: إظهار دين الإيثار والعطاء والعطف والكرم في صورة البخل وقطع

(١) بحار الأنوار: ٣٩٣/٦٨، الحديث ٦٣.

(٢) أمالي المفيد: ٥٢، الحديث ١٤. بحار الأنوار: ٥٣/٢، الحديث ٢٣.

الأرزاق والصراعات الماليّة.

**ومنها** : إظهار دين العفاف والغيرة والشرف في صورة الزنا والتبرّج والسفور والعلاقات الرخيصة المبتذلة.

**ومنها** : إظهار دين التقوى والإخلاص لله والهدفيّة الأُخرويّة في صورة أغراض دنيويّة ونزاعات على أتفه القضايا التي سوف يتركها الإنسان إلى قبره صفر اليدين!

**ومنها** : إظهار دين اللقاء، وقراءة الغير، والحوار، والتفاهم في صورة المقاطعة والتدابر وسحق الآخر.

كانت هذه الحرب على دين العقل والتديُّن المعقول منذ قرون، ولا زالت وسوف تستمرّ إلى آخر يوم الأرض..

❃ وتقوم استراتيجيّة هذه الحرب على تضعيف العقل لدى الشباب كيلا يقدروا على التفكير في الصحيح والخطأ، وشلّ إرادتهم في الاختيار.. لأنّ المحاربين للدين يريدون شباباً استهلاكيّين يلهون ويلعبون ويأكلون ويمارسون الشهوات ويتعبون وينامون ويتصارعون مع غيرهم على حَلَبة هذه الدنيا.. وليكن جانبٌ من هذا الصراع الدنيوي باسم الدين ما دام الهدف تدميره بأيدي المغفّلين من دعاته..

المهمّ في منظور العدوّ أن لا يفهم الشباب حقيقة الدين.. ولا يقرأوا من أجلها.. ولا يطوّروا أنفسهم.. ولا ينظروا إلى مستقبل أُمّتهم.. ولا يلتزموا بدينٍ قوامه المعايير الإلٰهيّة المغروسة في أعماق الفطرة: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١].

---

(١) الروم ٣٠: ٣٠.

الشيطان ومَن والاه يريدون أن يوقعوا العداوة بين المسلمين بتأجيج فتنة الاختلافات ، ومنها جدل ( الرأي أو الدين ) ، وهي الفتنة التي ورد عنها في الحديث أنّه لمّا نزل قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ** ﴾[(١)] قال رسول الله ﷺ : **إنّ الله قضى الجهاد على المؤمنين في الفتنة بعدي** -إلى أن قال : - **يجاهدون على الإحداث في الدين إذا عملوا بالرأي في الدين ، ولا رأي في الدين ، إنّما الدين من الربّ ، أمره ونهيه** »[(٢)] .

والعدوّ يخطّط أن يجعل شبابنا وبناتنا كالبهائم ، يحملون مشاريعه القريبة الأمد والبعيدة حتّى تنطبق عليهم هذه الآية : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾[(٣)] .

وكم يُشاهد في الشوارع والمحافل الدنيويّة ، وقنوات الطرب والرقص الفاضح ، والأسواق والمجمّعات ، أُناسٌ بصور الإنسان ، وبحركات البهائم السائمة والصبيان الضائعين .. لا هدف ولا فكر ولا فهم للحياة ، ولا منهج ولا تخطيط للانتقال نحو الأفضل حتّى في الجوانب المعيشيّة والعلميّة والجامعيّة .. وكأنّهم أتوا للدنيا من دون غاية ، ويُنقلون إلى المقابر من غير قضيّة ..

❁ والإنسان ما دام عاقلاً لا بدّ له من البحث عن الدين في صورته المعقولة بالقراءة في المفاهيم الوسطيّة ، ونبذ التعصّب ، سواءً للرجال أو الأحزاب والقبائل والدول والمصالح الماديّة ، ثمّ ينطلق في الالتزام بالتديُّن المعقول التزاماً لوجه الله تعالى وحده ، أليس الرسول الأعظم ﷺ قال : « **إنّما يُدرك الخير كلّه بالعقل ، ولا دين**

---

(١) النصر ١١٠ : ١.

(٢) وسائل الشيعة : ٦١/٢٧ ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام .

(٣) الأعراف ٧: ١٧٩.

**لمن لا عقل له »**[١].

وإلى هذا الدين أشار الإمام عليّ عليه السلام في قوله: « **ستٌّ من قواعد الدين: إخلاص اليقين، ونصح المسلمين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، والزهد في الدنيا** »[٢].

وليس دين الأمزجة، ولا دين الجزميّة السياسيّة، ولا دين الأنا وغيري كلّا، ولا دين القتل والتآمر، ولا دين العصبيّة والانغلاق والجهل والحُمق والتخلّف والرجعيّة الوراثيّة..

❋ يرى بعض المراقبين الإسلاميّين أنّ الاستعمار يلعب دوراً أساسيّاً عبر قنواته السرّيّة في دعم جماعات في الأُمّة يروّجون مثل هذا الدين المزيّف لإبعاد الشباب عن ذلك الدين القيّم الذي يدعو إلى تفعيل العقل وتنضيج الفكر، وبلورة شؤون الحياة، واستخدام الحكمة في تنظيم الأولويّات المعيشيّة، ويحثّ على معالجة الجهل بطلب العلم على الدوام « من المهد إلى اللحد » دون تسجيل أيّ تجاوز على الثوابت الشرعيّة والتأصيلات.

وهذه حقيقة أوجبت على حماة الدين الأصيل أن يفضحوا الأفكار المشبوهة التي زادت صولاتها وجولاتها في الآونة الأخيرة من خلال الفضائيّات، وثقافة العولمة، والانفتاح غير المنضبط على الثقافات المتباينة، وصعوبة التمييز بين الحقّ والباطل، وخاصّة للشباب الذين قد يعجز أكثرهم عن التحقيق، وهم تحت قصف الشبهات وانفجار الثورة المعلوماتيّة، وتسارع الأحداث. وباتت ـ كما لا يخفى ـ دعوات باسم الدين واضحة القشريّة والسطحيّة تشكّل تهديداً لا يُستهان به على دين القرآن الكريم وسُنّة الطاهرين، تهديداً يلغي دور العقل، ويحرّم التفكير،

---

(١) تحف العقول: ٣٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨٧.

ويكفر بمعطيات العلوم الإنسانيّة .

تقتل من لا يتّفق معها في رأيها ، لا تعرف من الرحمة والتسامح وبرمجة العمل الديني وفق مبدأ الحكمة والتدرّج والأخلاق والتكليف الشرعي .

دعوات تعتمد الحماقة المضحكة ، والسلوك الحماريّ الهزيل جدّاً ، جعلتْ نفسها مطيّة الأعداء لتشويه صورة الدين الناصعة ، وجاذبية الإسلام في رحمته الواسعة ، وروعته الإنسانيّة ، وتنفير الشباب منه ، وخاصّة بعد المدّ الديني الجديد الذي شهدته أوروبا والمجتمع الأمريكي نحو الدين الإسلامي الحنيف ، ممّا حدا بمهندسي الحركة الصليبيّة والصهيونيّة العالميّة أن تدرس ظاهرة الصحوة الإسلاميّة في شعوبها ، وبحث سُبل الوقوف أمام هذا الخطر الذي يتهدّد تاريخها ، فكان عليها أن تخلق جماعات إسلاميّة وهميّة بأشكال غريبة ، وأفكار متخلّفة لا تمتّ إلى العصر والعقل بأيّة صلة ، وساحة العراق وأفغانستان وباكستان مرتع مقبول للاستعمار ! !

إنّنا رغم إيماننا بأنّ الله يدحر كيد الكافرين والمشركين والمنافقين ، كما هو الإثبات التاريخي ، إلّا أنّ المسؤوليّة لا تقع عن كاهل المؤمنين المخلصين بأيّ حال من الأحوال . . لأنّ الله أراد للحياة أن تكون حلبة صراع بين الحقّ والباطل ، ومسرح اختبار للإنسان .

❁ ولا يجوز بأيّ وجه ديني أو إنساني أو وطني أن نتفرّج على سقوط شبابنا في أوحال المخطّطات التي يحيكها لهم الأعداء . . وعلى الشباب أنفسهم أن يفيقوا من سباتهم وغرورهم ، ولا يتصوّروا أنفسهم :

١ ـ أحراراً من القيود الأخلاقيّة ، والضوابط الدينيّة ، والأعراف الاجتماعيّة ، والآداب العائليّة الطيّبة .

٢ ـ أنّهم إذا صاروا لوحدهم في غرفة مغلقة ليس هناك مَن يراهم ويحاسبهم

على المحرّمات .

٣ـ أنّ ارتكابهم للذنب أمرٌ بسيط ، وشيء عابر لا يؤثّر على أصل العاقبة ومعدّل درجات السعادة ، وأنّ بقيّة أعمالهم الجيّدة سوف تمسح ذلك الذنب وآثاره حتّى ولو يتكرّر منهم .

٤ـ أنّ الله غفور رحيم فقط ، وليس لديه عقاب ولا يغضب عليهم .

٥ـ أنّهم لا يموتون ، وإنّما الموت لغيرهم فقط ! وليس أمامهم مفاجآت القبر ، وضيق اللحد ، والوحشة تحت الأرض ، فلن ينقذهم خوفهم من أهوال الموت وما بعده .

٦ـ أنّ الجهل بحقيقة الحياة وحجم المسؤوليّات سوف يبرّر لهم اللامبالاة ، واستخفافهم بالقيم النبيلة ، واستهتارهم في الشارع .

٧ـ أنّ فرص التوبة لن تذهب عنهم ، والالتفاف على حساب يوم القيامة سهلٌ في الساعات الأخيرة من الحياة !

هذه أهمّ معوّقات الرشد ، وقبول النصيحة ، واختيار درب الهداية ، لا بدّ للشباب أن ينتبهوا لها ، ويأخذوا بأيدي أصدقائهم أيضاً ليكثّروا ويتكاثروا ويتماسكوا ببعضهم البعض كالبنيان الرصين ، حتّى يصنعوا مجتمع الفضائل الإسلاميّة ، وينعموا بخيره وبركاته ، فإنّ الفرد الصالح يصنع الأُسرة الصالحة ، وهي تصنع الدولة الصالحة ، وهي تصنع البلد الصالح ، والعكس صحيح ، لقاعدة التأثير والمؤثّرات ، وهذه مكوّنات الأُمّة القويّة ذات العزّة الإلٰهيّة الخالدة .

عن الإمام الصادق عليه السلام ـ في حديث طويل ـ : «**إنّ أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلّا به العقلُ ؛ الذي جعله الله زينة لخَلْقه ، ونوراً لهم ، فبالعقل عرف العباد خالقهم ، وأنّهم مخلوقون ، وأنّه المدبّر لهم ، وأنّهم المدبَّرون ، وأنّه الباقي وهم الفانون ، واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه ، ومن سمائه**

**وأرضه ، وشمسه وقمره ، وليله ونهاره ، بأنَ لكلٍّ منها ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول ، وعرفوا به الحسن من القبيح ، وأن الظلمة في الجهل ، وأنّ النور في العلم ، فهذا ما دلّهم عليه العقل .**

قيل له : فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره ؟

**قال : إنّ العاقل ـ لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته ـ علم أنّ الله هو الحقّ ، وأنّه هو ربّه ، وعلم أنّ لخالقه محبّة ، وأنّ له كراهة ، وأنّ له طاعة ، وأنّ له معصية ، فلم يجد إلّا أنّ عقله يدلّه على ذلك ، وعلم أنّه لا يوصل إليه إلّا بالعلم وطلبه ، وأنّه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه ، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلّا به »**[1] .

ولكن قد غلب الجهل كثيراً من الناس ، وبات الحمق معشعشاً في بعضهم الآخر ، وكان منهم من أصبح الدين قشراً على جهلهم ، وغطاءً على حمقهم .

روى الإمام الصادق عليه السلام : « **أنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال : إنّي داويتُ المرضى فشفيتهم بإذن الله تعالى ، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله ، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله ، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه .**

**فقيل : يا روح الله ، وما الأحمق ؟**

**قال : المعجب برأيه ونفسه ، الذي يرى الفضل كلّه له لا عليه ، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه ، ولا يوجب عليها ، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته »**[2] .

وما أكثر الحمقى في عصرنا !!

ولو أردت أن تصنع منهم جيشاً بكامل ألويته وفِرقه ومشاته ، لفاض لديك العدد !! إلّا أنّهم لا يأتون إليك بالنصر طبعاً .. والأمر إليك !!

---

(١) الكافي : ١/٢٩ ، الحديث ٣٤ .

(٢) قصص الأنبياء / الجزائري : ٤٧١ .

سأل الأصمعي رجلاً من الأعراب : هل يسرّك أن يكون لك خمسة آلاف درهم وأنت أحمق ؟

قال الأعرابي : لا .

قال : ولِمَ ؟

قال الأعرابي : لأنّي أخشى أن أجني جناية يذهب بها مالي ويبقى علَيَّ حُمقي !!

❁ وكيلا يكون المسلم واحداً من الحمقى ، فقد أمرتنا الآية التي افتتحنا بها هذا المقال ، بالسير في الأرض.. وذلك لأنّ الذي يسير في الأرض بالسفر إلى البلدان ، أو بقراءة تاريخ الشعوب ، أو بالتفكّر في سيرة الرجال ومسيرة الحضارات ، صعوداً وسقوطاً ، فسيعقل موقعه في الحياة ، ويبصر طريقه إلى الإمام ، ويقرأ النتائج من مقدّماتها ، ثمّ يكتفي بتجارب غيره كيلا يجرّب الخطأ ، وهذا هو قول الإمام عليّ عليه السلام : « **العاقل من اتّعظ بتجارب غيره** »[(١)].

ولذلك أيضاً قال عليه السلام : « **أحسنوا النظر فيما لا يسعكم جهله ، وانصحوا لأنفسكم ، وجاهدوها في طلب معرفة ما لا عذر لكم في جهله ، فإنّ لدين الله أركاناً لا ينفع من جهلها شدّة اجتهاده في طلب ظاهر عبادته ، ولا يضرّ من عرفها فدان بها حسن اقتصاده** »[(٢)].

فلا يمكن السماح للحياة البشريّة أن تسير على أهواء الجاهلين ، إنّ الله مدبّر الكون والحياة ، ولم يترك ما صنعه ليعيث أصحاب العقول الجوفاء في الأرض ما يشاؤون من الفساد ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾[(٣)].

---

(١) و (٢) غرر الحكم : ١٢٨٤ .

(٣) آل عمران ٣ : ١٧٨ .

هكذا يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وهم في طغيانهم يعمهون ﴿ **مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾(١).

هذه الثوابت ـ التي لا يضرّها من أنكرها ـ تستدعي الشابّ المسلم أن يعرف وجود مقاييس في الحياة ، وأنّها ذات موازين تابعة لأُصول جوهريّة قد أرساها ربّنا الكريم وسمّاها ( السنن ) ، وأمرنا بالسير فيها ، لوعيها وأخذ العبرة منها ، واستلهام الدروس التي تبني الإنسان صالحاً ، والمجتمعات رائدة في الخير . ولا يدور الأمر بين أن يكون الإنسان متديّناً أو أن يكون وحشيّاً ، رذلاً ، ساقطاً ، مؤذياً ، متآمراً ، خبيثاً ، دمويّاً ، بل هناك أمر في الوسط بأن يكون إنسانيّاً ، أخلاقيّاً ، فطريّاً ، كما قاله الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة : « **لو كنّا لا نرجو جنّة ، ولا نخشى ناراً ، ولا ثواباً ، ولا عقاباً ، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ، فإنّها ممّا تدلّ على سبيل النجاح** »(٢).

دين الله . . نفهمه بالعقل الذي وهبه الله لنا ، وجعله حجّته الباطنة علينا ، كما جعل أنبياءه حججه الظاهرة ، فالدين ينمّي العقل كيلا يضعف . . والعقل يحمي الدين كيلا يُحرّف . وكلاهما يصنعان التديُّن المعقول . فعلى كلّ مَن يدّعي نفسه متديّناً عاقلاً أو يريد أن يضع نفسه في هذا الموضع الصحيح ، أن يكون بمستوى التعليمات التي وردت عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام : « **يَنْبَغي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكونَ فيهِ ثَمانُ خِصالٍ : وَقورٌ عِنْدَ الْهَزاهِزِ ، صَبُورٌ عِنْدَ الْبَلاءِ ، شَكورٌ عِنْدَ الرَّخاءِ ، قانِعٌ بِما رَزَقَهُ اللهُ ، لا يَظْلِمُ الْأَعْداءَ ، وَلاَ يَتَحامَلُ لِلْأَصْدِقاءِ ، بَدَنُهُ مِنْهُ في تَعَبٍ ، وَالنّاسُ مِنْهُ**

(١) آل عمران ٣ : ١٧٩ .

(٢) مستدرك الوسائل : ١٩٣/١١ ، الحديث ١٢٧٢٠ .

**في راحَةٍ، وَإِنَّ الْعِلْمَ خَليلُ الْمُؤْمِنِ، وَالْحِلْمَ وَزيرُهُ، وَالصَّبْرَ أَميرُ جُنودِهِ، وَالرِّفْقَ أَخوهُ، وَاللّينَ والِدُهُ».**

وقال: **«الْعامِلُ عَلىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسّائِرِ عَلىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، لا تَزيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلّا بُعْداً».**

وقال: **«مَنْ عَرَفَ اللهَ خافَ اللهَ، وَمَنْ خافَ اللهَ سَخَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيا».**

وقال: **«إِنّا لَنُحِبُّ مَنْ كانَ عاقِلاً، عالِماً، فَهِماً، فَقيهاً، حَليماً، مُدارِياً، صَبوراً، صَدوقاً، وَفِيّاً. إِنَّ اللهَ خَصَّ الْأَنْبِياءَ عليهم السلام بِمَكارِمِ الْأَخْلاقِ، فَمَنْ كانَتْ فيهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلىٰ ذٰلِكَ، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللهِ، وَلْيَسْأَلْهُ إِيّاها.**

قيل له: وما هي؟

قال: **الْوَرَعُ، وَالْقَناعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالْحِلْمُ، وَالْحَياءُ، وَالسَّخاءُ، وَالشَّجاعَةُ، وَالْغَيْرَةُ، وَصِدْقُ الْحَديثِ، وَالْبِرُّ، وَأَداءُ الْأَمانَةِ، وَالْيَقينُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْمُرُوَّةُ»**[١].

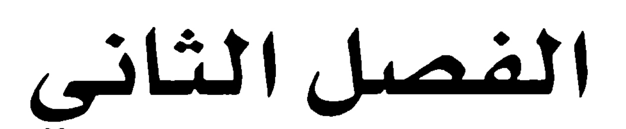
❁ أُختي العزيزة، أخي العزيز: على ضوء هذه الحقائق.. نواصل معاً في قراءة هذا الكتاب صفحة بعد صفحة إلى النهاية.. وهنالك سنتّفق بإذن الله الحقّ على خطّ الهداية!!

وشكراً على أخذك مفتاح البدايات (العقل والسمع) قبل أن تكون ممّن ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[٢].

---

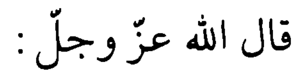
(١) الإمام الصادق عليه السلام علم وعقيدة: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) الملك ٦٧: ١٠.



# الفصل الثاني

## العبادة غاية الحياة
## فما معنى العبادة ؟



قال الله عزّ وجلّ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

الذاريات ٥١ : ٥٦



❋ هل خطر بذهنك ذات مرّة أن تسأل نفسك : مَن الذي خلقك ؟ ولماذا خلقك ؟ ولماذا تُبتلى في حياتك بالمشاكل والآلام ؟ ولماذا بعدها تموت ؟ وإلى أين ستذهب بعد موتك ؟ وما هو المطلوب منك في هذه الحياة قبل مماتك ؟ وهل يمكن أن تقوم بدور العظماء فتفوز بسمعة طيّبة في الدنيا ، وبنعيم الجنّة في الآخرة ، أم أنّها من فرص الآخرين فقط ؟

أسئلة محوريّة ومصيريّة أعرف أنّها تَشغَل بالك ، وتدور مع دورانك ، ولكن تأكّد أنّها لن تنتهي بخروجك من الدنيا . إنّها أسئلة تلاحقك إلى قبرك بحثاً عن الأجوبة !

لأنّ الذي خلقك وسوّاك ـ سواء أكنت تعترف به أو لا تعترف ـ سوف يوقفك غداً بعد الموت ، ويطلب منك الجواب رغماً عنك ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ** ﴾[1] ، ثمّ على ضوئه يُقرّر مصيرك للأبد .. جنّة النعيم أو عذاب أليم !!

إذن فما رأيك أن نبحث عن الأجوبة الصحيحة لهذه الأسئلة كي تربح الدنيا ، وبعد عمر طويل تفوز بموتٍ لطيف هانئ مريح ينقلك إلى الجنّة لا إلى غيرها ، فتستريح من همّ الدنيا وغمّها !

هذا هو مقتضى التفكير السليم الذي ندعو أنفسنا وندعوك إليه ، ولكي نبني عليه فرصنا في الحياة الدنيا قبل الحوادث التي لا تستأذن أحداً حين هجومها .. بل وحتّى

---

(١) الصافّات ٣٧: ٢٤.

لو أردت التفكير بطريقة الربح المادّي والتجاري وبهدف اللذّة والراحة والرفاه، فإنّ البحث عن الإجابات السديدة لتلكم الأسئلة يوفّر لك هذه النتيجة السارّة، ويغنيك عن سراب المحرّمات التي تستدرج السائرين فيها إلى ويلات الدنيا وعذاب القبر وأهوال يوم القيامة.

فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت**»[١].

نبدأ إذن بالأسئلة والأجوبة بلغة يفهمها شبابنا الأحبّة.. الذين نتوسّم فيهم الخير، وهم أمل الغد الزاهر، وصنّاع المجتمع الصالح، وبهم ننسج أمانينا الصادقة لمستقبل أفضل..

(١) كتاب أمالي الصدوق: ٩٣، الحديث ١٠. الخصال: ٢٥٣.

## السؤال الأوّل: مَن الذي خَلقَك؟

هو الله الذي لا تستطيع أن تنكره أبداً، ولا أظنّك من منكريه ـ والعياذ بالله ـ لأنّك لا تريد أن تهزأ بنفسك لو تصوّرتَ وجودك صدفة في الحياة بلا خالق حكيم.. ولا قادر عليم.. ولا مدبّر عظيم..

فأنت الذي لا تقبل موبايلك ـ الذي أصبح كالسُّبحة الدائمة بيدك ـ إلّا أن يكون مصنوعاً من صانع حاذق، بل وتحاول دائماً أن تبحث عن أفضل الشركات العالميّة ذات ماركة (إستاندرد) المعروفة لتشتري منها مستلزماتك وخاصّة أجهزتك الإلكترونيّة الدقيقة، فإنّك بالتأكيد لن تقبل أن يضحك عليك سخيف من السخفاء ليقول لك أنّك صُنِعتَ من لا شيء، وأنّك وُجِدتَ بلا موجِدٌ، وأنّه ليس هناك إلـه ينتظر منك أشياءً حسنة ويحاسبك على أشياء سيّئة!

فلا مناص من الاعتراف بوجود الله تبارك شأنه الذي هو أظهر من الظاهر، وأقوى من كلّ دليل باهر، ولا يقبل النقاش عند كلّ صاحب وجدان وذي عقل شاهر..

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة وهو واقفٌ تحت حرارة صحراء عرفات: «**إلـهي.. كَيْفَ يُسْتَدلُّ عَلَيْكَ بِما هُوَ في وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ؟ أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ حَتّىٰ يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ؟ مَتىٰ غِبْتَ حَتّىٰ تَحْتاجَ إِلىٰ دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟ وَمَتىٰ بَعُدْتَ حَتّىٰ تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إِلَيْكَ؟ عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصيباً**»[١].

---

(١) كتاب مفاتيح الجنان ـ دعاء يوم عرفة.

وإن كنتَ ممّن تعجبه كلمات الأجانب فاقرأ ما كتبه (المسيو بوشيت): «إنّ اعتقاد الأفراد والنوع الإنساني بأسره في الخالق كان اعتقاداً اضطراريّاً قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالّة على وجوده، ومهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخ طفوليّته، فلا يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق، تلك العقيدة التي نشأت صامتة، وصار لها أكبر الآثار في حياته»[١].

فمن العيب والسفاهة على الإنسان، فضلاً عن أن يكون من اُسرة مسلمة بأن يغفل عن ربّه وخالقه ورازقه، ووليّ نعمته، ومَن بيده الأرضين والسمٰوات السبع، ومَن إليه يرجع.. ويرجع كلُّ شيء إليه!!

فيا أيّها القارئ العزيز: إنْ كان الآخرون في غفلة عن هذه الحقائق الواضحة، فلا تكن أنت منهم، لأنّ الله تعالى قال عنهم: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُن لَهُم مِن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ**

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٤٨٢/١.

**فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾**[١].

وقال الإمام عليّ عليه السلام في مآل أمر الذين يضيّعون أعمارَهم في التيه والبطالة والغفلة عن خالقهم، وفي الجهل مِن هدف خَلْقهم: «**إنّ امرءاً ضيّع من عمره ساعة في غير ما خُلِقَ له، لجديرٌ أنْ تطولَ عليه حسرته يوم القيامة**»[٢].

(١) الروم ٣٠: ٧ ـ ١٦.

(٢) معالم الزلفى: ٢/٣٩٧.

## السؤال الثاني : لماذا خَلَقَكَ الله ؟

خلقك ليربحك الجنّة . . فما رأيك في هذا العرض ؟ !

هل من عاقلٍ يعترض على ثريٍّ من أهل الإحسان إذا قدّم إليه مِن خالص أمواله ليشتري به جميع ما يحتاجه لسعادته ، وربّما أكثر ممّا يتصوّره من أشياء حتّى يغنيه بكرمه عن المسألة من أيّ كائن آخر ، وهو لا يريد منه في مقابل عطائه السخيّ هذا إلّا أن يكون سليم الفكر ، سويّ السلوك ، حَسَن الأخلاق ، منضبطاً في علاقاته الأُسريّة ، وبشوشاً مع الناس ، أميناً على أسرارهم ! !

فاعلم أيّها العاقل : أنّ الله خلقك ورزقك وسخّر لك ما في الأرض والسماء لكي ترتقي بفرصك وجهودك مستوى هذه المفاهيم التي يقرّ بها العقل السليم ، وقد أتى بها القرآن الكريم ، ثمّ بعد رُقيّك تربح جائزتك من الله خالقك تبارك وتعالى .

ولم يتركك ربُّك بلا منهج فكري عملي للوصول إلى جائزتك ، ولقد بيّن لك منهجه جَليّاً ، وأرشدك السبيل إلى ذلك الربح العظيم ، حتّى إنّه اعتبر منك كلّ سعي في هذا السبيل ، بل ونومك وأنفاسك فيه ، اعتبرها أيضاً عبادة ليرفع بها من رصيدك ودرجاتك في الجنّة . . جنّة فيها من النعيم واللذّات الدائمة ـ كما وصفها رسول الله ﷺ ـ : **« ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سمعتْ ، ولا خطر على قلب بشر »** .

إنّك تخلد فيها ولن تموت ، ولا تمرض ، ولا تشيب ، ولا تجد ما يضايقك ، ومَن يؤذيك ويظلمك أبداً . .

لمثل هذه السعاده الباقية أراد الله منك سعيها في الدنيا ، فلِمَ تعطّل شعورك الفطري الذي يؤيّده حتّى عقلاء البشر من غير المسلمين ؟ !

اقرأ ـ مثلاً ـ كلمة (نورمان فنسنت بيل) الذي يقول: «والواقع إنّ الشعور الغريزي بوجود عالمٍ آخر بعد الموت هو مِن أقوى الأدلّة على هذا الوجود.. وإنّ الشوق إلى خلود الحياة ولو في عالم آخر إحساسٌ شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف عامّ»(١).

وتأمّل في هذا الحديث القدسي عن النبيّ الأكرم ﷺ، أنّه قال: «**خلق الله تعالى مَلكاً تحت العرش، يسبّحه بجميع اللغات المختلفة، فإذا كان ليلة الجمعة أمره أن ينزل من السماء إلى الدنيا، ويطلع إلى أهل الأرض، ويقول: يا أبناء العشرين، لا تغرّنّكم الدنيا.**

**ويا أبناء الثلاثين، اسمعوا وعُوا.**

**ويا أبناء الأربعين، جدّوا واجتهدوا.**

**ويا أبناء الخمسين، لا عُذر لكم.**

**ويا أبناء الستّين، ماذا قدّمتُم في دنياكم لآخرتِكُمْ؟**

**ويا أبناء السبعين، زَرْعٌ قد دنا حصاده.**

**ويا أبناء الثمانين، أطيعوا الله في أرضه.**

**ويا أبناء التسعين، آنَ لكُم الرحيل فتزوّدوا.**

**ويا أبناء المائة، أتتكُم الساعة وأنتم لا تشعرون**»(٢).

---

(١) روح الدين الإسلامي: ١١٥، وراجع كتابنا (الخطر قريب منك..) لتجد أكثر من ٣٠ كلمة مشابهة.

(٢) إرشاد القلوب: ١٩٣.

## السؤال الثالث: إذن لماذا الابتلاء بالمشاكل؟

سؤال جميل!! وأعيده إليك بتعبير آخر: هل جئنا للدنيا حتّى نغصّ بالغصص، ونثقل بالهموم، ونتألّم بالمصائب؟ وهل الدين والتديُّن لا بدّ مِن أن ترافقه المصاعب؟

ولكن قبل الإجابة على سؤالك هذا أرى من حقّي أن أسألك أوّلاً: لماذا حينما تضع أمامك هدفاً مثل الحصول على شهادة جامعيّة أو وظيفة عالية ذات راتب كبير، أو الحصول على بيت بمستوى حاجاتك، وعلى امتداد طموحك ورغبتك، فإنّك تخطّط وتفكّر وتدرس وتخوض غمار الصعوبات والأسفار، وتتحمّل المتاعب والأخطار، وتجهد نفسك في الليل والنهار، بل وتقاوم الرياح المعاكسة، وكأنّك بهذا الكفاح المستميت تريد الردّ على قول الشاعر:

ما كلُّ ما يتمنّىٰ المرءُ يُدْرِكُه تجري الرياحُ بما لا تشتهي السَّفَنُ

أقول: هنيئاً لك إن كنت بهذه الهمّة في دنياك، ولكن هل هذه الدنيا الزائلة عنك، والتي تغادرها يوماً حتماً تستحقّ هذا الكفاح والتضحية منك، ولا تستحقّ آخرتك شيئاً من هذا الكفاح والجهد، وهي الباقية التي تذهب إليها رغماً عنك؟!

حسناً.. فقد ساعدني ذكاؤك على أن تعرف جيّداً بأنّ تحقيق أيّ هدف يستلزم منك أُموراً إلزاميّة، وإلّا فحظّك من الدنيا أن تكون من حزب الفاشلين ومعشر الخائبين..

فإنّما الروائع يَلِدْنَ بعد اختلال التوازن.. والمرأة لا تضع حملها وتبتسم فرحاً إلّا بعد أن تتمزّق أحشاؤها من الألم.. والنجاح لن ترتقي سلالمه ويداك في جيبك.. والفوز ثمن الأتعاب..

من هنا فاعلم أنّ دينك الإسلامي العظيم لا يحول بينك وبين تحقيق أمانيك الدنيويّة، وإنّما يوجّهها لك في قنوات ناجحة تؤدّي بك إلى الجنّة والراحة الدائمة، وهذا يصبّ في نفعك وصالحك، وهو ما تريده لنفسك.. أليس كذلك؟!

تسألني: كيف؟

أقول لك: بسيط جدّاً.

ادرس جيّداً.. خطّط جيّداً.. تاجر في رأسمالك جيّداً.. اجمع واستثمر للمزيد جيّداً.. بل وحتّى شهواتك الجنسيّة مارسْها بالطريقة المشروعة جيّداً، ولا تَخَفْ ولا تخجل..

ولكن...!

فبما أنّنا متّفقون على أنّ التقدّم في أيّ مجال يحتاج لشروط مسبقة، ومقدّمات ضروريّة، وبرمجة سليمة، وثمن مدفوع مسبقاً من خالص جهدك.. فإنّ التقدّم نحو تأسيس حياةٍ تجمع فيها بين الدين والدنيا يحتاج منك هذه الشروط أيضاً..

أن تدرك الغاية بأقصى درجات الرعاية.. فإنّها لا تتأتّى بدون الجدّ والتعب والكدح مع الدراية.. فلكلّ مجتهد نصيب، ولكلّ متعَب فرحة، ولكلّ كادح راحة، ومن بعد كلّ عسر يسر وتيسير **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾**(١).

ثمّ سواءً كنت متديّناً أو ـ والعياذ بالله ـ منحرفاً عن دين الله، فإنّ المشاكل جزء

---

(١) الروم ٣٠: ٦٠.

من حياة الإنسان ، ولا تخدعك نفسك الهائمة بأنّ الدين فيه مشاكل ، وأنّ المتديّن لا يكون إلّا معقّداً !!

أجبني على المكشوف !

هل ترى غير المتديّنين لا يمرضون.. لا يفقرون.. لا يتنازعون.. لا يتضاربون.. لا يحزنون.. لا يتألّمون.. لا يقتلون.. لا تتناثر أشلاؤهم..

وأُجيبك على المكشوف قرآنياً : نعم ﴿ **فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ** ﴾[1].

الجميع يألمون ، ولكنّ المتديّنين يرجون من وراء ألمهم فضل ربّهم الكريم ، فإنّه الرؤوف الرحيم والعطوف الحكيم ، وأمّا غير المتديّنين فالويل لهم والعذاب في كلتا الدارين.

فإن ضاقت بك الدنيا فلا تقل : يا ربّ ، عندي همّ كبير ، بل قل : يا همّ عندي ربٌّ كبير !!

فلكي تربح حياتك إذن ، وتسجّل أهدافك : اعرف ربّك ودينك ونفسك جيّداً.. وخطّط بتوجيهات من دينك وعقلك جيّداً.. وتاجر بحلال المال ، وتجنّب عن حرامه جيّداً.. اجمع من المال واستثمره ، وتوسّع بهدف توسيع دائرة الخير جيّداً.. وأمّا الشهوات فخذْ منها الحلال الطيّب بالزواج الشرعي ، وما أحلى السُّبل السليمة التي شرّعها الدين لتأخذ منها ما تحتاجه من شهواتك ضمن حدود الأخلاق والمبادئ الصحّيّة والعُرف السليم..

ثمّ ليكن صبرك على تحقيق هدف السعادة الحقيقيّة والمستمرّة والمضمونة والأبديّة ، صبراً أقوى من الجبل..

---

(١) النساء ٤: ١٠٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ *
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١)

وهذا ما تعنيه الآية الكريمة أيضاً: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٢).

إنّ الدين الصحيح يعلّمك هذه المعاني الهامّة لتصنع بها حياتك الدنيويّة، وتنظّم على أساسها علاقاتك الوظيفيّة والعائليّة والاجتماعيّة والسياسيّة بما يتناسب مع دخولك الجنّة، ويحذّرك الله من هواك قبل أن تخسر حياتك بحادث مباغت، ثمّ تُدفن في قبر تلدغك فيه الحيّات والعقارب إلى يوم القيامة، وتتعذّب في برزخك إلى يوم الحشر بضغط روحي مؤلم لا يطاق، وظلمة موحشةٍ وسياطٍ من نار تهشم الجماجم..

إنّ الدين المحمّدي الحقيقي سبيل الرحمة والمحبّة والعواطف الجميلة وحياة طيّبة ملؤها الراحة النفسيّة، والأمل الصادق بفجر قادمٍ ليس معه ألم ولا مشاكل ولا ضعف أعصاب..

أنت من أجل هذا خلقك الله، وهذا هو معنى العبادة التي لا تكون الصلاة والصيام والحجّ، وما أشبه، إلّا جزءً منها وليس كلّها.

إنّ العبادة التي خُلقت لها، ودلّت عليها لام الغائيّة في الآية الكريمة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) معناها واسع جدّاً يشمل كلّ شيء في حياتك

(١) سورة العصر.
(٢) الملك ٦٧: ٢.
(٣) الذاريات ٥١: ٥٦.

إذا صبغته بلون الطاعة لله ، ونيّة التقرّب إليه عزّ وجلّ .. وإلّا فحتّى الصلاة والصيام والحجّ لا تكون من العبادة إن لم تكن بلون خالص لله !

فإن عرفت دينك ، ومعنى العبادة هكذا ، فسوف تذهب عنك المشاكل والهموم والغصص ، إلّا ما يأتيك من أعدائك ، أعداء الأُمّة ، ومن الجهلاء الذين لم يعرفوا الدين بهذه المعرفة الشموليّة العميقة . وإيّاك أن تكون منهم !! إذ تكون مشاكلك وهمومك وغصصك وابتلاءاتك حينئذٍ صادرةً منك وعائدة إليك .. الدين بريء منك ومن أمثالك ..

وتبلغ مع هذا الوعي لمفهوم الابتلاء وفلسفة المشاكل إلى درجة التسليم لمشيئة الله ، واليقين بحكمته وراء ما يصيبك في الحياة الدنيا ، لأنّك تنظر إلى حياة الآخرة من منظار الإيمان بالغيب على ضوء الحديث الوارد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام : **«إنَّ فيما أَوْحَى اللهُ إلىٰ مُوسَى بْنِ عِمْرانَ عليه السلام : يا مُوسَى بْنَ عِمْرانَ ، ما خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنّي إِنَّما ابْتَلَيْتُهُ لِما هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَزْوِي عَنْهُ لِما هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنا أَعْلَمُ بِما يَصْلُحُ عَلَيْهِ عَبْدي فَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائي ، وَلْيَشْكُرْ نَعْمائي ، وَلْيَرْضَ بِقَضائي ، أَكْتُبْهُ في الصِّدِّيقينَ عِنْدي ، إذا عَمِلَ بِرِضايَ وَأَطاعَ أَمْري»**[١] .

(١) وسائل الشيعة : ٢٥٢/٣ ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام .

## السؤال الرابع: هل بات الدّين حلّاً والمتديّنون أملاً؟

أرجو أن لا تكون ممّن يبرّرون بعدهم عن الدين الصحيح بتصرّفات الذين أخطأوا فهمهم للدين، وسبّبوا المشاكل للمسلمين!

هذا التبرير لا يجلب لك عند الله عذراً يسامحك به على معاصيك لتدخل الجنّة مع الذين استحقّوها بجهود حقيقيّة.. فليس هذا الفلاح بأمانيّك ولا بأمانيّ مَن خدعته أهواؤه وذاتيّاته!

إنّ السلوكيّات الشخصيّة لبعض دعاة الدين، وأصحاب اللحى، والنساء المحجّبات، وحتّى بعض العلماء، لا تترجم حقيقة الدين كي تبرّر لنفسك هواك، فتهرب من الدين الحقيقي والتديّن المعقول.. ليس الدين ملك أحد من البشر، إنّه ملك ربّ العالمين، فإذا اختلفت مع جهة محسوبة على الدين أو وصلك منها ضرر، لا يجدر بك التحامل على الدين.

وأمّا أخطاء الطيّبين من أهل الدين وخلافاتهم المزعجة أحياناً، فإنّما تعالج بالصبر، والنصيحة، وفهم الحقيقة، وعدم التسرّع في الحكم، والتقييم، وشيء كثير من الصمت، فإذا مارست هذه الأخلاقيّة بقصد القربة إلى الله، وطلب رضاه، ورجاء الثواب، في تجنّب التورّط بسمعة الآخرين، وعسر يوم الحساب، فإنّك ساهمت في إنقاذ الدين من تحت أرجل أعدائه (الواعين)، وأصدقائه (الجاهلين)..

علماً أنّ حلّ الخلافات الموضوعيّة (التشخيصيّة) في القضايا المشتركة يسهل باجتماع كبار المراجع والعلماء والوكلاء وعدول المؤمنين في كلّ مكان

ليتشاوروا حولها باستمرار..

ومع غياب هذا الحلّ الذي تؤكّده آيات وروايات كثيرة سوف تطول معاناة المؤمنين حسب الحديث النبوي الشريف الذي يقول: «**المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضلّه، ونفس تنازعه**»(١).

ومع غياب هذا الحلّ يقوم الذين ليس لهم من التربية الإسلاميّة حظّ بدورهم في التخريب بين المؤمنين، وتفريق صفوفهم ليصبّوا في جيوب الأعداء وهم لا يشعرون.

ولكن لا تعني هذه السلبيّة في مجتمعاتنا أن يبرّر الشخص ترك الدين أو نسيان الزاوية الإيجابيّة في الخلافات والمشاكل.. حيث التنافس المثمر، والتحرّك المنتج، وبناء المؤسّسات النافعة، وظهور نتائج الخير والتقدّم في المتنافسين الأكثر ورعاً وحكمةً وشرفاً ونزاهةً ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٢).

فابحث عن منهج الدين الحقّ، ولا تحبس عقلك عند حدّ، ولا تُعِرْ بالاً لخلط أوراق الدين الذي افتعله أعداؤه لكي يجعلوك (قطعة) في (ماكِنَتِهم)، ويفوّتوا عليك ما ينجيك منهم. انتبه ولا تقع في فخّهم، وتستسلم لمآربهم، وتخسر فرصتك في الامتحان، فليس الهدف من كثرة الشبهات، وحرب الإشاعات في عصرنا، ودوخة القيل والقال، وانتشار الأمراض الفكريّة، والانفلات الأخلاقي، وجنون الفسق، وفنون الفساد، وصناعة الموت، والمذابح، ومؤامرات الأعداء، ومكائد الشيطان، ودسائس أتباعه؛ إلّا أن تعادي دينك الذي جاء لإنقاذك منهم، ذلك الدين الإسلامي الحنيف الذي لا يتأتّى لك فهمه عبر المنسوبين إليه، ولا عبر علمائه أيضاً، إن لم تراجع فطرتك النقيّة، وتُطابق بينها وبين ما تسمعه منهم

(١) المحجّة البيضاء: ٥/١١٥.

(٢) هود ١١: ٧.

باسم الدين، ولم تقارن بين ما تفهمه من الدين وبين ما تتدبّره في القرآن الكريم، ولم تماثل بين ما تراه بين الناس وبين ما تقرأه من سيرة النبيّ الأكرم وأهل بيته الذين طهّرهم الله من كلّ رجس، ومَن ربّاهم الرسول والأئمّة ليكونوا خير أُمّة أُخرجت للناس..

هذه المعايير تدلّك بضمان مؤكّد على الدين الصحيح ما كنت تحبُّ الله وتطلب منه أن يأخذ بيدك إلى الصواب، ويسدّدك على سويّ الصراط..

فإذا أخذتَ بها فقد وعيتَ الهدف من خلقتك، ولرأيتَ أنّ الابتلاء بالمشاكل نعمة، وأنّها من طبيعة الطريق، وجزء من تدريبات واجبة لديمومة نشاطك حتّى تسجيل الهدف، بذلك تنجح محاولات الصعود إلى قلل العظمة في الدنيا والآخرة..

إنّك لو أحببتَ الدين الفطري، وفهمتَ رسالته إليك بهذه النقاوة والأريحيّة والشفّافيّة لنظرتَ إلى ظاهرة الابتلاء في الحياة على أنّها اختبار لصدقك في الحبّ، وتقوية لإرادة النجاح في الامتحان، وإخلاصك لله في القصد والنوايا، وبالتالي تعميق لروح الاصرار والاستقامة فيك.. وهو التمرين الذي تتحمّله في كلّ حقل من حقول الحياة الماديّة والرياضيّة. ألستَ ترفع كأس الفوز، وتبتهج بتصفيق الجماهير بعدما تتحمّل آلام التدريب والسقوط والركض والدهس والكسر والالتزامات العديدة، وربّما السبّ والإهانة ؟!

وهل رأيت لاعباً رياضيّاً أو قائداً حقيقيّاً أو إنساناً ناجحاً قد أصبح نجماً عالمياً من دون سنوات من المتاعب والمشاكل والتدريبات القاسية ؟!

أو هل رأيت مَن عولج بغير دواء مُرّ، وألم وخز الإبرة، وعمليّة جراحيّة، و... ؟!

وإنّما ترتفع قيمة عيار الذهب متى ما تعرّض للنار أكثر، والمسمار في الأعمال الخشبيّة كلّما يتلقّى ضربات أكثر على رأسه كلّما ثبت فيها بشكل أقوى، والضرب

بأجهزة الحفريات لمّا يستمرّ بطريقة مركّزة تصل إلى أعماق الأرض ، وتستخرج مياه الآبار ، وآبار النفط والغاز والمعادن ، والسفن الفضائيّة حينما تحترق أجزاؤها الخلفيّة تصل مقدّمتها إلى القمر والكواكب المستهدفة ، وهكذا هي قوانين الحياة وسنن التقدّم . . فلا تمنحك الحياة شيئاً ثميناً بلا أن تأخذ منك شيئاً ، وربّما أشياء .

فلكلّ نجاح ضريبة لا بدّ لك أن تدفعها لتنجزه وترفع من قيمتك ، وضريبة الدين والعمل بتعاليمه تعود عليك بالنفع لتخفيف مشاكل الدنيا عليك من ناحية ، ونعيم اللذّات بعد موتك من ناحية ، وهذه الضريبة أفضل من أيّة ضرائب اُخرى تدفعها في سبيل الباطل الذي يعود عليك بالمزيد من المشاكل ، أو في سبيل مشروع ليس لله فيه نصيب تؤجر عليه في الآخرة . .

بين هاتين الضريبتين . . أيّهما يختاره العاقل ؟ !

وأنت العاقل الذي يتأمّل فيما أنشده الإمام عليّ الهادي عليه السلام للمتوكّل العبّاسي حينما أثمل بالخمر ، فأحضر الإمام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليهينه ويضحك عليه ، فطلب من الإمام الطاهر العابد الزكيّ أن يقرأ له شعراً في الغناء ليعربد في سُكْره ، فقرأ الإمام المُبْتلى الصابر الممتحَن شعراً يذكّر الطاغية ومَن يأتي من بعده بدروس الحقيقة :

| | |
|---|---|
| **باتُوا عَلىٰ قُلَلِ الْأَجْبالِ تَحْرُسُهُمْ** | **غُلْبُ الرِّجالِ فَما أَغْنَتْهُمُ الْقُلَلُ** |
| **وَاسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعاقِلِهِمْ** | **وَأُسْكِنوا حُفَراً يا بِئْسَ ما نَزَلُوا** |
| **ناداهُمُ صارِخٌ مِنْ بَعْدِ دَفْنِهِمُ:** | **أَيْنَ الْأَساوِرُ وَالتِّيجانُ وَالْحُلَلُ ؟** |
| **أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كانَتْ مُنَعَّمَةً** | **مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الْأَسْتارُ وَالْكِلَلُ ؟** |
| **فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ ساءَلَهُمْ:** | **تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْها الدُّودُ يَقْتَتِلُ** |

لَـطالَما أكَـلُوا دَهْـراً وَمَا شَـرِبُوا    فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الأَكْلِ قَدْ أُكِلوا[١]

وأساساً.. إنّ واحدة من أسرار خلود النبيّ محمّد والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام وعظمتهم رغم كلّ العداوات التي مورست بحقّهم، ومحاولات الإقصاء والتشويه والطمس التي انتهت إمّا بقتلهم أو تسميمهم.. هي صبرهم العجيب في ابتلاءاتهم مع جهلة الأُمّة من ناحية، ومصائبهم على أيدي الخونة من ناحية أُخرى.

فمن أجل هذا كان واجبك ـ أيّها المسلم ـ أن تتأسّى بالرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله عملاً بتوجيه الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[٢]، وأن تتّخذ من أئمّة أهل بيته عليهم السلام قدوات للتأسّي عملاً بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[٣]، حتّى تصبح بعدئذٍ ممّن قال الله تعالى فيهم: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾[٤].

أجل.. فالدين حلٌّ وفي المتديّنين المتّقين أمل الخلاص، لأنّ الدين رحمة وعدالة ومحبّة ومؤازرة على الخير، وإنّما النقص والإشكال في مَن لا يؤمن ولا يتّقي ومَن تقمّص الدين لمصالحه الشخصيّة، فلا ننسى قول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾[٥].

الدّين سعادة، سألوها أين تسكنين ؟

قالت: في قلوب الراضين..

---

(١) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٣٢٣.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٢١.

(٣) التوبة ٩: ١١٩.

(٤) فصّلت ٤١: ٣٠.

(٥) الأعراف ٧: ٩٦.

قيل لها : فبمَ تتغذّين ؟

قالت : من قوّة إيمانهم . .

قيل لها : فبمَ تدومين ؟

قالت : بحُسْنِ تدبيرهم . .

قيل لها : فبمَ تُؤمنين ؟

قالت : أن تعلم النفس بأنّه ﴿ **لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَاكَتَبَ اللهُ لَنَا** ﴾[١] .

فكيف لا يكون الدّين حلّاً لمشاكل الحياة التي سببها جهل الإنسان وظلمه ، بينما خالق الإنسان ومُرسِل الدّين جعله الحلّ الأوّل والأخير ؟ !

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾[٢] .

وقال : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[٣] .

وقال الرسول الأعظم ﷺ لعليّ بن أبي طالب : « **يا عليّ ، الإسلام عريان ، ولباسه الحياء ، وزينته الوفاء ، ومروّته العمل الصالح ، وعماده الورع ، ولكلّ شيء أساس ، وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت** »[٤] .

---

(١) التوبة ٩ : ٥١ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٩ .

(٣) آل عمران ٣ : ٨٥ .

(٤) مكارم الأخلاق / الشيخ الطبرسي : ٤٣٩ .

## السؤال الخامس : لماذا الموت ؟ وإلى أين يأخذوننا ؟

إنّه انتقال من دار إلى دار أفضل ، ولكن لمَن يكون الأفضل في دنياه إيماناً وعملاً وتقوى وأخلاقاً.. وأمّا الذي عاش فاسداً ومفسداً فالموت بالنسبة إليه انتقال إلى ما قدّمه لنفسه من جحيم وهو ما يستحقّه..

فلو أنّك سألتَ سجناء القتل والجرائم والمخدّرات والفواحش.. لماذا انتهيتم إلى هنا ؟

لأجابوك : أهواؤنا وفسادنا وانحرافنا وجهلنا بالدين أوصلنا إلى هذا الحضيض..

فالموت بالنسبة لهؤلاء مخيف بالتأكيد ، وحقّهم أن يخافوا ، أفهل هناك مجرم لا يخاف ؟!

وأمّا بالنسبة لمن سلك طريق الصلاح ، وكان متديّناً بالمعنى الصحيح ، فالموت له أوّل ساعة زفافه وسروره وسعادته وراحته ولذّاته..

فأنت وأنا والآخرون جميعاً نموت حتماً ، شئنا أم أبينا ، ولكن لماذا لا نختار موتاً هنيئاً ، وانتقالاً شريفاً ، ومغادرة يعلوها وسام الفائزين.. وهذا هو المطلوب منك أيّها الشابّ العزيز حينما ندعوك لأن تكون عظيماً في حياتك بالدين والعبادة والأخلاق والصلاة وبثقافتك المسجديّة الواعية..

وغداً يسألك الله عن هذا النوع من الهدفيّة التي يجب أن تعيشها اليوم وتتكامل بمعطياتها وعلى هداها ، هذا هو معنى العبادة لله وحده جلّ جلاله ، وغيره من الأنبياء والأئمّة والصالحين نتّخذهم الوسيلة إليه سبحانه كما أمرنا في كتابه الحكيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

الموت إذن.. محطّتنا الأُولى على جناح السفر إلى الآخرة، به نذهب إلى لقاء الله لنرى نتائج الامتحانات التي خضناها في عالم الدنيا الضيّقة والعمر المحدود ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ ﴾[٢]. وهذا عدل ربّنا القادر على كلّ شيء، ليجزي الصالحين والمحسنين على صلاحهم وإحسانهم، ويجزي الكافرين والظالمين والفاسقين على ما اقترفوا من سيّئات بحقّ أنفسهم وحقّ الآخرين من البشر.

فالموت ضمانة التديّن لمن تذكّره، وعاش هاجس القبر وما بعد القبر، فلو أنّ الذين يعصون الله، ويظلمون الناس، ويفسدون في الأرض كانوا يفهمون الموت جيّداً لما كانوا يأتون بهذه المناكير التي تخجل منها الضمائر، وتنتكس أمامها المنائر استحياءاً..

ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام: « **ذِكْرُ الْمَوْتِ يُميتُ الشَّهَوات في النَّفْسِ، وَيَقْطَعُ منابتَ الغفلةِ، ويُقَوّي القلبَ بمواعدِ اللهِ، ويُرِقُّ الطبعَ، ويَكسِرُ أعلامَ الهوى، ويُطْفِئُ نارَ الحِرصِ، ويُحَقِّرُ الدُّنيا** »[٣].

وما أجمل ما يعظنا به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: « **إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا، وأوّل يوم من أيام الآخرة مُثّل له ماله وولده وعمله.**

**فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً، فما لي عندك ؟**

---

(١) المائدة ٥: ٣٥.

(٢) لقمان ٣١: ١٦.

(٣) المحجّة البيضاء: ٢٤٢/٨.

فيقول: خذ منّي كفنك.

قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً، وإنّي كنت عليكم محامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك نواريك فيها.

قال: فيلتفت إلى عمله، فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً، وإن كنت علَيَّ لثقيلاً، فماذا لي عندك؟

فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أعرض أنا وأنت على ربّك.

قال: فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً، وأحسنهم منظراً، وأحسنهم رياشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنّة نعيم ومقدمك خير مقدم.

فيقول له: مَن أنت؟

فيقول: أنا عملك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنّة، وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجّله وإذا أُدخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟

فيقول: الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد ﷺ.

فيقولان له: ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[١]، ثمّ يفسحان له في قبره مدّ بصره، ثمّ يفتحان له باباً إلى الجنّة، ثمّ يقولان له: نم قرير العين، نوم الشابّ الناعم، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾[٢].

قال: وإن كان لربّه عدوّاً، فإنّه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً ورؤياً، وأنتنه ريحاً، فيقول

---

(١) إبراهيم ١٤: ٢٧.

(٢) الفرقان ٢٥: ٢٤.

له : ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم . وإنّه ليعرف غاسله ، ويناشد حملته أن يحبسوه ، فإذا أُدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ، ثمّ يقولان له : من ربّك ؟ وما دينك ومن نبيّك ؟ فيقول : لا أدري .

فيقولان : لا دريت ، ولا هديت ، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله عزّ وجلّ من دابّة إلّا وتذعر لها ما خلا الثقلين ، ثمّ يفتحان له باباً إلى النار ، ثمّ يقولان له : نم بشرّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ حتّى أنّ دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتّى يبعثه الله من قبره ، وإنّه ليتمنّى قيام الساعة فيما هو فيه من الشرّ .

وقال جابر : قال أبو جعفر عليه السلام : « قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّي كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها ـ وليس من نبيٍّ إلّا وقد رعى الغنم ـ وكنت أنظر إليها قبل النبوّة وهي متمكّنة في المدينة ما حولها شيء يهيجها حتّى تذعر فتطير ، فأقول : ما هذا ، وأعجب حتّى حدّثني جبرئيل عليه السلام أنّ الكافر يُضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلّا سمعها ويذعر لها إلّا الثقلين .

فقلت : ذلك لضربة الكافر ، فنعوذ بالله من عذاب القبر »[١] .

---

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام : ٣٢٧/٧ و ٣٢٨ .

# السؤال السادس: هل من دليل على الغيب من غيرنا؟

قامت الجمعيّة الروحيّة في باريس باتّصالات مع بعض الأرواح المتفاوتة في الشقاء والسعادة، وإليك مقطع من تلك المقابلات التي تكشف عن وجود حقيقة وراء هذا العالم، قد استطاع بعض تلك الأرواح أن ينقلها لأساتذة فنّ التحضير، لقد نقلتها بلغتها الخاصّة والتي تفقد دقّتها أيضاً عند الترجمة إلى اللغة العربيّة، رغم ذلك نقرأ مقتطفات من تلك الرسائل الواردة في كتاب الإنسان روح بلا جسد لمؤلّفه د. رؤوف عبيد من الصفحة **٤٦٤** إلى **٤٨٣**.

اخترنا نموذجين: واحداً لامرأة فاجرة، والآخر لقاتل لم يعترف بوجود الله. تأمّلي أُختي القارئة، وتأمّل أخي القارئ.. كم يلتقي مضمون تصريحاتهما مع المفاهيم الإسلاميّة في الماورائيّات:

النموذج الأوّل هي سيّدة اسمها كلير = ***Claire*** عرفها الوسيط أثناء حياتها الأرضيّة، وكان خُلقها وسلوكها يبرّران كلّ التبرير ما احتملته من آلام، فقد كانت من صفاتها الأنانيّة المفرطة، وكانت شخصيّتها تنعكس في رسالتها الثالثة التي طلبت فيها من الوسيط ألّا يشغل نفسه بأحد سواها، وقد وردت رسائلها في أوقات مختلفة، وكانت الثلاث الأخيرة منها تشير إلى تقدّم محسوس لديها في صفاتها كروح بفضل اهتمام الوسيط الذي أخذ على عاتقه عناء العناية بها:

١ - ها أنذا كلير الشقيّة، فماذا تريد أن تتعلّم منّي؟ إنّ القناعة والأمل لفظان أجوفان لمن يعلم أنّ آلامه ستطول على مرّ القرون، ولا نهاية لها. وتقول مع ذلك إنّه يمكنني أن أُخفّف منها، فأيّ لفظ غامض هذا، وأين أجد الشجاعة والأمل؟!

فلتحاول أيّها العقل المحدود أن تفهم ما معنى يوم لا نـهاية له ، أهـو يـوم أم عـام أم قرن ! إنّي لا أعلم شيئاً عن ذلك لأنّ الساعات لا تجزّئه ، والفصول لا تغيّر منه ، بل هو أبديّ وبطيء كالماء الذي يخرج من الصخر.. إنّي أتألّم ولا أرى شيئاً حولي سوى ظلال صامتة وغير مكترثة بي . إنّي أتألّم.. ولكنّي أعلم مع ذلك أنّـه فـوق كلّ هذا الشقاء يحكم الله الأب الذي يتّجه إليه كلّ شيء . إنّي أُريـد أن أُفكّـر فـيه وأن أبتهل إليه » .

٢ـ « إنّ شقائي يزداد يوماً فيوماً بقدر ما تزيد مـعرفتي عـن الأبـديّة . تـبّاً لك أيّها الشقاء !كم ألعنك أيّتها الساعات الآثمة ، ساعات الأنانيّة والنسيان التي تجاهلتُ فيها كلّ برّ وكلّ إخـلاص ، ولم أُفكّـر إلّا فـي هـنائي الشـخصي ! كـم أنت جـديرة بالاحتقار أيّتها التدابير البشريّة ، وأيّـتها المشـاغل المـاديّة التـافهة . عـليكم اللـعنة أنتم الذين غررتم بي وأعميتموني ، لكم يحزّ في نفسي ندم لا ينقطع كلّما تذكّرتُ الزمن الذي أمضيته.. ماذا أقول لك يا مَن تصغي إليّ ؟ اسهر على نفسِك بنفسِك بلا انقطاع ، وأحْبب الآخرين أكثر من نفسك ، ولا تتلكّأ في طريق الخير ، ولا تغذّي جسدك على حساب روحك . اسهر كما قال السيّد لتلاميذه . لا تشكرني على هذه النصائح فإنّ روحي تدركها ولكن قلبي لم يصغ إليها أبداً » .

٣ـ تقول روح كلير للوسيط : « ها قد حضرتُ أبحث عنك في هذا المكان لأنّك نسيتني . أتعتقد أنّ صـلوات مـتقطّعة يُـنطق فـيها بـاسمي تكـفي لتـخيف ألمـي ؟ كلّا وألف كلّا . إنّي أذوب همّاً ، وأهيم بلا راحة ولا مأوى ولا أمل ، شاعرة بسيف العقاب الأبدي مصلتاً على روحي الثائرة . إنّي أضـحك ـأتـعجّب ـ عـندما أسـمع شكواكم وعندما أراكم مغلوبين على أمركم ! ماذا تعدّ أحزانكم الباهتة ودموعكم . وماذا تعدّ متاعبكم التي تنقطع أثناء النوم ، أنا هل أنام ؟ إنّي أُريد ـهل تسمعني ؟ ـ أريد أن تتركوا بحوثكم الفلسفيّة ، وأن تهتمّوا بي ، وأن تجعلوا الغير يهتمّ بي أيضاً .

إنّي لا أجد ألفاظاً أُعبّر بها عن ضيق هذا الزمن الذي انقضى دون أن تحدّده الساعات ، لكنّي أرى بصيصاً من أمل أعطيتني إيّاه فلا تهجرني إذن » .

٤ ـ وهنا أمْلَتْ روح القدّيس لويس = *Saint Louis* البيان التالي عن روح هذه البائسة : « هذا تصوير صادق لا زيادة فيه ، ولعلّ المرء يتساءل عمّا فعلتْ هذه المرأة حتّى تصبح بائسة إلى هذا الحدّ ، فهل ارتكبت جريمة نكراء من سرقة أو اغتيال ؟ كلّا إنّها لم تأتِ ما يستحقّ عدالة البشر ، بل كانت تتمتّع على العكس من ذلك بما تسمّونه السعادة الدنيويّة : جمال ، وثروة ، ومباهج ، واستهتار. لم يكن ينقصها شيء ، بل كان الكلّ يرمقها ويحسدها على حالها قائلاً: كم هي سعيدة هذه المرأة ، فماذا أتت ؟

لقد كانت أنانيّة ، كان لديها كلّ شيء عدا القلب الطيّب ، فإذا كانت لم تنتهك قانوناً بشريّاً ، فإنّها انتهكتْ ناموس الله بأنْ أنكرتْ أُولى الفضائل ـ وأقصد البرّ ـ لم تحبّ سوى نفسها ، فلا يحبّها الآن أحد . لم تُعْطِ شيئاً ، فلا تُعطي الآن شيئاً . إنّها منفردة ووحيدة ومهجورة يغمرها الفضاء ، لا يفكّر فيها أحد ، ولا يشغل نفسه بها ، وهذا هو عذابها .

ولأنّها لم تبحث إلّا عن متع الدنيا ، وهي لا توجد الآن ، فإنّها تشعر من حولها بفراغ ، ولا تشاهد سوى العدم ، والعدم يبدو لها كأنّه الأبديّة ، فهي لا تحسّ تعذيباً أبديّاً يقوم به الأبالسة ، كلّا لأنّ ذلك لا ضرورة له ، بل هي تعذّب نفسها بنفسها فتتألّم أكثر فأكثر ، لأنّ هذه الأبالسة كانت ستكون كائنات وكانت ستفكّر فيها . كانت الأنانيّة نعيمها على الأرض ، لكنّها تطاردها الآن ، وأصبحت لها بمثابة الدود الذي يأكل قلبها وإبليسها الحقيقي .

سأُحدّثكم عن الفارق الكبير بين الخُلق الإلـٰهي والخُلق الإنساني ، الأوّل : يساعد المرأة الساقطة في عزلتها ويقول للخطاة : توبوا تُفتح لكم ملكوت السمٰوات . الخُلق

الإلٰهي يتقبّل كلّ توبة ، ويغتفر كلّ خطيئة يُقِرّ بها صاحبها حين ترفض ذلك أخلاق البشر التي تتقبّل رغم ذلك الخطايا المستورة ، وتغضي عنها نصف إغضاءة . الأوّل يمنح المغفرة ، أمّا الثاني فيشجّع الرياء . فاختاري أيّتها الأرواح المتلهّفة على معرفة الحقيقة بين السماوات المفتوحة للتوبة ، بين تسامح البشر الذي يقبل الشرّ طالماً كان لا يكشف عن كبريائنا وتدبيراتنا الزائفة ، لكنّه تسامح يستنكر مع ذلك العاطفة ونزوات الأخطاء إذا اعترفنا بها في وضح النهار . فتوبوا يا جميع الخطاة وارجعوا عن الشرّ ، لكن ارجعوا بوجه خاصّ عن الرياء الذي يغطّي قبح نفوسكم ، وانبذوا هذا القناع الضاحك الخدّاع الذي تواضعتم عليه » .

ثمّ توقّفت الروح بغتة وتدخّلت الروح المرشدة للوسيط ، واسمها جورج على النحو الآتي : « لقد كان فليكس سطحيّاً في آرائه وإحساساته ، عنيفاً ، لأنّه كان ضعيفاً شهوانيّاً ، لأنّه كان فاتر العاطفة ، فدخل عالم الروح عاري النفس كما كان في عالم المادّة الذي لم يستفد منه شيئاً ، فعليه أن يستأنف كلّ شيء من جديد ، وكإنسان يستيقظ من حُلْم طويل كيما يرى كم كان مضطرب الأعصاب ، فإنّ هذا البائس سيعرف ـ عند خروجه من اضطرابه ـ أنّه عاش في الأوهام التي ضلّلت حياته ، فيلعن الماديّة التي جعلته يتعلّق بالأجوف من الأُمور ، معتقداً أنّه على حقّ . كما يلعن الواقعيّة التي كانت تجعله يسمّي الحياة المستقبلة حُلماً ، والتطلّع إليها جنوناً ، والإيمان بالله ضعفاً . . سيرى المسكين عند يقظته أنّ هذه الأسماء التي استبعدها كانت أسماء الحقيقة ، وأنّ صيد الفريسة كان أقلّ نفعاً له من صيد الضلال على عكس ما هو وارد في الأُسطورة » .

**النموذج الثاني :** شخص يُدعى ليمير ـ يبدو أنّه قتل أبناءه ـ حُكِم عليه بالإعدام من محكمة جنايات الإين ، ونُفّذ فيه بتاريخ **١٨٥٧/١٢/٣١**م فأحضروا روحه بتاريخ **١٨٥٨/١/٢٩**م ، فقال : إنّي هنا .

س : **ما شعورك لدى رؤيتنا ؟**

ج : الخجل .

س : **هل حافظت على إدراكك حتّى اللحظة الأخيرة ؟**

ج : نعم .

س : **وهل أدركتَ وجودك الجديد عقب تنفيذ الحكم مباشرة ؟**

ج : غمرني اضطراب كثيف لم أخرج منه بعد ، كما شعرتُ بألم هائل ، وخُيّل إليّ أنّ قلبي تألّم منه ، ثمّ رأيت شيئاً لا أعرفه يتدحرج تحت قدَمَ المقصلة ، ودماً يسيل ، وأصبح ألمي أشدّ قوّة .

س : **وهل كان هذا الألم جثمانيّاً مثل الألم الناجم من جرح كبير ، كبَتْر عضو مثلاً ؟**

ج : كلّا .. بل تخيّلوا تأنيب الضمير لأنّه ألم معنوي عظيم .

س : **متى بدأت في الإحساس بهذا الألم ؟**

ج : بمجرّد أن تحرّرت .

س : **هل الروح أم الجسد هو الذي أحسّ بالألم المادّي الناجم عن التنفيذ ؟**

ج : كان الألم المعنوي في روحي ، وأمّا الجسد فقد أحسّ بالألم الجسدي ، لو أنّ الروح رغم انفصالها أحسّت به أيضاً .

س : **هل شاهدتَ جسدك وهو مقطوع الرأس ؟**

ج : شاهدتُ شيئاً ليس له شكل محدّد بدا لي كأنّه لم يغادرني ، ومع ذلك أحسستُ بذاتي كاملة وأنّي أنا نفسي .

س : **وما هو الأثر الذي تركه فيك هذا المنظر ؟**

ج : أحسستُ بألمي رهيباً واستغرقتُ فيه .

س : **هل من الصحيح أنّ الجسد يحيا لبضع لحظات بعد فصل الرأس ، وأنّ من يُقتل يحتفظ بإدراكه ؟**

ج : الروح تنسحب تدريجيّاً ، وبقدر ما تقيّدها أواصر المادّة بقدر ما تطول لحظة الانفصال .

س : **قيل إنّه لوحظ أنّه بَدَتْ على وجوه بعض مَن نفّذ فيهم الإعدام تعابير الخَنَق وحركات معيّنة كما لو كانوا يريدون أن يتكلّموا ، فهل ذلك نتيجة تقلّص عصبي أم هو عمل إرادي ؟**

ج : إرادي ، لأنّ الروح لا تكون قد انسلخت بعدُ .

س : **ماذا كان إحساسك الأوّل عندما دخلتَ في وجودك الجديد ؟**

ج : ألم لا يُطاق ، ونوعٌ من وخْز الضمير كنتُ أجهل سببه .

س : **هل اجتمعتَ بشركائك الذين أُعدِموا معك في نفس الوقت ؟**

ج : كان اجتماعنا للأسف تعذيباً مستمرّاً لنا ، فكلّ منّا يسند إلى الآخر جريمته .

س : **هل ترى ضحاياك ؟**

ج : أراهم وإنّهم سعداء ، وتطاردني نظراتهم ، كما أُحسّ بها تنفذ في أعماق نفسي وأُحاول عبثاً الهرب منها .

س : **وبماذا تشعر عند مرآهم ؟**

ج : خزياً وتأنيباً في الضمير ، فقد قمتُ بتربيتهم بيدي ، ومع ذلك فلا زلتُ أمقتهم .

س : **وبماذا يشعرون عند مرآك ؟**

ج : بالإشفاق .

س : **هل بهم حقد أو رغبة في الانتقام ؟**

ج : كلّا ، بل هم يطلبون لي المغفرة ، إنّه ليس بمقدوركم أن تتصوّروا مطلقاً

أيّ تعذيب رهيب ينبغي أن يؤدّيه المرء نحو مَن يكرهه.

س: **هل تأسف على حياتك الأرضيّة ؟**

ج: لستُ آسفاً إلّا على جرائمي، ولو عاد الأمر بيدي من جديد لما سقطتُ بعد الآن.

س: **هل كان الميل إلى الشرّ طبيعة فيك أم دفعك إليه الوسط الذي عشت فيه ؟**

ج: كان الميل إلى الجريمة في طبيعتي، إذ كنت روحاً سفليّة، وأردت أن أرتفع بغتة، فتطلّعت إلى أكثر ممّا تتحمّل طاقتي، حسبت نفسي قويّاً، فاخترت محنة قاسية واستسلمت إلى غواية الشرّ.

س: **هل كنت تترك حياة الإجرام لو أنّك تلقّيت مبادئ تعليميّة طيّبة ؟**

ج: نعم، ولكنّي اخترتُ الوضع الذي وُلِدتُ فيه.

س: **هل كان بمقدورك أن تكون إنساناً صالحاً ؟**

ج: بل إنساناً ضعيفاً وعاجزاً عن الخير والشرّ معاً. لئن كان بمقدوري إصلاح طبيعتي الشرّيرة أثناء وجودي، فإنّه لم يكن بمقدوري السموّ إلى حدّ فعل الخير.

س: **هل كنتَ تؤمن بالله أثناء حياتك ؟**

ج: كلّا.

س: **ومع ذلك يقال أنّك ندمتَ ساعة التنفيذ ؟**

ج: بل آمنتُ بإلهٍ منتقمٍ وخشيتُ عدالته...

ينتهي هذا الحوار بين عضو الجمعيّة الروحيّة في باريس مع اثنين من أهل النّار..

وأنا أُلحق نموذجاً ثالثاً.. في عام ٢٠٠٦م سافرتُ إلى الدانمارك لمدّة شهر واحد، وكانت لي جلسات حواريّة عديدة مع الأجانب الذين اعتنقوا الإسلام،

وذلك للإجابة على أسئلتهم وإعطائهم المزيد من التوعية بعقائد وأحكام مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وغالباً أبدأ كلامي بالسؤال منهم عن السبب الذي جعلهم يعتنقون الإسلام ، فسألت فتاة مسيحيّة جامعيّة ( **٢٢** سنة ) عن سبب اعتناقها الإسلام ؟

قالت : «كانت عندي صديقة مسلمة مصريّة ( **٢١** سنة ) تعيش مع أُسرتها في الدانمارك منذ سنوات ، وكنّا نذهب إلى (الديسكو) وهي تفرط في شرب الخمر والخروج مع الشباب !

وفوجئنا بموتها ، وكان السبب انفجار في المخّ ، وحينما أدخلوها القبر كنتُ حاضرةً أُشاهد المراسم ، وأُمرّر على ذهني شريط ذكرياتي معها منذ كنّا في المدرسة الابتدائيّة .

وفي تلك الليلة رأيتها في منامي ، وإذا قبرها ينفتح بوجهي وأراها تحترق بالنار ، وهي تمدّ يدها نحوي وتستغيث بي ، وأنا لا أقدر فعْل أي خدمة لها . . غير أنّي كنتُ أتألّم لها بشدّة ، وبلغ بي الخوف حدّ الفزع الذي أيقظني من النوم مرعوبة !

بدأت أُفكّر كثيراً . . فذهبتُ إلى صديقتي ، وهي من عائلة بحرينيّة ملتزمة تدرس معي في الجامعة ، حكيتُ لها رؤياي ، فتكلّمت معي عن الله والعقيدة والدين الإسلامي والجنّة والنار ، أقنعتني أنْ أُغيّر كامل حياتي قبل أن أُبتلى بما ابتُليتْ به صديقتي المصريّة المتمرّدة على دينها » .

وصدق الله ربّنا عزّ وجلّ إذ يقول : ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾[١] .

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[٢] .

---

(١) الإسراء ١٧ : ١٣ و ١٤ .

(٢) يس ٣٦ : ١٢ .

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾(١).

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٢).

والآن.. ماذا تقرّر مع نفسك أيّها الشابّ المسلم ؟

والشاعر يقول:

يا مَن بِدُنياهُ اشْتَغَل    قد غرّه طولُ الأمَل
الموتُ يأتي بَغتةً    والقَبرُ صُندوقُ العَمل

فبدل التفكير السلبي من موقع الحائر الضائع استذكرْ كم من عمرك قد تَصَرّم.. وكم من أيّامك قد انقضتْ.. وكم من أنفاسك قد أوشكتْ أن تُحْبَس، وأنت لا تزال لم ترتّب أوراقك، ولم تهيّئ ملفّاتك، فتتذكّر الذين ماتوا من قبلك كيف وجدوا الموت ؟ وكيف ينظرون إلى الأحياء ؟ ثمّ تسأل نفسك: متى موعدك ؟ وكيف تخرج من هذه الدنيا ؟

اقرأ بتأمّل قول خبير العقيدة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: **إنَّ أَخْيَبَ النَّاسِ سَعْياً، وَأَخْسَرَهُمْ صَفْقَةً، رَجُلٌ أَتْعَبَ بَدَنَهُ في آمالِهِ، وَشُغِلَ بِها عَنْ مَعادِهِ، فَلَمْ تُساعِدْهُ الْمَقاديرُ عَلَىٰ إرادَتِهِ، وَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَىٰ آخِرَتِهِ بِغَيْرِ زادٍ»**(٣).

واقرأ الحديث التالي المرويّ عن حفيده الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

**«كَفَىٰ بِالتَّجارُبِ تَأْديباً، وَبِمَمَرِّ الأَيّامِ عِظَةً، وَبِأَخْلاقِ مَنْ عاشَرْتَ مَعْرِفَةً، وَبِذِكْرِ**

---

(١) التغابن ٦٤: ٧.

(٢) المجادلة ٥٨: ٦.

(٣) أعيان الشيعة: ١٦٨/٣.

**الْمَوْتِ حاجِزاً مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعاصي ، وَالْعَجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُحْتَمِينَ مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ مَخافَةَ الدّاءِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِم ، كَيْفَ لَا يَحْتَمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ مَخافَةَ النّارِ إِذا اشْتَعَلَتْ في أَبْدانِهِمْ»**[1].

فآمِنْ بالغيب أيّها الشابّ ، وقلْ معي : اللّهمّ لا تُخْرِجْنا من الدُّنْيا حتّى ترضى عنّا ، وإذا أخرجتَنا فاجْمَعْ بيننا وبين المصطفى محمّد وآله خير الورى حتّى الأبد .

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ٢٠٣ .

## السؤال السابع: فما هو المطلوب الآن؟

أن تأخذ دور الصالحين لتكون منهم، وتسير على نهج العظماء لتغدو أحدهم، وكذلك كان الصالحون والعظماء بالنسبة لمن قبلهم، فهم لم يولدوا كما صاروا.. بل ولدوا كما أنت وأنا، ثمّ اكتشفوا أنفسهم وقيمة وجودهم، ومخزون طاقاتهم، فعملوا من أجل هدفهم، ودفعوا ثمن جنّتهم، ولم يتنازلوا عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم وشرفهم وعزّتهم وكرامتهم..

هؤلاء هم المتّقون الذين وصفهم الإمام الباقر عليه السلام أنّهم: «**أَخَّروا شَهَواتِهِمْ وَلَذّاتِهِمْ خَلْفَهُمْ، وَقَدَّموا طاعَةَ رَبِّهِمْ أَمامَهُمْ**»[1].

إنّك أيّها الشابّ الغالي تستطيع أن تصنع من نفسك واحداً من هؤلاء الذين ربحوا دنياهم، ورحلوا عنها إلى جائزتهم الكبرى في نعيم الجنّة بشرط أن تكتشف نفسك، وتعرف قيمتك، وتعمل لعلوّها ورفعتها، عند ذلك سوف لن تنبهر بعبَدَة الشياطين، وفسقة الدنيا، وأهل المعاصي والذنوب، وسوف ترفض أن تعيش كالبهائم التي تفترس ضحيّتها، وتوشِك أن تكون هي ضحيّة لغيرها عاجلاً أم آجلاً.. وهل أهل الهوى إلّا هكذا؟!

فإن كنتَ من هذا الواقع، لا تستسلم له.. فإنّك يمكنك أن تنتزع من هذه الحياة البهيميّة الرديئة حياةً أبديّة في السعادة تكون بها غاية في الراحة والبهجة والسرور.. ولكن بشرط الخروج من شلّة أصدقاء السوء وصديقات الهوى، والابتعاد

(١) تحف العقول: ٢٠٩.

عن الموضات الغربيّة الساقطة ، والتجوّل في المجمّعات ذات المنزلقات الأخلاقيّة ، وقطع العلاقات المحرّمة ( الزنا واللواط والسحاق والعادة السريّة والخيانات الزوجيّة ) التي يقبّحها الغربيّون أنفسهم .. وأن لا تنظر إلى مثيرات الشهوة ، كالأفلام المبتذلة ، وتبادل الرسائل الإلكترونيّة ( المسجات ) الرخيصة ، ولا تفكّر في صيد التشات وغرف البالتوك والماسنجر ..

ما بال فتياتنا وشبابنا يقلّدون الساقطين والساقطات من نجوم الفضائيّات الذين ماتت فيهم الغيرة ، وذهب عنهم الحياء ، ولماذا لا يقلّدون الناجحين والناجحات والشرفاء ومَن جعلوا أنفسهم ثمناً للجنّة ، وترفّعوا عن الرذائل وعن الحقراء .

إنّ في الغرب توجد جوانب مشرقة يمكن لشبابنا وفتياتنا الأخذ منها على خطّ التلاقي بين الحضارات الإنسانيّة ، وعلوم الطبّ ، وفنّ الإدارة ، والتنظيم المدني ، والتكنولوجيا ، وثقافة الحياة العامّة ، فلماذا لا نكون كالنحل في اختيار الزهور الطيّبة وتجنّب الخبائث التي تنخر في إيجابيات الغرب وتئنّ منها شعوبها ، وتكاد تنتهي بسببها حسب نداءات الفاتيكان وعقلاء تلك المجتمعات ؟ !

أسألكم بالله .. هل الذين اخترعوا وصنعوا التكنولوجيا ، ويديرون المؤسّسات الكبرى في العالم الغربي هم من روّاد الملاهي والبارات والمراقص والجنس الحرام والليالي الحمراء وتعاطي المخدّرات ، أم ممّن يتعبون أنفسهم بالدراسة والقراءة والكتابة والتفكير والتحليل ، ويمضون أوقاتهم في المختبرات والجامعات والجلسات التشاوريّة الطويلة ؟ !

يجب أن يعرف شبابنا أنّ هناك في الغربيّين فئة العنصريّين الصليبيّين والصهاينة بالذات .. لا يريدون لنا أن ننتج حضارة بديلة عن حضارتهم الآيلة للسقوط ، فروّجوا الفساد بين شبابنا عبر شبكة عالميّة عنكبوتيّة منتشرة في كلّ مكان ( برّاً وجوّاً وبحراً ) تسمّى العولمة ، يُراد منها تذويب الشعوب في ثقافة بهيميّة مسحوقة تحت أوامرها

السياسيّة وتجاراتها العالميّة وثرواتها العملاقة و...

فهل ينتبه الشابّ المسلم أم يختار لنفسه أن يكون كالبهيمة المربوطة في زرائب العدوّ.. همّها عَلَفها من أفلام، وأفيون، ومخدّرات، وشهوات، وأكلات المطاعم المشبوهة، والحفلات المحرّمة، وأغاني المجون والإثارة، وسراب التبرّج، والخمور، والدعارة، ليكون وسيلة لمزيد أرباح شركات الصليبيّين والصهاينة!

هذا هو العلف الذي يقدّمه الكفّار والمشركون وأعداء الأُمّة إلى شبابنا الذين يرتعون في حقولهم ومزارعهم، وهم لا يعلمون ما وراءهم من موتٍ وقبر ووحشةٍ وضغطةٍ وضربة سياطٍ من نيران حارقةٍ للجسم والروح إلى أبد الآبدين.. وما ينتظرهم من عذاب النار يوم القيامة أكبر، لمسايرتهم أعداء الإسلام والأُمّة في إفساد المجتمع المسلم، وتجنيد أقرانهم من الشباب لخَلْق أرضيّة يستعمرون بها بلادنا، وينهبون عبرها ثرواتنا، ويستعبدون شعوبنا، ويدمّرون الدين، ويستهزؤون بنبيّنا وأتباعه المتديّنين..

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إنَّ أوَّلَ ما عُصِيَ اللهُ بِهِ سِتَّةَ أشياءٍ: حُبُّ الدُّنْيا، وحُبُّ الرِّئاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرّاحَةِ، وَحُبُّ النِّساءِ»**[١].

فليعرف الواحد منّا من أيّ فصيل يريد أن يكون؟!

هل من البهائم، بل وأضلّ سبيلاً؟

أم من الملائكة، بل وأرفع درجات منها؟

يقول الإمام عليّ عليه السلام: **«إنَّ اللهَ رَكَّبَ في الْمَلائِكَةِ عَقْلاً بِلا شَهْوَةٍ، وَرَكَّبَ في الْبَهائِمِ**

(١) مجموعة ورّام: ٢/٢٠٥.

**شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ ، وَرَكَّبَ في بَنِي آدَمَ كِلْتَيْهِما ، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهائِمِ»**(١) .

إنّ ما يطلبه ربّك منك أيّها الإنسان الغافل هو أن ترحم نفسك بالعبادة التي خُلِقت لتمارسها من وحي الحُبّ والمعرفة والإخلاص وصدق النيّة .. فتكون الشخصيّة المؤمنة ، المعتدلة ، المرموقة ، الهادفة ، المُحبّة للخير ، والناشطة لتعميم النفع بين الناس ..

وعكسه هو ما يريده منك شياطين الإنس والجنّ ، فما أنت فاعل بنفسك بعد هذا ؟ وأين تضع وقتك الآن ومصيرك غداً ؟ ..

يقول الإمام عليّ عليه السلام : **«اتَّقِ اللهَ في نَفْسِكَ ، وَنازِعِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ ، وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ ، وَاجْعَلْ للهِ جِدَّكَ»**(٢) .

كن هكذا أو لا تحمل معك علامات الدين فتسيء لسمعته وتشوّه صورة المتديّنين ..

يقال : إنّ الاسكندر أحضر أحد جنوده وكان يكثر الهروب من المعارك ، فسأله أوّلاً عن اسمه ، فأجاب الجندي : اسمي اسكندر !

فقال له القائد : إمّا أن تغيّر اسمك أو تغيّر فعلك !!

ذات مرّة سألني أحد الشباب عبر رسالة الكترونيّة ( المسج ) عن نصيحة جامعة ، مطلوب منه العمل بها .

فكتبت له : ينبغي للإنسان في هذا الزمان المفتتن بأنواع الفتن ..

١ ـ أن ينظر إلى ما حوله بعين البصيرة القرآنيّة قدر ما يستطيع .

---

(١) علل الشرائع : ١٠٢/١ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ٢٦٩ .

٢ ـ أن يرى الأُمور منفرجة على قاعدة : إذا اشتدّتْ فُرجتْ ، وأنّ الله أعلم بمصالح المؤمنين من أنفسهم .

٣ ـ أن يبذل الإنسان غاية مجهوده من أجل القيم الأخلاقيّة .. ترسيخها في نفسه ، وتوسيع مساحتها في المجتمع .

٤ ـ أن يقرأ مختلف الآراء بحياديّة ، ويختار ما يناسب موقعه بحرّيّة تامّة ، ثمّ لا يبالي إلّا برضا الله عنه .

٥ ـ أن يسعى لإصلاح ذات البين ، ويضخّ دائماً في روافد التقريب والمحبّة ، وثقافة العفو بين الناس .

٦ ـ أن يعمل للثراء ولكن بشرط السخاء والتديّن ، وتطهير المال بالزكاة والخمس والصدقات .

٧ ـ أن لا ينسى بأنّ الموت حقّ ، والقبر إمّا روضة من رياض الجنّة ، أو حفرة من حفر النيران .

# السؤال الثامن : ما هو أثر العقيدة الدينيّة والإيمان بالله ؟

في كتاب ( ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام ) لمؤلّفه السيّد شهاب الدين العذاري ، قرأتُ لك ما يلي :

الإنسان مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى ، حيث يبدأ منذ الطفولة بالتساؤل عن نشوئه ونشوء الكون ، وعن العلّة من وراء ذلك ، والإيمان بالله من (أهمّ القيم التي يجب غرسها في الطفل .. ممّا سوف يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق ، ويوجد عنده الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف الآثام )[١] .

والإيمان بالله حاجة ضروريّة ، وفي هذا الصدد قال المفكّر الأجنبي ( باسكال ) : « كلّ شيء غير الله لا يشفي لنا غليلاً »[٢] .

ويرى الفيلسوف ( الدوس هكسلي ) أنّه : « لا تستريح البشريّة حتّى يتجرّد الإنسان من عوائقه ونزعاته ، ولا يكون متجرّداً إلّا إذا ارتبط برباط آخر ألا وهو الله »[٣] .

ويرى عالم النفس السويسري ( كارل يونج ) : « إنّ انعدام الشعور الديني يسبّب كثيراً من مشاعر القلق والخوف من المستقبل ، والشعور بعدم الأمان ، والنزوع نحو النزعات الماديّة البحتة ، كما يؤدّي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة ،

---

(١) قاموس الطفل الطبّي : ٢٩٤ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين : ١/٤٨٢ .

(٣) نحو إنسانيّة سعيدة : ١٣٥ .

ويؤدّي ذلك إلى الشعور بالضياع »[١].

هذه المشاعر وما يرافقها من نزوع نحو النزعات الماديّة هي أساس الانحراف الفكري والعاطفي والسلوكي ، وأساس الشرور والآثام ، ولا وقاية إلّا بالإيمان بالله تعالى ، ولا علاج إلّا بتعميق الإيمان في النفوس . .

والإيمان له آثار إيجابيّة في جميع مقوّمات النفس والحياة ، ومنها : الصحّة النفسيّة والعقليّة والخُلقيّة .

ومن أقوال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد :

- **« من عرف الله سبحانه لم يَشْقَ أبداً »** .
- **« التوحيد حياة النفس »** .
- **« الإيمان أمان »** .
- **« من عدم الفهم عن الله سبحانه لم ينتفع بموعظة واعظ »** .
- **« بالإيمان يستدلّ على الصالحات »**[٢] .

والإيمان بالله تعالى باعث للسلوك القويم ، حيث يجعل الخير والصلاح أصلاً ثابتاً لا عارضاً مزعزعاً ، ومن آثار الإيمان على نفس الفرد : التفاؤل ، الانفتاح ، الطمأنينة ، التمتّع باللذّات المعنويّة ، مقاومة الانحراف ، الصبر على المصائب ، التنافس على عمل الصالحات ، وغيرها من مقوّمات الاستقامة وحسن السيرة والسريرة .

ومن آثاره الاجتماعيّة : احترام القوانين والضوابط الاجتماعيّة ، وتقديس العدالة ، والشعور بالأُخوّة والمحبّة بين الأفراد ، والثقة المتبادلة ، والإحساس بالمسؤوليّة

(١) دراسات في تفسير السلوك الإنساني : ١٩٣ .

(٢) تصنيف غرر الحكم : ٨٢ و ٨٤ و ٨٨ .

الاجتماعيّة، الإيثار، نكران الذات، وتقبّل النصيحة، والنقد البنّاء.

ومن هنا فتعميق الإيمان بالله ضروريّ جدّاً في تربية الإنسان، وخصوصاً في مرحلة الطفولة، وهو وحده الذي يحصّنه من الانحراف، ويوجّه ضميره وإرادته وسلوكه نحو الاستقامة والصلاح لإيمانه بوجود قوّة غيبيّة تتابعه في حركاته وسكناته.

والإيمان كما جاء في قول الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: **«وَالْإيمانُ أداءُ الْفَرائِضِ، وَاجْتِنابُ الْمَحارِمِ، وَالْإيمانُ هُوَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإقْرارٌ بِاللِّسانِ، وَعَمَلٌ بِالْأرْكانَ»**(١).

والإيمان التزام عمليّ، واستشعار قلبيّ بالرقابة الإلـٰهيّة.

قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: أوصني.

فقال له: **«لَا يَراكَ اللهُ حَيْثُ نَهاكَ، وَلَا يَفْقِدُكَ حَيْثُ أمَرَكَ**.

فقال الرجل: زدني.

فقال عليه السلام: **ما أجِدُ لَكَ مَزيداً»**(٢).

ويقول عليه السلام أيضاً: **«خِفِ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، وَإنْ كُنْتَ لَا تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»**(٣).

وأقول: ما أروع الصادق من آل بيت نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله حينما يقول: **«لَوْ يَعْلَمُ النّاسُ ما في فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ما مَدُّوا أعْيُنَهُمْ إلىٰ ما مَتَّعَ اللهُ بِهِ الْأعْداءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَياةِ الدُّنْيا وَنَعيمِها، وَكانَتْ دُنْياهُمْ أقَلَّ عِنْدَهُمْ مِمّا يَطَأُونَهُ بِأرْجُلِهِمْ، وَلَنَعِمُوا بِمَعْرِفَةِ اللهِ**

(١) تحف العقول: ٣١٥.

(٢) مجموعة ورّام: ٢/٢٤٦.

(٣) بحار الأنوار: ٦٧/٢٥٥.

**جَلَّ وَعَزَّ، وَتَلَذَّذُوا بِها تَلَذُّذَ مَنْ لَمْ يَزَلْ في رَوْضاتِ الْجِنانِ مَعَ أَوْلِياءِ اللهِ.**

**إِنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ آنَسٌ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَصاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ، وَنورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ، وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ، وَشِفاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ»**[1].

كما ورد في مناجاة سيّد الساجدين الإمام زين العابدين عليه السلام: **«إلٰهي مَنْ ذَا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلاً، وَمَنْ ذَا الَّذي أَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغىٰ عَنْكَ حِوَلاً»**[2].

(١) الوافي: ١/٤٢ و ٤٣.

(٢) كتاب مفاتيح الجنان ـ مناجاة المحبّين.

## السؤال التاسع: كيف تعالج الكسل في العبادة؟

وكأنّي بك في ختام هذا الفصل من الكتاب تريد أن تسألني عن سبيل معالجة الكسل في العبادة، وضمانة نجاح هذه التجربة الإيمانيّة؟

أقول ـ مضافاً لاستيعابك ما ذكرناه ـ: لا بدّ لك من الإحساس بالعبوديّة لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، فتحبُّ الله على ما أنعمه عليك، وأنّك أضعف ما تكون بين يديه، وأحوج ما تكون إليه وفي كلّ حال، هنالك يفتح الله عليك أبواب العجائب من الحقائق، وتتجلّى لك يوماً بعد يوم عظمة الخالق الإلٰه، ويصغر في عينك ما سواه، فيذهب عنك الكسل شيئاً فشيئاً، وتتقوّى فيك روح العزيمة والدوافع نحو الصعود إلى قمّة الخير بتوفيق الله وتسديده المتواصل، وتحت نظره ورعايته..

ولكنّ التعاليم الإسلاميّة توصيك في هذا الحقل الروحاني بالتدرّج والتلطّف مع النفس لقيادتها إلى عبوديّة ربّها بنجاح، فإنّك لو تسرّعت معها أو عنّفتها ستنعكس عليك بمردودها السلبي، وتمهّد لتمرّدها حتّى على الواجبات.

طبيعة النفس تماماً كطبيعة الطفل، فكما يجب أن تربّي الطفل بأُسلوب حكيم تتّخذ فيه من الشدّ والترخية والصبر والمداورة، كذلك النفس يجب أن تناور معها، وتتسامح إلى حدّ الضرورات، ثمّ تعود إليها. وهكذا هو الجسم حينما تريد أن تبنيه على التمارين الرياضيّة، وهكذا هو كلّ شيء تريد تدريبه وفق منهج المراحل..

فالواجبات الشرعيّة هي الحدّ الذي لا يجوز التسامح فيها، وأمّا المستحبّات فأكثِرْ منها عند الرغبة، وامتنع عنها حين التعب، ولكن دون أن تعطيها استراحة طويلة تلعب عليك، وتُنسيك هدفك الرفيع.

يقول النبيّ الأكرم ﷺ : **«إنَّ هٰذَا الدّينَ مَتينٌ ، فَأَوْغِلْ فيهِ بِرِفْقٍ ، وَلَا تُبَغِّضْ إلى نَفْسِكَ عِبادَةَ اللهِ ، فَإنَّ المُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا ظَهراً أَبْقىٰ»**(١).

ويقول الإمام عليّ عليه السلام : **«إنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإقْبالاً وَإدْباراً ، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإقْبالِهَا ، فَإنَّ الْقَلْبَ إذَا أُكْرِهَ عَمِيَ»**(٢).

ونلتقي على هذا الصعيد بكلمة الإمام عليّ رائد المتّقين ، وأسوة العابدين عليه السلام مرّة أُخرى لنقرأ فيها خمس وسائل يبيّنها لترويض النفس بغية الوصول إلى هذه الروح العبوديّة التي يرافقها النشاط الذاتي في الصلاة والدعاء والتواضع بين يدي الحقّ ، واكتساب الدوافع الإيمانيّة الأُخرى للحضور في ميادين العمل التطوّعي ، والتزوّد من مفردات الباقيات الصالحات.. حتّى الصعود إلى درجة الشهادة بعد مرحلة الجهاد والزهد في الدنيا.. وهذه من أعلى مراحل التضحية في سبيل الله ، التي قال عنها رسول الله ﷺ : **«فوق كلّ برّ برّ ، حتّى يقتل الرجل في سبيل الله ، فإذا قُتل في سبيل الله عزّ وجلّ فليس فوقه برّ»**(٣).

حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام : **«العبوديّة خمسة أشياء : خلاء البطن ، وقراءة القرآن ، وقيام الليل ، والتضرّع عند الصبح ، والبكاء من خشية الله»**(٤).

### فعليك :

بقلّة الأكل تدريجيّاً ، ولا يخفى عليك المضارّ الصحّيّة للأكلات الجاهزة ، وما تقدّمه المطاعم من طبخات زائدة الدسومة ، ولحومات مشبوهة ، لا يهمّ

---

(١) السنن الكبرى : ١٨/٣.

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ١٩٣.

(٣) بحار الأنوار : ٦٩/٧١.

(٤) مستدرك الوسائل : ٢٤٤/١١ ، الحديث ١٢٨٧٥.

أصحابها جانب الحلال بقدر ما يهمّهم جانب الربح المالي.

**وعليك:**

بتلاوة كتاب الله بالتأنّي حتّى تفهم معاني الآيات، وتستفيد منها رؤى للحياة الأفضل والنجاح الأكبر.

**وعليك:**

أن تنام أوّل الليل لتقوم وقت السَّحَر، وتصلّي ركعات المتهجّدين، وسجود المستغفرين ـ وتجد تفاصيلها في كتب الأدعية ـ.

**وعليك:**

أن تحاول ترك النوم بين الطلوعين حتّى تطلع الشمس.. وفيه من البركات العجيبة التي ستلمسها بالتجربة، ولا تقدر عليها إلّا بترك السهرات (أفلام، حلقات، مقاهي، شيشة، لعب الورق، تسكّع في الشوارع، جلوس في الطرق، ومجالس الضحك والسمر، وتمضية الوقت، وحرق الصحّة بالتدخين أو إضاعة العمر بالجلسات الطويلة مع الكمبيوتر..).

**وعليك:**

بالبكاء من خشية الله ولو بمقدار دمعة، فإنّ استشعار الحزن يليّن القلب القاسي.. والقلوب القاسية من أهمّ أسباب العنف والكراهية والطلاق والجريمة، وحالات الغضب والعدوانيّة.

بهذا تكون العبوديّة لله علاجاً لجميع أزمات المجتمع النفسيّة والعائليّة والاجتماعيّة والسياسيّة والصحّيّة والماليّة حسب الدرجات ومستوى التعبّد الواعي.

وينتج هذا البرنامج إذا كان بالتفكّر وعدم التشدّد أيضاً على النفس بطريقة الشراسة والعدوانيّة، وحرمانها من الحلال الطيّب في الحدود المعقولة،

بل المطلوب أن يكون السير والسلوك متناسباً مع الجوانب الصحّيّة ، ورعاية الواجبات العائليّة ، والضرورات المعيشيّة ، وتنظيم الوقت حسب الوضع المحيط ميدانيّاً . . وذلك تفادياً من الوقوع في القشريّة الدينيّة والشخصيّة المعقّدة نفسيّاً .

واعلم أنّ من عجائب درب التقرّب إلى الله أنّ الطبيعة الإنسانيّة قد صنعها الله بطريقة الانشداد المتواصل مع الهدف الذي خَلَقه من أجله . فأنت حينما تبدأ خطوتك الأُولى في العبادة بشروطها الصحيحة سيلقي الله في قلبك حبّها ، فتزداد لها حبّاً بعد حبّ ، وإذا بك تكتشف أنّ الخطوة الخالصة الأُولى منك قوبلتْ من الله بعشر خطوات ترحيبيّة إليك ، لأنّ الله يحبّ عبده المخلص . .

والروح لها قابليّة التكامل وامتلاك زمام مبادرة الجسد ، فإن روّضتها حسب المنهج الصحيح في الرياضة الروحانيّة وفق تعاليم الثقلين (كتاب الله والعترة النبويّة ) ، فإنّك تجد ما يجده الإنسان الرياضي الذي ربّى بدنه على البرمجة الرياضيّة الصحيحة .

وترى الفرق بين الجسم الرياضي والجسم الآخر ، هو الفرق بين الروح العباديّة والروح الأُخرى . . أليس الجسم الرياضي (كالمصارع والملاكم ـ مثلاً ـ وكذلك جسم الجندي ) يتحمّل الضربات ويقاوم الشدائد بنسبة عالية ، ولكنّك لا تجد للجسم غير الرياضي وغير العسكري أقلّ مقاومة أمام أبسط ضربة . .

وهكذا هو الأمر بالنسبة للروح التي صارعت الهوى ، ولاكمت رغبات النفس ، وقاومتْ وساوس الشيطان ، فلا تتصوّر أنّ الروح التي لم تكن كذلك وكان قد عوّدها صاحبها على الراحة واللذّة والترهُّل يمكنها أن تصمد أمام الصعوبات ، وتكافح من أجل القيم ، وتجاهد أعداء الأُمّة ، بل هي تستثقل بعض العبادات الاعتياديّة ، مثل صلاة الصبح ، أو الصوم ، أو الحجّ ، أو إعطاء الزكاة ، أو خمس المال ، وما أشبه . .

ومن هنا كانت الطاعة لأوامر الله لذيذة عند الذين روّضوا أرواحهم بعبادة الله ،

وهي ثقيلة على المنافقين الذين قال عنهم ربّنا الكريم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾(١).

ومن هنا أيضاً فإنّ الذين يعيشون بقوّة الروح ، ولذّة العبادة ، وحبّ الطاعة لله سوف تخرج أرواحهم من أبدانهم بقوّة الشوق إلى الجنّة ، ولذّة المعانقة لما أعدّه الله لها ، وحبّ اللقاء بالله الحقّ ، فهي تخرج من الدنيا بحسن العاقبة سهلاً يسيراً . . بينما الذين أحبّوا دنيا الشهوات ، وتلذّذوا في الحرام ، وتقلّبوا في أحضان الشيطان سوف يصعب خروج روحهم ، وتكون عاقبتهم إلى السوء ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾(٢).

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾(٣).

وهذا ما علّمنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الدعاء المعروف بدعاء كميل :

« يَا رَبِّ يَا ربِّ يَا رَبِّ ، قَوِّ عَلَىٰ خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي ، وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوانِحِي ، وَهَبْ لِيَ الْجِدَّ في خَشْيَتِكَ ، والدَّوامَ في الاتِّصَالِ بِخِدْمَتِكَ ، حَتَّىٰ أَسْرَحَ إِلَيْكَ في مَيَادِينِ السَّابِقِينَ ، وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فـي الْمُبادِرِينَ ، وَأَشْتَاقَ إِلىٰ قُرْبِكَ في الْمُشْتَاقِينَ ، وَأَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ الْمُخْلِصِينَ ، وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ الْمُوْقِنِينَ ، وَأَجْتَمِعَ فـي

(١) النساء ٤: ١٤٢ و ١٤٣.

(٢) الروم ٣٠: ١٠ ـ ١٢.

(٣) الروم ٣٠: ١٥.

**جِوَارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ»**(١).

فاستحصل من داخلك عقلاً يعرف هذا الخالق الكريم وعظمته وتفضّلاته، واستحصل قلباً لا يسكنه حبّ غير حبّ الله، وروحاً لا تُخلص العمل إلّا لله، ونفساً لا تشتاق إلّا إلى الجنّة حيث فيها خاتمة محن الدنيا، وبداية حلاوة اللقاء بالله المليك المقتدر، وفرحة لقاء الأنبياء وخاتمهم الرسول الأعظم سيّدنا محمّد، ومعه الأئمّة من أهل بيته والصالحون من أصحابه، وجميع الشهداء على طول التاريخ، الذين ضحّوا للحقّ كي ينتصر في الأرض، وللفضيلة كي تسود الحياة.

فإذا تمّت منك هذه الإرادة، اشتدّت فيك الرغبة للعبادة والدعاء والتقرّب إلى الله تعالى، وهو تبارك شأنه يأخذ بيدك في الأثناء، ويحبّب إليك الأعمال العباديّة، وشخوصك بين يديه، ثمّ يرفعك مقاماً محموداً.. وهنالك يحالفك النجاح في أعمالك التجاريّة والمعيشيّة والدراسيّة، وجميع أنشطتك السليمة، لأنّ الإنسان صاحب النفسيّة المُشعِرة برضا الله عنها يركّز في حركته ويسدّده الله بجنود الغيب.

يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**اذكر الله، فإنّه عونٌ لك على ما تطلب**»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله: لا أطّلع على قلب عبدٍ فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي، وابتغاء وجهي، إلّا تولّيت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين**»(٣).

فلك أن تختار هنا واحدة من الاتّجاهات المشروعة الثلاثة، وأفضلها هو ما اختاره الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**إنّ الناس يعبدون الله تعالى على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه، فتلك عبادة الحُرَصاء، وهو الطمع، وآخرون يعبدونه فرَقاً**

---

(١) المصباح / الكفعمي: ٥٥٩ ـ ٥٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢١/٦٠.

(٣) الجواهر السنيّة / الحرّ العاملي: ١٦٧.

**من النار ، فتلك عبادة العبيد ، وهي الرهبة ، ولكنّي أعبده حبّاً له ، فتلك عبادة الكرام ، وهو الأمن ، لقوله تعالى : ﴿ وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾[١] ، ولقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[٢] ، فمن أحبّ الله أحبّه الله ، ومن أحبّه الله كان من الآمنين »[٣].**

أُختي العزيزة.. أخي العزيز:

جرّب العبادة بهذا المعنى الذي أوضحناه لك لترى نفسك كم ستكون سعيداً من الناحية النفسيّة والروحيّة بطاعتك لله ، وكم ستكون سليماً من الناحية الجسميّة والقلبيّة بتحلّيك بالفضائل الأخلاقيّة ، وكم ستكون ناجحاً من الناحية المادّيّة والتجاريّة ، وكم ستكون مستقرّاً من الناحية العائليّة والاجتماعيّة ، وكم ستكون موفّقاً في حياتك ما دمت ذا نفسيّة طبيعيّة لا تجد أمراض الأعصاب إليك طريقاً..

جرّب فأنت المستفيد الأوّل والأخير ، وأحبّاؤك معك مستفيدون بإذن الله..

وإلى هنا قد أجبنا على أهمّ أسئلتك الفكريّة والعقائديّة ، ونواصل معك المشوار حتّى نهاية الكتاب ، وهنالك ستكتشف مَن أنت أيّها الغالي ؟ وما قيمتك ؟ وما الذي يجب عليك فعله في حياتك ؟ وما هي اللذّة الحقيقيّة التي يمكنك اختصار الطريق إليها من غير عناءٍ وراءه ندم..

وهنالك ستتمسّك بكلمة الإمام عليّ عليه السلام الذي أوصانا قائلاً : **« أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّماظَةَ لِأَهْلِها ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ ، فَلَا تَبِيعُوها إِلَّا بِها »**[٤].

---

(١) النمل ٢٧ : ٨٩.

(٢) آل عمران ٣ : ٣١.

(٣) الخصال : ١٨٨ ، الحديث ٢٥٩.

(٤) نهج البلاغة : الحكمة ٤٥٦.

كم تشمئزّ نفسك لو قدِّم إليك طعام جُمِعَ من بين أسنان الآخرين، وبقايا ما علكوه!! هذا الطعام يسمّى في اللغة العربيّة باللّماظة، وهي تعبير دقيق عن حقيقة الدنيا التي أخذ منها الأموات وتركوا بقاياها لمَن بعدهم.

والإمام عليّ عليه السلام أمير البلغاء، وحكيم الحكماء يدعو الأحرار إلى ترك هذه الدنيا لأهلها، ويترفّع الحُرّ بنفسه الثمينة إلى مستوى الجنّة، فهي الثمن الحقيقي للنفوس المتحرّرة عن الشهوات الرذيلة.

وأزيدك ـ أيّها الشابّ ـ ممّا يُذهِب عنك الكسل، ويرغّب فيك صالح العمل، اقرأ معي المجموعة التالية من أحاديث حبيب الله سيّدنا محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله:

**«إنَّ اللهَ تَعالىٰ يُباهِي بِالشّابِّ العابِدِ المَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إلى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ مِنْ أجلِي»**[1].

وقال صلى الله عليه وآله: **«فَلْيَأْخُذِ العَبْدُ لِنَفْسِه مِنْ نَفْسِه، وَمِنْ دُنْياهُ لآخِرَتِه، وَمِنَ الشَّبيبَةِ قَبْلَ الكِبَرِ، وَمِنَ الحَياةِ قَبْلَ المَوت. وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، ما بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتِب، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيا دار إلَّا الجَنَّةَ أوِ النّارَ»**[2].

وقال سبطه الشهيد الإمام الحسين عليه السلام في موعظة بليغة: **«يَابْنَ آدَمَ تَفَكَّرْ، وَقُلْ: أيْنَ مُلُوكُ الدُّنْيَا وَأرْبَابُهَا الَّذِينَ عَمَرُوا خَرَابَهَا، وَاحتَفَرُوا أنْهَارَهَا، وَغَرَسُوا أشْجَارَهَا، وَمَدَّنُوا مَدَائِنَهَا. فَارَقُوهَا وَهُمْ كَارِهُونَ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَنَحْنُ بِهِمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ.**

**يَابْنَ آدَمَ، اذكُرْ مَصْرَعَكَ، وَفِي قَبْرِكَ مَضْجَعَكَ، وَمَوْقِفَكَ بَيْنَ يَدَي اللهِ، تَشْهَدُ**

(١) كنز العمّال / المتّقي الهندي: ١٥/٧٧٦. ميزان الحكمة: ٢/١٤٠١.

(٢) تفسير الرازي: ٢٥/١٥.

**جَوَارِحُكَ عَلَيْكَ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ، وَتَبْلُغُ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ، وَتَبْيَضُّ وُجُوهٌ، وَتسوَدُّ وُجُوهٌ، وَتَبْدُو السَّرَائِرُ، وَيُوضَعُ المِيزَانُ القِسْط.**

**يَابْنَ آدَمَ، اذكُرْ مَصَارِعَ آبَائِكَ، وَأَبْنَائِكَ، كَيْفَ كَانُوا، وَحَيْثُ حَلُّوا، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ حَلَلْتَ مَحَلَّهُمْ، وَصِرْتَ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِ».**

وأنشد عليه السلام شعراً:

| | |
|---|---|
| **«أَيْنَ المُلُوكُ الَّتِي عَنْ حِفظِهَا غَفَلَتْ** | **حَتَّىٰ سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيهَا** |
| **تِلْكَ المَدَائِنُ فِي الآفَاقِ خَالِيَةٌ** | **عَادَتْ خَرَاباً وَذَاقَ المَوْتَ بَانِيهَا** |
| **أَمْوَالُنَا لِذَوِي الوُرّاثِ نَجْمَعُهَا** | **وَدُوْرُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبنِيهَا»[1].** |

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام، قال: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ فَلْيَعْمَلْ بِطاعَةِ اللهِ وَلْيَتَّبِعْنا، أَلَمْ يَسْمَعْ قَولَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾».**

وقال أيضاً: **«إذا أَحَبَّ اللهُ تعالىٰ عَبْداً أَلْهَمَهُ الطّاعَةَ، وَأَلْزَمَهُ القَناعَةَ، وَفَقَّهَهُ فـي الدّينِ، وَقَوّاهُ بِاليقينِ، فاكْتَفىٰ بِالْكَفافِ، وَاكْتَسىٰ بِالْعَفافِ، وَإِذا أَبْغَضَ اللهُ عَبْداً حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمالَ، وَبَسَطَ لَهُ الآمالَ، وَأَلْهَمَهُ دُنْياهُ، وَوَكَلَهُ إِلىٰ هَواهُ، فَرَكِبَ الْعِنادَ، وَبَسَطَ الْفَسادَ، وَظَلَمَ الْعِبادَ»[2].**

---

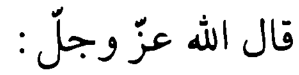
(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام / لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ٩٢٤ - ٩٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٦، الحديث ٣٤.



# الفصل الثالث

## ذكر الله سبيل النجاة
## فلا تكن من الغافلين



قال الله عزّ وجلّ :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ

أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

الرعد ١٣ : ٢٨



❋ عـالمنا بـاختصار شـديد : صـورته واضـحة الأبـعاد مـن خـلال شـاشة الفضائيّات ذات القنوات المنوّعات !

يكفيك أن تسمع من ذوي الخبرة لتعرف زمانك في العناوين التالية :

ثقافة التفاهات ! أفكار على سراب ! محطّات الشعوذة والخرافات ، والضحك على العقول باسم الدين ، مؤتمرات وندوات فارغة ! نشرة أخبار متكرّرة ! صراخ مزعج ! أغاني مبتذلة ! حروب مدمّرة ! أشلاء ضحايا منتشرة ! نساء وأطفال باكية ! صراعات تقليديّة متجذّرة ! أمراض تبحث عن دواء بلا نتيجة ! أموات وقبور ودموع ! ضحك ومجون وجنون ! رقص وفسق ومخازي ! حلقات قصص غير مربّية على العفاف والصلاح ! ضياع الوقت في الرياضة المفرطة ! موسيقى وصخب هستيري ! صور عن تجارة اللحم الأُنثوي بأقبح وأرخص أشكالها !

قادة السياسة وعمالقة المال والثراء وأهل الجشع والبذخ والتبذير.. يكذّبون ويضحكون ويأكلون ويمرحون ، وكأنّهم ليسوا السبب الأساسي في مآسي الشعوب الفقيرة والمسحوقة ، وإن كان أكثرها يستحقّ ما يُصنع بها ، لأنها شاركت ظالميها في الإعراض عن ذِكْر الله ، وإعلان الحرب على دين الله بشكل آخر !

عالمنا هذا قد أنتج حياة كلّها تعب وضنك ، وقلق وإرهاق ، وخوف وألم وضجر ، وشدّ وجذب وضياع ، وأعصاب متوتّرة ، وغضب ، وقسوة..

هذه ترجمة صريحة للآية الكريمة : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**

**﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾**(١).

ولا نبخس حقّ تلك القنوات الفضائيّة التي يُذكر فيها الله ، وتدعو إلى الفضائل الأخلاقيّة ، وتقدّم الحلول لأزمات البشريّة ، فهي قليلة جدّاً .. إنّها تعكس صورة الخير عند أهله .. وهي من دون شكّ رغم معاناتها الماليّة ، ونواقصها الإداريّة تشكّل نقطة إضاءة على درب الحقّ ، وهي حجّة على العاصين والغافلين والمسترسلين مع الواقع المنحطّ الذي تقصده الآية الكريمة **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾**(٢).

❋ فما هو العلاج لواقع عالم يمشي على الهاوية ؟ وما هو سبيل الإنقاذ ؟

السبيل يرتكز في العودة إلى الله ، وأن نذكره عزّ وجلّ بالمعنى الصحيح .. ولكن ماذا يعني ذِكْرُ الله ؟

هل هو الترديد الشفوي للكلمات المأثورة عن النبيّ الأمين والأئمّة من أهل بيته الطاهرين عليهم‌السلام فقط ، أم أنّ الذكر يعني العبور من الألفاظ إلى عمق المعاني بالتفاعل معها فكريّاً وقلبيّاً ، فتتأثّر بها الإرادة ، وتتحرّك الرغبة لضبط الجسم وحركته وفق ما توحيه تلك المعاني المستفادة من ألفاظ الذكر ؟

لا شكّ أنّ الصحيح من الذكْر ، وأنّ المثمر خيراً للذاكرين ولمَن حولهم هو الذكر بالمعنى الثاني ، وليس لعق اللسان ، أو سبحة تلتفّ على الأصابع ، وتُطَقْطِقْ حبّاتها !!

إنّ أهمّ عنصر من عناصر الذكر هو أن يركّز الإنسان فكره وذهنه وحواسّه وجوارحه في الاتّجاه الذي يريده الله منه .. من حلال جائز ، وحرام لا يجوز.

---

(١) طه ٢٠: ١٢٤.

(٢) الأنفال ٨: ٢٥.

وأن يستعدّ للاستغفار والتوبة والندم كلّما وقع في الحرام، بقصدٍ أو بلا قصد.

ذلك ما قاله الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ﴾**[١].

❁ ولكي تأخذ هذه البصيرة بقوّة، فكِّرْ معي جيّداً:

إذا أردت أن تكون سائقاً ناجحاً، وأن تصل بسيّارتك إلى المكان الذي تريده من دون حادث أو مخالفة مروريّة.. هل المطلوب منك أن تقرأ الكلمات المكتوبة على لوحات الإشارات المروريّة في الشوارع، ثمّ تتصرّف على عكسها، أم تحتاج إلى السياقة التطبيقيّة وفق المخطّط المرسوم أمامك؟!

الجواب واضح..

حسناً.. وإذا خالفت إشارة ضوئيّة للمرور على سبيل الخطأ، أو نسيتَ منعطفاً، أو تجاهلت لوحة إرشاديّة مثلاً.. فقُدْتَ خلافاً للسير المسموح.. مَن يكون المتضرّر؟ أنت أم إدارة المرور، أم الآخرين الذين يلتزمون بالقوانين؟!

الجواب واضح أيضاً..

أجل.. وكذلك هو مدى التباين بين ذِكْر الله بالألفاظ بلا تطبيق لمعانيها وبين التطبيق والالتزام..

❁ حينما يجلس الفرد ليستمع إلى طبيب معالج، أو محلّل سياسي، أو مفكّر إسلامي، أو طبيب نفساني، أو واعظ في الأخلاق والتربية، أو مخطّط اقتصادي استراتيجي، أو عالم اجتماعي.. لا فرق بينهم، ولا نفع منهم إن لم يوجّههم من داخلهم حسّ الإيمان بالله، والخشية من عينه التي لا تنام.

---

(١) الأعراف ٧: ٢٠١.

كما لا ينتفع هذا الفرد نفعاً حقيقيّاً من أيّ شيء إذا لم يكن قلبُه ينبض بحبّ الله ، وقد يكون لسانه علامة جيّدة على هذا الحبّ ، ولكنّ العلامة الأهمّ هي فعله وطريقة سلوكه . .

❁ ذكْر الله يعني أنّك تتذكّر ما هو المطلوب منك ، ومَن هو الذي يطلب . . إنّه العالِم بما في الصدور ، والمطّلع على نواياك قبل التنفيذ . .

إنّ أثر هذا الذكر الواعي مباشرٌ على طمأنينة القلب ، وسكون النفس ، وراحة الروح ، وأثر هذه الثمار معروفٌ على الصحّة الجسميّة ، والعافية النفسيّة ، وسلامة التفكير ، ونجاح التخطيط في شتّى ميادين الحياة .

فالذاكر يستشعر من داخله اليقظ ، وحواسّه المركّزة جميع ما يرضي الله وما يسخطه . . فلا يفوته الأوّل ، ولا يرتكب الثاني ، وهذا يعني الهدفيّة التي يغذّيها ذِكْر الله ويسدّد طريقها .

ومن هنا كانت كلمات الذكر والعبارات المأثورة في أدعية الرسول ﷺ والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام موجّهة لكلّ حالة حالة ، ومقسّمة وفق حاجة حاجة . .

❁ والإنسان المُدرك لهذه الحقائق يمتلك في داخله رادعاً إيمانيّاً قويّاً يعصمه من أيّ انحراف عمدي مع الشيطان ، ومَيَلان نحو الموبقات والمعاصي . . يذكّره رادعُه الخطر من حوله فيتأهّب لدفعه .

وهذا ما يفيده قول الإمام عليّ عليه السلام : « **ذكر الله مطردة الشيطان** » .

وقوله : « **ذكر الله دعامة الإيمان ، وعصمة من الشيطان** » .

وقوله : « **ذكر الله دواء إعلال النفوس** » .

وقوله : « **أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله** » .

وقوله : « **مَن عمّر قلبه بدوام الذكر حسنتْ أفعاله في السرّ والجهر** » .

وقوله : « **مَن ذكر الله سبحانه أحيا الله قلبه ، ونوّر عقله ولبّه** »[١] .

❁ هل رأيت عبداً يناور على المكشوف ؟

هو ذلك البعض الذي يحاول ممارسة الشطارة مع الله !!

تراه يذكر الله .. وفي نفس الوقت يسعى أن لا يفوته الحرام ( مثل : فيلم كذا ، أو امرأة كذا ، أو منصب كذا ، أو مال كذا ) ، ثمّ يستغفر بألفاظ عابرة ، ومقطوعات دينيّة جاهزة ليحفظ على ذاته ، ويُرضي نفسه أمام الله !!

بذلك يظنّ أنّه قد جَمَعَ بين الإثنين !

إنّ استجابته لهذا الاستدراج من الشيطان تدلّ على أنّ حقيقة الذكر لم تسكن قلب هذا البعض المخادع لنفسه ..

وقد تنبّأ نبيّنا العظيم ﷺ لهذه الظاهرة النفاقيّة قائلاً : « **سيأتي على أُمتي زمانٌ تَخْبُثُ فيه سرائرُهم ، وتَحْسُن فيه علانيتهم ، طمعاً في الدنيا ، لا يريدون به ما عند الله عزّ وجلّ ، يكون أمرهم رياء لا يخالطه خوف ، يَعُمهم الله منه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يُستجاب لهم** »[٢] .

❁ والبعض الآخر في شطارته المفضوحة ! يمشي مع الهوى ، ويطيع الشيطان في أوامره ، ولمّا يقع في الفخّ ويتألّم بالأوجاع ، ويحزن على المصائب ، يستحضر كتاب الأذكار والأدعية وكأنّه صيدليّة منزليّة لأدوية الطوارئ ، ويريدها سريعة المفعول طبعاً ، وذات الأثر السحريّ الفعّال ، وإلّا أصابه الشكّ في قدرة الله أو فضله ولطفه ، ورَكَنَ جانباً متضجّراً ومتّهماً ربّه !!

---

(١) هذه الروايات كلّها من كتاب تصنيف غرر الحكم : ١٨٨ و ١٨٩ .

(٢) بحار الأنوار : ٥٢/١٩٠.

ولربّما سامحه الله مرّة أو مرّتين بناءً على قوله سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[١].

ولكن مع التكرار والإصرار ، ومع العودة إلى الخطيئة بالطمع في المغفرة عبر ما يحفظه من كلمات ، أو ما يقرأه من كتب الأدعية ، لن يمرّ على الله !

❁ هذه حالات يفرزها الجهل بمعنى الأذكار وفلسفتها ، وضرورة المداومة عليها بقصد التقرّب إلى الله ، وتعميق حُبّ الله على طول خطّ الحياة .. حيث جعلها الجاهلون جسراً لمصالحهم المادّيّة ، وظنّوها علاجاً من الأمراض حين الابتلاء بها .. أرأيتَ شبيهاً لهؤلاء الجاهلين ! ؟

هو ذاك الذي لا يعرفك إلّا حين الشدّة والحاجة ، فإذا أعطيته أدبر عنك حتّى شدّة أُخرى ، وحاجة تُرجِعه إليك مرّة أُخرى !!

بينما العارف لمعنى الذكر يستأنس مع ذكره لله تعالى ، لا بدافع المصلحة ، بل بدافع الحُبّ نفسه .. وهنا يكون لسان نُطْقِه ولسان حاله : « **اللّهُمّ افْعَلْ بي ما أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَلَا تَفْعَلْ بي ما أنا أَهْلُهُ** » ، وبالتالي يكون راضياً برضا الله على كلّ حال ، ومفوِّضاً أمره إليه عزّ وجلّ ، ولن يبالي بالمشاكل والأوجاع ما دامتْ في سبيل الله ، ومن أجل اختبار صِدْقه في الحُبّ والعقيدة ..

قيل : إنّ جمعاً من المؤمنين دخلوا لعيادة أحد العلماء الأتقياء ، فرأوه يتململ في ألمه ، ويتجلّد صبراً عليه ، فقالوا له : ندعو الله أن يشفيك ؟

قال : لا أُريد .

---

(١) آل عمران ٣ : ١٣٥ و ١٣٦ .

قالوا : ندعو الله أن تبقى هكذا ؟

قال : لا أُريد .

قالوا : إذن ماذا ندعو ؟

قال : أن يفعل بي ما هو يريد ويحبّ ، فإنْ كان يريد ويحبّ أن يراني أتألّم فليكن ، وإنْ كان يريد ويحبّ أن يراني مشافىً فليكن .

وكانت عندي شقيقة مثاليّة في الإيمان والتقوى والأخلاق والعبادة من صِغرها ، وكان في السبعينيات والثمانينيات يُضرَب بها المثل في حجابها وعفافها ، وطيبها وصبرها ، توفّيت في سنة **١٩٩٤**م عن عمر لا يتجاوز **٤٢** بمرض السرطان ( أبعده الله عنكم ) ، فلمّا رأيتها تتألّم في أواخر عمرها سألتها نفس السؤال ؟

فأجابت بنفس الجواب : ليكن ما يحبّه الله ، لا ما أُحبّه أنا . . فإنّ الخالق أعلم بمصلحة مخلوقه .

فارقت الحياة راضية مرضيّة ، ولم يتوقّف لسانها عن تلاوة القرآن الكريم ، وكلمات الدعاء ، وذكر الله ، وهي تنظر إلى العدّ التنازلي لأيّامها . ولا زلنا بعد مرور عشر سنوات نراها في الرؤيا سعيدة مستبشرة وكأنّها تقول بلسان حالها : لكلّ مَن يسلك طريق الله والرضا بقضائه وقدره أنّ الجنّة مضمونة ، فلا تخافوا ولا تحزنوا . .

أجل . . إنّ أمثال هؤلاء قد تربّوا في مدرسة الإمام عليّ عليه السلام ؛ إذ سأله النبيّ صلى الله عليه وآله ذات مرّة : **يا أبا الحسن ، ماذا فعلتَ من عمل في البارحة حيث كتب الله لك أجر ألف ركعة ؟**

فقال : **صلّيتُ ألف ركعة !**

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : **وكيف ؟**

قال : **قبل أن أنام قرأتُ ما علّمتني يا رسول الله من أنّ مَن قرأ قبل نومه ثلاث مرّات : يَفْعَلُ اللهُ ما يشاءُ بِقُدْرَتِهِ ، وَيحْكُمُ ما يُريدُ بِعِزَّتِهِ ، كتب الله له أجر ألف ركعة**

**وهو نائم»**[١].

هذه المدرسة هي مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الذي كان يناجي الله في دعائه كلّ يوم من شهر رجب قائلاً:

**«خابَ الْوافِدُونَ عَلىٰ غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَضاعَ الْمُلِمُّونَ إِلَّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ إِلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ. بابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرّاغِبينَ، وَخَيْرُكَ مَبْذُولٌ لِلطّالِبينَ، وَفَضْلُكَ مُباحٌ للسّائِلينَ، وَنَيْلُكَ مُتاحٌ لِلْآمِلينَ، وَرِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصاكَ، وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ ناواكَ، عادَتُكَ الْإِحْسانُ إِلَى الْمُسيئِينَ، وَسَبيلُكَ الْإِبْقاءُ عَلَى الْمُعْتَدينَ.**

**اللّٰهُمَّ فَاهْدِني هُدَى الْمُهْتَدينَ، وَارْزُقْني اجْتِهادَ الْمُجْتَهِدينَ، وَلَا تَجْعَلْني مِنَ الْغافِلينَ الْمُبْعَدينَ، وَاغْفِرْ لي يَوْمَ الدّينِ»**[٢].

فاعْلَمْ أنّ الطلب من الله شجاعة، فإنْ أعطاك فهو رحمة، وإنْ لم يُعْطِك فهو حكمة، بينما الطلب من غير الله مذلّة، فإنْ أعطاك فهو مِنّة، وإنْ لم يُعْطِكَ فهو كسيرة.

❋ والكلام عن ذكر الله لا ينفصل عن الكلام في الدعاء، لأنّ الدعاء جزء من الأذكار، ولقد عبّرتْ عنه الأحاديث بـ«**مخّ العبادة**» و«**سلاح المؤمن**» و«**الدعاء مفتاح الرحمة**» و«**الدعاء يردّ البلاء**» و«**الدعاء جندٌ من أجناد الله**»[٣]...

فكلّ ما قلناه حول الذكر يمكنك تطبيقه حول الدعاء، وأن تقرأ الأدعية كمصداق

(١) راجع النصّ في كتاب مصباح الكفعمي: ٤٦. البلد الأمين: ٣٤.

(٢) إقبال الأعمال / السيّد ابن طاووس: ٣/٢٠٩ و ٢١٠.

(٣) راجع: كنز العمّال: ٢/٦٣، الأحاديث ٣١١٤، ٣١١٦، ٣١١٧، ٣١١٩، ٣١٢١.

حقيقي لذكر الله تعالى .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (١) .

أجل .. ولعلّ الدعاء يتميّز عن الذكر من ناحية كونه يحمل طلباً إلى الله ، وفيه من الحاجة إليه عزّ وجلّ ، بينما الذكر يحمل الثناء والتمجيد والتهليل فقط ..

ولعلّي أُقرّب لك المعنى من علاقة الذكْر والدعاء بما ذكره لي أُستاذي العارف الكبير آية الله مرواريد ﷺ في سنة ١٩٩٣م في مدينة مشهد المقدّسة : مِن أنّ العبد لو عاش في ذكر الله لمجرّد الذكر ولم يَخُنْ ربّه بأيّ رياء ومعصية سرّيّة وعلنيّة ، فإنّ الله يذكره ، ويقضي حوائجه ، فليس من أخلاق الله أن يهمل طَلَبَ عبدِه المطيع ، والعبدُ لم يكن يهمل طَلَبَ الله وأوامره ، وهو القائل : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) .

ثمّ حكى لي قصّة جدّه الورع التقيّ العارف المعروف الشيخ الطهراني (أعلى الله مقامه) من أنّ الحاجّ صدر الحفّاظ ـ واحد من التجّار المؤمنين ـ أشرف على الموت ، ولم يبق منه إلّا رمقه الأخير ، فكان الشيخ عند رأسه إذ أخرج من عمامته حبّة من تربة الإمام الحسين عليه السلام فأدخلها في فمه ، وقرأ كلمات ! فقام الحاجّ سالماً من مكانه فوراً ! فتعجّب وسأله عن هذا الأثر السريع لاستجابة دعائه ؟

فقال : هذا ليس بشيء بالنسبة إلى العبد الذي لا يخون مولاه !

ومهما يكن فإنّ كلمات الدعاء كما هي كلمات الذكر تحوي معاني العقيدة ومفاهيم الهداية ، ورؤى في آداب الارتباط بين العبد وربّه الكبير المتعال ، وفيها بيّنات من سُبُل الحديث مع الله جلّتْ عظمتُه ، يلهج بها الداعي والذاكر متدبّراً ، ويتفكّر في نطاق مدلولاتها حتّى يجد نفسه بعد فترة من التدرّج والمداومة مندمجاً

(١) الفرقان ٢٥ : ٧٧.

(٢) البقرة ٢ : ١٥٢.

مع إشعاعاتها الهادية..

إنّ مثل هذا العارف الذاكر الداعي والمحبّ الراضي بقدَرِ الله وقضاه، يحبّ الله نداءه، ويستجيب دعاءه، ويعطيه مُناه، ويُبْلِغُه مرادَه، ويهديه صراطه، ويحميه بجنود الغيب، ويُدخِله الجنّة بغير عيب..

ومثل هذا المؤمن المخلص لا يدير بالاً إذا لم يَرَ استجابة لدعائه، لأنّه قد وعى جيّداً ما قاله الإمام الصادق عليه السلام في سبب تأخير استجابة الدعاء: «**إنّ المؤمن ليدعو الله عزّ وجلّ في حاجته، فيقول الله عزّ وجلّ: أخّروا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائه، فإذا كان يوم القيامة قال الله عزّ وجلّ: عبدي، دعوتني فأخّرتُ إجابتك وثوابك كذا وكذا، ودعوتني في كذا وكذا فأخّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا.**

**قال: فيتمنّى المؤمن أنّه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حُسن الثواب**»[١].

ومثل هذا الذي أخلص وجوده لله القويّ المتعال.. يستحيل للشيطان الضعيف الذليل المطرود من عرش الله أن يسيّره ويسحبه إليه، ويستولي على عقله، ويتسلّط عليه، ويسخّره لسبيله..

أقول: مبارك عليك هذا النصر، أيّها المؤمن المتّصل بالله الملك الحقّ المبين..

وصدق الله الذي قال في محكم كتابه العظيم: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾[٢].

(١) وسائل الشيعة: ٦٢/٧، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٣٥.



# الفصل الرابع

## الصلاة معراج الثقاة
## فما تلك الصلاة ؟

قال الله عزّ وجلّ :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾

النساء ٤ : ١٠٣

* الصلاة مكتوبة تعني أنّها واجبة ، وموقوتة تعني أنّها ذات أوقات معيّنة .. ولفظة ﴿ **كَانَتْ** ﴾ تدلّ على قدميّة هذه الفريضة الإلـٰهيّة ، وأنّ المؤمنين كانوا يصلّون منذ أوّل التاريخ .

والسؤال : فما هي حكمة الصلاة وآثارها في حياتنا وبعد مماتنا ؟

سؤال قد آنَ الأوان بعد استيعابك لمواضيع الفصل الأوّل والثاني والثالث أن نبني جوابنا عليها ، فنقول ـ ونحن نستضيء بقول الله تبارك وتعالى حيث الصلاة له وحده ، والبيان منه ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾[1] ـ :

**أوّلاً :** توحيد الله أساس الدين والتديُّن ، وإقامة الصلاة تأكيد مستمرّ من المصلّين على التوحيد ، ونفي منهم للآخرين عن الشرك والشراكة .. فهم بالصلاة لله يذكرون الله ويعترفون له سبحانه بالعبودیّة ، ويقابلهم الله بذكره لهم ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾[2] .. ومَن كان الله يذكره كان حسْبُه وكفاه مَن سواه .

وروح التوحيد وأصله وجوهره وحقيقته أن لا ترجو ولا تخاف من أيّ أحد وأيّة قوّة غير الله تعالى . وحده الله ترجوه بطاعتك له .. ومنه سبحانه فقط تخاف إذا عصيته ..

ولمّا تدخل الصلاة بتكبيرتك الأُولى فإنّك تُحرم بها على نفسك الدخول في أيّ

---

(١) طه ٢٠ : ١٤ .

(٢) البقرة ٢ : ١٥٢ .

علاقة مع غير الله تراها مستقلّة عن تأثير الله ومشيئته وإرادته عزّ وجلّ ، فالله أكبر من كلّ شيء بلا استثناء ، وهو أكبر من أن يوصف على الإطلاق دون ذرّة شكّ ونقاش . .

بهذه العقيدة الثابتة فسوف ترى تكرارك للصلاة في اليوم خمساً ، وعلى طول الأسابيع والشهور والسنوات ، بل طول الحياة ، وفي كلّ الحالات ، إنّما يهدف إلى تعميق روح التوحيد فيك . . بأن تقطع أملك من غير الله ، وتسلّم له أمرك وتفوّضه إليه ، لأنّه خبير بالعباد ، وبكلّ ما يصلح العبد الموحِّد .

فبالصلاة يتذكّر المصلّي عقيدته ، ويمارس يقظته ، ويعيش الانتباه لكيلا يقع في مصيدة غير الله ، وما أعدّه الشيطان من فخّ إيحائي أو بشري لصيد الأفكار والوسوسة في الصدور ، والارتماء في المعاصي والشرور .

**ثانياً:** المصلّي كسائق السيّارة يجب أن يقود نفسه على جادّة الحقّ ، ولا يغفل لحظة ، فإنّها تساوي الانقلاب والكارثة . . فكما على السائق أن يذكر مسؤوليّته ولا ينسى ولا يغفو ولا يغفل حتّى يستطيع قيادة سيّارته بسلام ، كذلك المصلّي ، وكما يجلب السائق لنفسه وغيره كارثة مع أقلّ نسيان أو غفوة أو غفلة كذلك المصلّي ، فإنّه ينقلب بالرياء على عقبيْه ، وبإدخال قصد المصلحة الذاتيّة في نواياه يرتمي إلى كارثة . .

من هنا فتكرار الصلاة بالنسبة لمَن عرفها بهذه البصيرة لا يكون مملاًّ . . فالمصلّي العارف البصير لا يكون في أيّ حال من الإفراط والتفريط على بقيّة أصعدة حياته ، لأنّه تدرّب على قيادة روحه بتوازن وقوّة وتركيز وثقة يستمدّها من صلاته . ذلك ما نقرأه في هذه الآية المباركة : ﴿ **إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾[١] .

---

(١) المعارج ٧٠: ٢٠ ـ ٢٣.

ومن هنا كانت الصلاة معراج المؤمن.. تسمو به إلى آفاق النور، ومعالي الحقّ، وبهاء الملكوت، ومصدر الإلهام..

ومن هنا تشكّل الصلاة محور التوحيد والدين والعبوديّة، وعليه كانت سيرة أنبياء الله كلّهم..

قال الرسول الأعظم ﷺ: «**الصلاة مِن شرائع الدين، وفيها مرضاة الربّ، فهي منهاج الأنبياء**»[١].

ثلاثة أدلّة للوجوب: إنّها من شرائع الدين فهي السلوك، وإنّها مرضاة الربّ فهي الهدف، وإنّها منهاج الأنبياء فهي التأسّي للسداد.

ومَن نظر إلى صلته بالله عبر الصلاة لم يقدِّم عليها شيئاً غيرها، وهذا ما كان عليه سلوك الرسول ﷺ الذي حكاه صهره وابن عمّه الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «**كان رسول الله ﷺ لا يُؤثِر على الصلاة عشاءاً ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً**»[٢].

**ثالثاً:** لأهمّيّة الصلاة قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الصَّلاةُ، وَهِيَ آخِرُ وَصايا الْأَنْبياءِ**»[٣].

فما كان نبيّ يرحل من الدنيا حتّى يؤكّد على أتباعه أن أقيموا الصلاة، لأنها واحدة من أبرز علامات حُبّ الله في الظاهر، ومن أهمّ عوامل تعميقه في الباطن، والإيمان تحدٍّ في ظاهر السلوك، ودعوة إلى باطن الحقّ، ومن هنا كان: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ**﴾[٤]، ولأنّ الحُبّ يربط بين المحبّ والمحبوب،

---

(١) بحار الأنوار: ٢٣١/٨٢.

(٢) تنبيه الخواطر: ٣٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٦/٣.

(٤) البقرة ٢: ١٦٥.

فتأتي الطاعة ولو تدريجيّاً.

وهكذا فقد أوصانا الإمام عليّ عليه السلام قائلاً: «**أُوصيكم بالصلاة وحفظها، فإنّها خير العمل، وهي عمود دينكم**»(١).

ولكي نستوعب جيّداً وجوب الصلاة في انتمائنا للدين، نرى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يشبّه الصلاة بعمود الفسطاط (الخيمة) ويقول: «**مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طُنْبٌ ولا وتَد ولا غشاء**»(٢).

وهكذا نعلم أنّ تكرار لفظة الصلاة بكلّ مشتقّاتها في القرآن الكريم بـ(**٩٨**) مرّة، لم يكن قد جاء مِن فراغ أبداً.. بل جاء للتأكيد على وجوبها وضرورتها وأهمّيتها ومحوريّتها في الممارسات العباديّة.. فكانت الصلاة كما روى الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ عمود الدين الصلاة، وهي أوّل ما يُنظر فيه مِن عمل ابن آدم، فإنْ صحّتْ نظر في عمله، وإنْ لم تصحّ لم يُنظر في بقيّة عمله**»(٣).

وقال صلى الله عليه وآله كذلك: «**إنّ أوّل ما فرض الله تعالى الصلاة، وآخر ما يبقى عند الموت الصلاة، وأوّل ما يُحاسَب به يوم القيامة الصلاة، فمَن أجاب فقد سهل عليه ما بعده، ومَن لم يُجِبْ فقد اشتدّ ما بعده**»(٤).

فالإنسان يجري مع الدّين كلّما جرى مع الصلاة درجة بدرجة، وإذا تركها هان عليه ترك الدين وأشياء أُخرى منه كثيرة.

وإلى هذه الأهمّيّة الأساسيّة أشار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله: «**لا يزال الشيطان**

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠٩/٨٢.

(٢) فروع الكافي: ٢٦٦/٣.

(٣) معارج اليقين في أُصول الدين: ١٨٤.

(٤) تهذيب الأحكام: ٢٣٧/٢.

**يَرْغُب مِن بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس ، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه وأوقعه في العظائم »**[١].

ومثله كتب الإمام عليّ عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر : « **واعلَمْ ـ يا محمّد ـ أنّ كلّ شيءٍ تَبَعٌ لصلاتك ، واعلَمْ أنّ مَن ضيّع الصلاة فهو لغيرها أضيع »**[٢].

**رابعاً:** ونحاول التعرّف على تلك الصلاة التي تشكّل السدّ المنيع أمام الشيطان ومحاولاته لإغواء الإنسان ، والتي تعنيها الآية ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[٣].

وإنّها تلك الصلاة التي قال عنها الربّ العزيز الكبير المتعال : ﴿ **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾[٤].

وقد تسألني : لماذا نصلّي إذا كنّا لا نتورّع عن المعصية أحياناً ؟ وهل تنفع صلاة غير خاشعة ؟

أقول : سؤالك جيّد !

وإنّي أسألك : هل إذا كنت مريضاً تتوقّف عن العلاج واستعمال الدواء لأنّك مريض ؟ !

أم تواصل علاجك حتّى تزيل عنك المرض ، وإنْ كنتَ تحتمل أنّك سوف تمرض بعد مدّة ؟

بالتأكيد فإنّك كلّما عاد المرض إليك ـ لا سمح الله ـ عُدْتَ لاستعمال الدواء

---

(١) بحار الأنوار : ٢٢٧/٨٢.

(٢) بحار الأنوار : ٢٤/٨٣.

(٣) العنكبوت ٢٩: ٤٥.

(٤) البقرة ٢: ٤٥.

وأنت تواظب كيلا تمرض.. أليس كذلك ؟

وكذلك فإنّك بالصلاة توثّق صلتك بالله ، ولعلّك تعصيه ، ولكن مع الحفاظ على هذه الصلة ـ وإنْ كانت ضعيفة ـ فإنّها سوف تؤدّي بك يوماً إلى التوبة الحقيقيّة ، وتنتصر على الشيطان مع المواظبة طبعاً.. هل نسيتَ أنّ الإنسان مهما لوّث نفسه بالمعصية فإنّ له وجداناً إيمانيّاً يلقي القبض عليه يوماً ! ويحاكمه ضميره ، فيعترف أنّه متمرّد على الفطرة ، فيخجل بين يدي الحقيقة ، فتلك هي النفس اللوّامة بداخله ، وهنا يحسم موقفه من الشيطان الذي أغواه وأضلّه ، فيعطي قيادته بيد عقله وإرادته ليجد كم أنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين..

ما أروعك يا إلٰهي وأنت ترى عبدك العاصي وقد آن له أن يلبّي لدعوتك الآن :

**﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾**(١).

روي أنّ فتى من الأنصار كان يصلّي الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرتكب الفواحش ، فوصِفَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : **إنّ صلاته تنهاه يوماً ما** ، فلم يلبث أن تاب(٢).

ونستطيع القول : إنّ الصلاة حبل النجاة من الذنوب ، وهذا قول مولى الموحّدين عليّ عليه السلام في كلام يوصي به أصحابه بالصلاة : **«وَإِنَّها لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ ، وَتُطْلِقُها إِطْلَاقَ الرِّبَقِ ، وَشَبَّهَها رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَّة تَكُونُ عَلَىٰ بابِ الرجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْها في الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرّاتٍ ، فَما عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ؟»**(٣).

---

(١) البقرة ٢ : ١٨٦.

(٢) بحار الأنوار : ١٩٨/٨٢.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٩٩.

لقد جاء في بعض الكتب أنّ ابنة أحد أُمراء إيران في ليلة شتائيّة قارصة وهي في طريقها إلى القصر تعرّضتْ لعاصفة ثلجيّة شديدة ، فضيّعتها خادماتها ، واضطرّت أن تلتجئ إلى أقرب باب تطرقه ، وإذا بشابّ فتح لها الباب ليرى أمامه شابّة جميلة تلتمسه البقاء عنده حتّى تهدأ العاصفة ، وتخرج على ضوء الصباح ، فآواها الشابّ في غرفته التي لم تكن سوى غرفة في مدرسة دينيّة ، ولم يكن الشابّ سوى طالباً حوزويّاً فيها ، فأعطاها ما يحميها من البرد لتنام في زاوية ، واشتغل هو بالمطالعة تارة ، وبالصلاة تارة أُخرى ، وبأدعية ما بين الطلوعين حتّى أضاءت السماء ، فطلب منها أن تغادر المكان بسرعة !

عادت الفتاة الأميرة إلى القصر ، وكان أبوها الأمير ينتظرها للتحقيق في الحادث ، فأمطرها بالأسئلة وهي تجيبه بتفاصيل الحادث ، طلب الأمير إحضار ذلك الطالب ليتعرّف عليه ويكافئه على خدمته لابنته في شدّتها .

ولمّا كان الطالب يقصّ الحادث التفت الأمير إلى إحدى أصابع الطالب محروقة حديثاً !

فسأله عن السبب !

فقال : ماذا تتصوّر إذا كان شابّ أعزب مثلي وأمامه شابّة مثل ابنتك في غرفة مغلقة ؟ ! أليس الشيطان يكون ثالثهما ؟ ولكنّي قاومت شهوتي ، وطردت الشيطان بإحراق إصبعي عدّة مرّات لأُذكّر نفسي نار جهنّم ، فالحمد لله الذي وفّقني لأتورّع عن ارتكاب الفجور بابنتك .

وهنا انبرت الفتاة الأميرة لتفصح عن سؤالها الذي كان يدور في ذهنها ، فقالت لأبيها : نعم . . لقد كنتُ البارحة وأنا تحت الغطاء أُشمّ رائحة الحرق والشوى ، فتبيّن الآن كم كان هذا الشابّ الورع يعذّب نفسه بهذه العمليّة حتّى يبقى طاهراً من العار !

ولم يكن من الأمير حتّى سارع بالقول : إنّي قرّرتُ الآن أن أُزوّجك ابنتي هذه ،

فإنّك الكفؤ الأمين لها .

هكذا ، فإنّ صلاة هذا الشابّ ودينه وعبادته وخوفه من الله وورعه وتفكيره في حساب الآخرة قد أوصله إلى مصاهرة الأمير ، ويكون صوت الدين والتديُّن في القصر ، فلقّب بـ(ميرداماد) يعني (صهر الأمير) ، وصار من كبار العلماء جامعاً بين الدين والدنيا جمعاً تقوائيّاً رصيناً . .

**خامساً:** قد عرفتَ ـ أيّها القارئ ـ أنّ مثل هذه الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر تشكّل أساساً لواجبات أُخرى في ديننا الإسلامي القويم ، لماذا ؟

لأنّ تطبيق الواجبات يحتاج إلى دافع داخلي ومحرّك ذاتي ، فإنْ كان داخلك طاهراً بمعرفة الله وبحبّه صدقاً وحقّاً ، فستتواضع جوارحك لطاعة الله حتماً ، وتنطلق في العمل بدينه الذي تسعد به ، وستضحّي من أجله بكلّ غالٍ ونفيس .

أجل . . إنّ الصلاة بقدر ما تتيقّن من شروطها تكفل لك هذا الدافع الداخلي ، وبقدر ما تهتمّ بآدابها تعطيك هذا الحُبّ الطاهر ، وبقدر ما تواصل معها تقف داعمة لحركتك في الحياة وفق المخطّط السماوي ، وعلى قدر اهتمامك بها تهتمّ بك حين خروج الروح ، وبمقدار ما تُحسِنها تؤنسك في قبرك إلى يوم القيامة .

وأمّا ترْكُها فلا يوفّر لك إلّا أرضيّة خصبة للمنزلقات ، وجعل النفس مرتعاً للشيطان ، فتتحرّك الجوارح على درب الهوى والشهوات والفساد والخيانة وإيذاء الناس . .

يبيّن الإمام الرضا عليه السلام هذه الحكمة من الصلاة قائلاً :

**«عِلَّةُ الصَّلاةِ أنّها إقرارٌ بِالرُّبُوبِيَّةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَخَلْعُ الأَنْدادِ ، وَقِيامٌ بَينَ يَدَي الجَبّارِ جَلَّ جَلالُهُ بِالذُّلِّ وَالمَسْكَنَةِ وَالخُضُوعِ وَالاعْتِرافِ ، وَالطَّلَبُ لِلإقالَةِ مِنْ سالِفِ الذُّنُوبِ ، وَوَضْعُ الوَجْهِ عَلَى الأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرّاتٍ إعْظاماً للهِ عَزَّ وَجَلَّ ،**

**وَأَنْ يَكُونَ ذَاكِراً غَيْرَ ناسٍ وَلا بَطِرٍ ، وَيَكُونَ خاشِعاً مُتَذَلِّلاً رَاغِباً طالِباً لِلزِّيادَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنيا ، مَعَ ما فِيهِ مِنَ الْانْزِجارِ ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ لِئَلَّا يَنْسَى الْعَبْدُ سَيِّدَهُ وَمُدَبِّرَهُ وَخالِقَهُ ، فَيَبْطَرَ وَيَطْغَىٰ. وَيَكُون فِي ذِكْرِهِ لِرَبِّهِ وَقِيامِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ زَاجِراً لَهُ مِنَ الْمَعاصِي ، وَمانِعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسادِ»**[١].

فلنعرف قيمة هذه الصلاة.. إنّها الهديّة الإلٰهيّة التي تختزن لنا الطاقة الروحيّة الهائلة ، وعظيم الثروة المعنويّة ، ومَدَدَ القوّة النفسيّة ، وقد شرّعها الله لنقاوم بها الإغراءات المضلّة ، ولتكون صلاتنا الحقيقيّة عصمة لنا من السقوط في ذلّة المعاصي ، والخدمة الذليلة للشيطان وأتباعه.

وكذلك ترى الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من السجود**»[٢].

فكم يجدر بنا ـ ولو من باب النفع لأنفسنا من الله ، ومن باب الشكر على ما قدّمه لنا عزّ وجلّ من حياةٍ وخيرٍ ونِعم ـ أن نصلّي كما طلب ، وصلاتنا تنفعنا ولا تنفعه.. نحتاجها ونحتاج لآثارها ولا يحتاج الله إليها.

**سادساً:** يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إليه إبليس ينظر إليه حسداً لما يرى من رحمة الله التي تغشاه**»[٣].

ولماذا لا يحسده إبليس المطرود من رحمة الله وهو يعرف قيمة الصلاة وآثارها العظيمة ، لولا أنّه انسلخ عن طاعة الله ، وعصى ربّه بالتكبّر والغرور والاستعلاء. وكذلك يكون مصير كلّ من يتكبّر عن عبادة الله ، ويغترّ بما لديه من نِعَم هي في الأساس تعود إلى الله.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦١/٨٢.

(٢) و (٣) بحار الأنوار: ٢٠٧/٨٢.

تفيد الروايات أنّ أكثر ما يزعج الشيطان ويغضبه هو سجود الإنسان لله ، باعتبار السجود كان الأمر الذي رفضه ، فسبّب له الطرد من رحمة الله ، فإذا أردتَ -أيّها المصلّي- طرد الشيطان عنك ، وإبعاده وإزعاجه ، أطِل في سجودك لله الواحد الأحد ، واستَعِذْ باللهِ الحقّ العظيم من شرّ الشيطان الرجيم .

فاعلم قيمتك ومنزلتك -أيّها المصلّي- من خلال كلمة قالها إمام المتّقين عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أوّل المصلّين خلف رسول ربّ العالمين ، قال : « **إنّ الإنسان إذا كان في الصلاة فإنّ جسده وثيابه وكلّ شيء حوله يسبّح** »[١] .

وهنا أذكر موقفاً من عجائب المكاشفات الروحانيّة التي شاهدتها بنفسي من المرحوم آية الله السيّد محمّد كاظم المدرّسي قدس سره في حدود سنة **١٩٩٤**م بمنزله في مدينة قم المقدّسة ، حيث كنت قَدِمْتُ من مدينة مشهد المقدّسة لأيّام ، فنزلتُ عليه ضيفاً ، وفي منتصف الليل قمتُ لأُسبغ الوضوء وأذهب لزيارة حرم السيّدة المعصومة كريمة آل البيت عليهم السلام ، ولمّا لاحظتُ السيّد جالساً في ساحة المنزل يتعبّد بصلاة الليل ، تحرّك فيّ حسّ الفضول لأُراقبه كيف يتهجّد في العبادة !

وإذا به -وأنا من وراء ظهره- وكأنّه يراني من بُعد أمتار والساحة مظلمة إلّا من ضوء القمر الخافت جدّاً ، فيسلِّم علَيَّ ويسألني : إلى أين ذاهبٌ يا شيخ ؟ !

وحكى لي نجله العلّامة السيّد عبّاس المدرّسي بعد وفاة أبيه أنّ جارهم -أحد كبار العلماء- كشف له عن سرّ المرحوم ! وقال : إنّه كان على علم بقدرة السيّد الروحانيّة إلى حدّ خلع روحه والسفر بها بين البلدان -لزيارة العتبات المقدّسة- ثمّ العودة بها إلى جسمه ، وأنّ هذه الرياضة الروحيّة إنّما يبلغها العارف بالله ، والزاهد في الدنيا ، والمتعبّد بإخلاص . .

---

(١) بحار الأنوار : ٢١٣/٨٢ .

فالمتفاني في سبيل الله مسيطرٌ بقوّة روحه على أطرافه بقدرة الله سبحانه وجنوده التي تسبّحه حوله وتحرسه، وهو ينظر بنور الله، وهذا نوع من الفراسة التي ذكرها الإمام الرضا عليه السلام في الجواب على أسئلة المأمون حيث قال له: «**أما بلغك قول الرسول صلى الله عليه وآله: اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله!**

قال المأمون: بلى.

قال: **وما مِن مؤمنٍ إلّا وله فراسة ينظر بنور الله على قدرِ إيمانه، ومَبْلَغ استبصاره وعِلْمِهِ. وقد جمع الله الأئمّة منّا فرقة في جميع المؤمنين، وقال عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾**[1]**، فأوّل المتوسّمين رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، ثمّ الحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام إلى يوم القيامة**»[2].

ولكي نؤمن بهذه البصائر ولا نستهزئ بالغيب، تعالوا نتأمّل في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاري:

**«يا أَبا ذَرّ، إِنَّ اللهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْني في الصَّلَاةِ، وَحَبَّبَها إِلَيَّ كَما حَبَّبَ إِلَى الْجائِعِ الطَّعامَ، وَإِلَى الظَّمْآنِ الْماءَ، وَإِنَّ الْجائِعَ إِذا أَكَلَ الطَّعامَ شَبِعَ، وَالظَّمْآنَ إِذا شَرَبَ الماءَ رُوِيَ، وَأَنا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ.**

**يا أَبا ذَرّ، ما دُمْتَ في الصَّلَاةِ فَإِنَّكَ تَقْرَعُ بابَ الْمَلِكِ، وَمَنْ يُكْثِرُ قَرْعَ بابِ الْمَلِكِ يُفْتَحُ لَهُ.**

**يا أَبا ذَرّ، ما مِنْ مُؤْمِنٍ يَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ إِلَّا تَناثَرَ عَلَيْهِ الْبِرُّ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ**

---

(١) الحجر ١٥: ٧٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق: ٢١٦/١.

**الْعَرْشِ ، وَوُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يُنادي : يابْنَ آدَمَ ، لَوْ تَعْلَمُ ما لَكَ في الصَّلاةِ وَمَنْ تُناجي ما سَئِمْتَ وَما الْتَفَتَّ .**

**يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ رَجُلٍ يَجْعَل جَبْهَتَهُ في بقْعَةٍ مِنْ بِقاعِ الْأَرْضِ إِلَّا شَهِدَتْ لَهُ بِها يَوْمَ الْقِيامَةِ .**

**يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ صباحٍ ورواحٍ إِلَّا وَبِقاع الْأَرْض ينادي بَعْضُها بَعْضاً : يا جارَة ، هَلْ مَرَّ بِكِ الْيَوْمَ ذاكِرٌ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ عَبْدٌ وَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلَيْكِ ساجِداً لِلهِ ؟ فَمِنْ قائِلَةٍ : « لا » ، وَمِن قائِلَةٍ : « نعم » ، فإِذا قالت : نعم ، اهتزّتْ وَانْشَرَحَتْ ، وَتَرىٰ أَنَّ لَها الْفَضْلَ عَلىٰ جارَتِها »**[١] .

فصلاتك ـ أيّها القارئ العزيز ـ حِصْنُك الحصين ، ومَن يسبّح الله معك في حال الصلاة هم سورٌ حولك ، وجزءٌ من حماية الله لك أمام الشياطين ، فلن يصلك من الشيطان ولا من أتباعه الجنّ والإنس شيء من الضرر والسحر والشعوذة والربط ما دمتَ تصلّي وأنت بهذه العقيدة .

وصلاتك هذه حاول أن تحافظ عليها ، ولا تسهو عن روحها كيلا تنطبق عليك الآية : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾[٢] .

**سابعاً:** وتسألني .. كيف السبيل إلى هذه الصلاة ؟

تلك هي الصلاة التي قال عنها ربّنا سبحانه : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ**

(١) بحار الأنوار : ٢٣٤/٨٢ .

(٢) الماعون ١١٧ : ٤ ـ ٧ .

**فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾**(١).

وتسأل كما سُئِل النبيّ ﷺ : ما الخشوع ؟

قال : « **التواضع في الصلاة ، وأنْ يُقْبل العبدُ بقلبه كلّه على ربّه** »(٢).

ليس هذا المقام مستحيلاً عليك أو حِكراً على غيرك .. فلا تقبل من نفسك أن تكون مصلّياً من النوع الذي يسرق من صلاته !!

وهو مَن يصلّي صلاة العَجَلة ضارباً رأسه على الأرض كما يضرب الطير منقاره عليها يلقط حبّاته !

فهذا أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام يقول لصاحبه كميل بن زياد : « **يا كُمَيْلُ ، لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُصَلِّيَ وَتَصُومَ وَتَتَصَدَّقَ ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ بِقَلْبٍ نَقِيٍّ ، وَعَمَلٍ عِنْدَ اللهِ مَرْضِيٍّ ، وَخُشُوعٍ سَوِيٍّ** »(٣).

وعلى هذا السياق في تعريف صلاة الخاشعين سأل أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام من الإمام : أيتباكى الرجل في الصلاة ؟

فقال عليه السلام : « **بخ بخ ، ولو مثل رأس الذباب** »(٤).

فالمطلوب أن نتدرّج للوصول إلى مستوى الصلاة المقبولة عند الله ، ويتحقّق هذا الهدف عبر الممارسة المستمرّة للصلاة ، وأن لا نسمح للشيطان أن يقطع علينا الطريق بالوسوسة ، وانتقال الذهن ، وتشرّد البال ، فإذا دار الأمر بين ترك الصلاة وبين

---

(١) المؤمنون ٢٣ : ١ و ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦٤/٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣٠/٨٤.

(٤) بحار الأنوار: ٣٠١/٣.

الصلاة مع بعض المعاصي الغالبة ، فلا شكّ أنّ الرجحان مع الثاني حتّى يقوى المصلّي روحيّاً فيتهيّأ للوصول إلى صلاة الوفادة الإلهيّة والحقيقة العرفانيّة ، والجلوة الإيمانيّة ، وتلك الصلاة القربانيّة التي يصلّيها المتّقون ، كما في الحديث النبوي الشريف : « **الصَّلاةُ قُرْبانُ كُلِّ تَقِيٍّ** »[١] .

**ثامناً:** نشير هنا إلى دروس نتعلّمها من الصلاة ، وخاصّة صلاة الجماعة :

١ ـ نظافة الجسم واللباس ، بما يضمن طهارة المصلّي من الجنابة والخبائث (الدم والغائط والبول والمنيّ ) .

٢ ـ أن لا يكون لباسه ومكان صلاته والماء الذي يتوضّأ به غصباً ( من حقّ الآخرين ) ، وفيها درس الأمانة والحفاظ على حقوق الناس .

٣ ـ النظم ، والانضباط ، ومعرفة قيمة الوقت ، والالتزام بالمواعيد .

٤ ـ الوقار والسكينة والهدوء ، وترك الفوضى والإزعاج ورفع الصوت .

٥ ـ تقوية الذاكرة من خلال التمرين على التركيز اليومي للصلاة إن كانت بحضور القلب .

٦ ـ آداب الوقوف بين يدي الله ، ومنها التعطّر بالطيب ، والتكلّم بألفاظ رزينة .

٧ ـ فهم معاني الكلمات ، فما أحوج بعض المصلّين إلى وعي ما يقرأونه في صلاتهم ، فإنّهم لو عرفوها لعرفوا كيف يتحدّثون مع الناس أيضاً ، وهذه ملاحظة جديرة بالاهتمام لضعف مشهود في لغة المحادثة بين الناس ، والصلاة مدرسة لآداب الكلام وفنّ البيان .

٨ ـ التعرّف على الطيّبين ، وكسب أصدقاء جدد من خلال المسجد .

٩ ـ حُسْن السمعة بين الناس ، وتعميم الثقة .

---

(١) تبصرة المتعلّمين : ٣٠٧.

١٠ـ تقوية العلاقات الاجتماعيّة بالحضور في المسجد.

١١ـ معرفة الإمكانات المتوفّرة لدى الآخرين، وسُبُل التعاون فيها بعد التعرّف والصداقة عبر المسجد.

١٢ـ التعرّف على حلول المشاكل من خلال الاستماع للمحاضرات التوجيهيّة، أو تبادل الآراء مع المؤمنين.

١٣ـ حصول التقارب بين العوائل، وتقوية حسّ التعاون بين الجيران وأهالي المنطقة، والتماسك الاجتماعي العامّ.

١٤ـ الشعور بالوقوف مع كلّ الأنبياء والأئمّة الطاهرين والصالحين والشهداء والصدّيقين في صفّ الصلاة ومع الملائكة.. وهو شعور يشحنُ المصلّي بروح الاستقامة على الدين، ويزوّده بصلابة التحدّي أمام الصعوبات..

١٥ـ الإحساس بالارتباط القلبي مع جميع المصلّين في العالم الذين يقفون في نفس الوقت بين يدي الله، ربٍّ واحد، وأمام قبلة واحدة، ويردّدون كلمات واحدة ومتقاربة، وأفعال لصلاة مشتركة، وهذا الإحساس منبع الوحدة والمحبّة بين المسلمين الأحياء، وكذلك الذين مضوا إلى الله بهذه المعنويّة وهم عند ربّهم يرزقون. إنّه الإحساس الذي يجمعنا كحبّات المسبحة على خيط متّصل ومتواصل على مستوى العالم لا تنفرط أمام أعداء الأُمّة.

١٦ـ قيل ـطبّياًـ: انّ من يلتزم بالفرائض اليوميّة (صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء) وجمعها (١٧) ركعة، ويضيف عليها نوافلها: ركعتين قبل صلاة الصبح، وثمان ركعات نافلة الظهر يصلّيها ركعتين ركعتين قبل صلاة الظهر، ومثلها ثمان ركعات قبل صلاة العصر، وأربع ركعات بسلام بين الركعتين، نافلة صلاة المغرب يصلّيها بعدها، وركعتين من جلوس هما نافلة صلاة العشاء يصلّيهما بعدها بمثابة ركعة واحدة، ومضافاً إلى (١١) ركعة صلاة الليل، فهذه (٥١) ركعة واجبة

ومستحبّة، لو صلّاها الفرد المسلم يوميّاً مع آدابها الخاصّة:

مثل رفع اليدين إلى حدّ الأُذن حين تكبيرة الإحرام، والتكبيرات الأُخرى.

ومثل مدّ العمود الفقري في القيام، والجلوس بين السجدتين، وحين التشهّد، وعند السلام.

ومثل مدّ الرقبة بمستوى الظَّهر في حال الركوع بطريقة الزاوية القائمة.

ومثل فتح اليدين حال السجود بالنسبة للرجل، وضمّهما بالنسبة للمرأة.

ومثل النظر إلى موضع السجود في حال الوقوف، وإلى ما بين الركبتين في حال الجلوس..

قيل: إنّ مَن يلتزم بهذه الصلوات والآداب سوف لا يجد طول حياته آلاماً في ظهره، ولا في رقبته، ولا في المفاصل بشكلها الحادّ، ويعيش سالماً من آلام الفقرات والمفاصل وهشاشة العظام..

وهناك فائدة عجيبة ذكرتها بعض المصادر الطبّية للسجود الطويل، وهو من المستحبّات المؤكّدة، حيث قيل: إنّ وضع الجبهة على التراب بهذه الطريقة السجوديّة ـ وخاصّة إذا طالتْ ـ يعيد إلى الرأس توازنه الدموي، وحركة الخلايا في المخّ من أثر جاذبيّة الأرض الخاصّة بجهة القبلة، ولا تكون هذه الخاصيّة في السجود بغير الجهة الممتدّة نحو الكعبة البيت الحرام. وهذا أمر يساعد بشكل فعّال على دفع الأمراض التي تعتري الرأس، كالصداع والغدد والجلطة..

وعن الوضوء بمستحبّاته من: المضمضة والاستنشاق خاصّة، فقد قيل: إنّ أهمّ فوائدها الطبّية هي الوقاية من أمراض الفم والتهابات الحلق وروائحهما الكريهة، وضيق التنفّس، وآثار ذلك سلباً على الرئة وغيرها..

ولقد قرأتُ قبل زمان لطبيب روسي قوله: «إنّ المسلمين لو التزموا بوضوء نبيّهم

لفَرَضوا على أطبّاء الأنف والأُذن والحلق أنْ يُغلقوا عياداتهم..».

ولا يخفى ما لسلامة هذه الأعضاء من أثر على سلامة غيرها، وبالتالي سلامة النفس والصحّة الروحيّة العامّة للفرد، وسعادته الأُسريّة ونشاطه المثمر في مختلف الميادين، وتلك ما تفيده الآيات والأحاديث نصّاً أو مضموناً.

**١٧ـ** إنّ من أكبر فوائد الصلاة الحقيقيّة هي درس التواضع في قبول الحقّ، فحيث إنّ الله يمثّل الحقّ المطلق، فالمصلّي الحقيقي يصبح المتعطّش للحقّ في جميع مجالات الحياة، فلا يتكابر ولا يعاند ولا يتكاسل في البحث عنه. ولو عرفنا كم يشكّل التكبّر والعناد والكسل من معاول هدم في سعادة الإنسان، وراحة العوائل، واستقرار المجتمعات، وصلاح الدول والحكومات، لعرفنا توفّر الصلاة على عوامل تربويّة أساسيّة في هذه المسارات الهامّة من الحياة.

**تاسعاً:** كلّ تلك وهذه البركات المادّيّة والمعنويّة للصلاة الصحيحة يمكنك الحصول عليها إذا حافظت على الصلاة وأنت ملتزم بقصد القربة فيها إلى الله، لا أن تصلّي من أجل هذه الفوائد!

ومن أجل ذلك تأمّل في التعاليم التالية والتزم بها تدرّجاً:

## ١ ـ الورع عن محارم الله

اعلم أنّ الله الذي له كلّ الفضل على عبده الضعيف، وإليه ترجع أُمور خَلْقه كلّها.. لا يليق بك أن تستخدم ما أعطاك من جسم وصحّة ومال وقوّة ولسان وجمال في معصيته وتخريب مشروعه العادل في الأرض.

العصيان نوع من كفران النعمة، وتعريض للنفس إلى خطر النقمة والعذاب وسخط الله، والعاقل الرزين المؤدّب لا يتّبع خطوات الشيطان. وأمّا الذي أغواه اللعين فيقرّر إصلاح نفسه بالتوبة وسلوك الورع، كالرجل الذي طرق باب علم الإمام

الحسين بن عليّ عليهما السلام وسأله عن منهج ترك الذنوب وتجنّب المعصية قائلاً: أنا رجل عاص، ولا أصبر عن المعصية! فعِظْني بموعظة.

فقال له عليه السلام: **افْعَلْ خَمْسَةَ أَشياء وأَذْنِبْ ما شئتَ:**

**فأوّل ذلك: لا تَأْكُلْ رِزْقَ اللهِ وأَذْنِبْ ما شِئتَ!**

**والثاني: اخْرُجْ مِنْ ولاية اللهِ وأَذْنِبْ ما شِئتَ!**

**والثالث: اطْلُبْ موضِعاً لا يراك اللهُ وأَذْنِبْ ما شِئتَ!**

**والرابع: إذا جاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ روحَكَ فَادْفَعْهُ عَنْ نَفسِكَ وأَذْنِبْ ما شِئتَ!**

**والخامس: إذا أَدْخَلَكَ مالِكٌ في النّارِ فَلَا تَدْخُلْ في النّارِ وأَذْنِبْ ما شِئتَ!**[1]

ومن أخطر المعاصي على الصلاة: الغيبة وشرب الخمر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«مَن اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلّا أن يغفر له صاحبه»**[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«لا تقبل صلاة شاربِ المُسْكِر أربعين يوماً، إلّا أن يتوب»**[3].

## ٢ ـ تركيز الذهن وحضور القلب حين الصلاة قدر المستطاع

وجّه ذهنك إلى الله الواحد الأحد كما عرفته خالقاً، رازقاً، ومحيطاً بكلّ شيء، وقادراً لما يشاء، يحبّ عباده وأنت منهم، تصوّر أنّك الآن واقفٌ بين يديه تحدّثه ويراك ويسمعك، ولكي تنجح في عمليّة التركيز هنا يمكنك أن تغمض عينيك

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام / لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ٩٢٤ ـ ٩٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥/٢٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ٨٤/٣١٧.

أو تفتحهما وأنت تنظر إلى موضع سجودك ، حاول أن تنسى نفسك ودنياك وهمومك ، وكلّ شيء إلّا الله الذي تصلّي له . .

واحذرْ من أُمور تشرّد بالك عن هذه الوجهة التي أنت عليها . . فلا تصلّي أمام المرآة ـ مثلاً ـ لأنها تذكّرك ذاتك ، ولا تصلّي وأمامك تمثال أو صورة أو حتّى منظر الطبيعة ، لأنها تأخذ حواسك إليها وأنت تحتاجها في صلاتك لتعرف ماذا تقول لله ، وكيف تحدّث الحبيب . . وكذلك رتّبْ نفسك قبل دخولك الصلاة حتّى لا يشغلك الشيطان بتعديل ملابسك في أثناء الصلاة ، أو تمشيط شعرك ، أو تنشيف ماء الوضوء وأنت في الصلاة . .

كُنْ بدرجةٍ من الشهود القلبي بحيث تخجل من نفسك إذا خاطبك الله حين صلاتك : عبدي ، إنّي أستمع إلى ما تقرأه في صلاتك ، وكأنّي لا عبد لي إلّا أنت ! وأنت غافل عنّي وكأنّ لك إلٰهاً آخر غيري ، بل آلهة تفكّر فيها دوني !

وبكلمة أُخرى : حاول أن تكون في صلاتك حاضراً مع الله ، وكأنّك تتكلّم مع أعظم ( شخصيّة ) في الوجود بحيث إذا سألك ذلك الشخصيّة فجأةً : مع مَن تتكلّم ؟ تقول : معك سيّدي !

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « **إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّها لوقتها صلاةَ مودِّع يخاف أن لا يعود إليها أبداً ، ثمّ اصرفْ ببصرك إلى موضع سجودك ، فلو تعلم مَن عن يمينك وشمالك لأحسنتَ صلاتك ، واعْلَمْ أنّك بين يدي مَن يراك ولا تراه** »[١] .

هذه هي صلاة الخاشعين التي أكّد القرآن الكريم على فلاح مَن يصلّيها قائلاً : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾[٢] .

---

(١) بحار الأنوار : ٢٣٣/٨٤ .

(٢) المؤمنون ٢٣ : ١ و ٢ .

## ٣ ـ التفكّر في معاني كلمات الصلاة وأفعالها

والتي ترمز إلى عمق العقيدة بتوحيد الله ، والاعتراف بربوبيّته المتفرّدة وَصْفاً وذاتاً وديمومةً ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾[١] أبداً .

لذلك وجّه النبيّ ﷺ أبا ذرّ الغفاري إلى كيفيّة الصلاة النوعيّة ، ونهاه عن كمّيّة الصلاة الظاهريّة قائلاً : « **يا أبا ذرّ ، رَكْعَتانِ مُقْتَصِدَتانِ في تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ لاهٍ** »[٢] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **مَن صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما ، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب** »[٣] .

## ٤ ـ التجرّد عمّا سوى الله

وهذا جزء من الآداب الباطنيّة التي لا بدّ منها لتجسيد أخلاق الله على ظاهر السلوك ، وتحصيل الراحة القلبيّة ، وصلابة الأعصاب ، وقوّة الشخصيّة ، والثقة العالية بالنفس .

تذكّر أنّك بين يدي قدرة الله وعظمته ، واسأل نفسك : هل تعلم مَن ينظر الآن إليك ؟

حاول أن تعرف مع مَن تتعامل .. مع مَن تتكلّم .. ومع مَن دخلتَ في الارتباط ؟ إنّه الله ..

وفي هذه اللفظة المباركة كلّ معاني الخير ، والرحمة ، والعظمة ، والبهاء ،

---

(١) الشورى ٤٢ : ١١ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٤٩/٨٤ .

(٣) فروع الكافي : ٢٦٦/٣ .

والقدرة ، والحقيقة ، والعدل ، والأبديّة في كلّ ذلك .

تجرّد عمّا سواه ، ولا تعطي ما عداه قيمة .. تدرّج في هذه البصيرة حتّى يأتيك اليقين .. عند ذلك ستزداد اكتشافاً لقدرات تساند من الغيب في كلّ لحظة من حياتك وعند مماتك وبعدها ، وأنت تقطع طريقك إلى الجنّة .

جاء في صحف إدريس : **«إذا دَخَلْتُمْ في الصَّلاةِ فَاصْرِفوا لَها خَواطِرَكُمْ وَأَفْكارَكُمْ ، وَادْعوا اللهَ دُعاءً طاهِراً مُتَفَرِّغاً ، وَسَلُوهُ مَصالِحَكُمْ وَمَنافِعَكُمْ بِخضوعٍ وَخشوعٍ وَطاعَةٍ وَاسْتِكانَةٍ ، وإِذا رَكَعْتُمْ وَسَجدتُمْ فأَبْعِدوا عَنْ نُفوسِكُمْ أَفْكارَ الدُّنْيا ، وَهواجِسَ السُّوءِ ، وَأَفْعالَ الشَّرِّ ، وَاعْتِقادَ الْمَكْرِ ، وَمآكِلَ السُّحْتِ والْعُدْوانِ وَالأَحْقادِ ، وَاطْرَحوا بَيْنَكُمْ ذلِكَ كُلَّه»**[1] .

## ٥ ـ التهيّؤ للصلاة في أوّل الوقت

كلّ مَن يعيش في قلبه حُبّاً صادقاً يذكر محبوبه تلقائيّاً ، فكيف إذا كان الحُبّ لله ، وناداه الله بلسان المؤذّن .. فإنّه يسرع إلى صلاة ربّه ليثبت حبّه لله ، وشوقه للحديث معه ، بل يتهيّأ قبل الأذان بدقائق لكي يبدأ الصلاة في أوّل الوقت ، ولقد أكّد المجرّبون أنّهم حينما يصلّون أوّل الوقت ترتاح نفسيّاتهم ، فيَرَوْن بركات صلاتهم في الساعات بينها وبين موعدهم مع الصلاة الأُخرى ، فكم يقبح من الفرد المسلم أن يناديه ربّه القويّ المتعال بصوت المؤذّن : « حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ ... » وهو يتغافل ويتكاسل ويتهاون ويتعلّل منشغلاً عن ربّه ..

فهل هذا هو التصرّف اللائق ممّن يحبّ الله وممّن هو الضعيف المحتاج إلى ربّه القويّ في أزمات حياته ، وعند سكرات مماته ، وبعده إلى يوم القيامة ؟ !

---

(١) بحار الأنوار : ٨٤/٢٥٣.

كلّا.. إنّ المحبّ متلهّف بانتظاره للموعد الذي يقف فيه بين يدي الله الكبير المتعال الذي خلقه، ورزقه، وأعطاه، والذي دعاه لمعالجة ما أفسده على نفسه، ولحلّ المشاكل التي جلبها لنفسه جهلاً بتعاليم الدين، وغفلة عن الله ربّ العالمين.. فهل تعرف ربّاً بهذه العظمة والرحمة والمحبّة والقدرة والرأفة يدعو عبده ويهتمّ به!؟ والعبد يُعْرِض بوجهه عنه!؟

ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي كما علّمه الإمام زين العابدين عليه السلام:

**«اللّٰهُمَّ إنَّ عفوَكَ عَنْ ذَنْبي، وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمي، وَسِتْرَكَ علىٰ قَبِيحِ عَمَلي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَبِيرِ جُرْمي، عِنْدَ ما كانَ مِنْ خَطَأي وَعَمْدِي أَطْمَعَني في أَنْ أَسْأَلَكَ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، الَّذِي رَزَقْتَني مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَرَيْتَني مِنْ قُدْرَتِكَ، وَعَرَّفْتَني مِنْ إجابَتِكَ، فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً، لا خائِفاً وَلا وَجِلاً، مُدِلّاً عَلَيْكَ فِيما قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ عَلَيْكَ بِجَهْلي، وَلَعَلَّ الَّذي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لي لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الْأُمُورِ، فَلَمْ أَرَ مَوْلىً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلىٰ عَبْدٍ لَئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ. يا رَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُوني فَأُوَلّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ ذٰلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لي، وَالْإِحْسانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجاهِلَ، وَعُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسانِكَ، إِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ»**(١).

فمن الجدير بالعبد الذي يبحث عن روح العبوديّة لله، أن يُسرع إلى دعوة ربّه

(١) المصباح / الشيخ الكفعمي: ٥٧٣.

للصلاة ،كما قال النبيّ الكريم سيّدنا محمّد ﷺ : « **ما من عبدٍ اهتمّ بمواقيت الصلاة ، ومواضع الشمس ، إلّا ضمنت له الرَّوْح عند الموت ، وانقطاع الهموم والأحزان ، والنجاة من النار** »(١).

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « **فضل الوقت الأوّل على الأخير كفضل الآخرة على الدنيا** »(٢)

لذاكان من الجدير دائماً أن تقول لعملك : هذا وقت صلاتي ، ولا تقول لصلاتك : هذا وقت عملي . .

ولقد حذّر الله الذين يقدّمون اللهو والتجارة على صلاة الجمعة ، والملاك متّحد بينها وبين الصلوات اليوميّة ولو بدرجة أقلّ . .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾(٣).

## ٦ ـ صلاة الليل ، وما أدراك ما صلاة الليل!

وهي وإن كانت مستحبّة ولكنّها مستحبّة بامتياز وتأكيد ، لأنّها عبادة ذات معطيات عظيمة أشارتْ إليها الآية الكريمة : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ**

(١) بحار الأنوار : ٩/٨٣.

(٢) بحار الأنوار : ٣٥٩/٨٢.

(٣) الجمعة ٦٢ : ٩ ـ ١١.

**أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً﴾**[١].

وقال عزّ وجلّ: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبرئيل يوصيني بقيام الليل حتّى ظننتُ أنّ خيار أُمّتي لن يناموا**»[٣].

وقال أيضاً: «**إنّ الله جلّ جلاله أوحى إلى الدنيا أن أتعِبي مَن خدمك، واخدمي مَن رفضكِ، إنّ العبد إذا تخلّى بسيّده في جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النور في قلبه، فإذا قال: يا ربّ يا ربّ، ناداه الجليل جلّ جلاله: لبّيك عبدي، سَلني أُعْطِكَ، وتوكَّل عَلَيَّ أكْفِكَ، ثمّ يقول جلّ جلاله لملائكته: ملائكتي، انظروا إلى عبدي فقد تخلّى بي في جوف الليل المظلم والبطّالون لاهون، والغافلون نيام، اشهدوا أنّي قد غفرت له**»[٤].

وهذه الصلاة العظيمة لو تأمّلنا في آثارها المعنويّة والماديّة لاستيقنّا أنّها معجزة من معاجز الإسلام لتربية النفس الإنسانيّة، وهي التي تنظّم أولويّاتها لبناء حضارة عادلة بتمام معنى الكلمة، وتلك ما لا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**عَلَيْكُمْ بِصَلاةِ اللَّيلِ، فَإنّها سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ، وَدأْبُ الصّالحينَ قَبْلَكُمْ، وَمُطرِدَةُ الدّاءِ عَنْ أَجْسادِكُمْ**»[٥].

---

(١) الإسراء ١٧: ٧٩.

(٢) الذاريات ٥١: ١٥ ـ ١٨.

(٣) بحار الأنوار: ٧٦/٣٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ٣٨/٩٩.

(٥) علل الشرائع: ٣٦٢.

وكان المسلمون الأوائل إذا ما سُلِبوا البركات عن حياتهم أسرعوا إلى الإمام المعصوم من آل بيت النبيّ ( صلوات الله عليهم أجمعين ) يسألونه كما يسأل المريضُ الطبيبَ عن علاج ما أصابه من السقم . وإذا بالإمام عليه السلام يصارحه بدواء الليل في خلوة التهجّد ، وطول السجود ، وبلسم الاستغفار في هدوء الأسحار . .

فقد ورد أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد حُرِمْتُ الصلاة بالليل ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بصراحة ودون تردّد ومجاملة : « **أنت رجلٌ قد قيّدتْك ذنوبُك** »[1] .

يعني اذهب واترك ذنوبك ، وتحرّر من قيود الشيطان ، وتُبْ إلى الله ليفتح الله لك باب النجاح الحقيقي قبل نزول الموت المحتوم .

حقّاً ينبغي لشيعة الإمام عليّ عليه السلام في هذا العصر أن يكونوا كما قال عن أصحابه المتّقين : « **أمّا اللَّيْلَ فَصافُّونَ أَقْدامَهُمْ ، تالِينَ لِأَجْزاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَها تَرْتِيلاً . يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَواءَ دائِهِمْ ... فَهُمْ حانُونَ عَلَىٰ أَوْساطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجَباهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ ، وَأَطْرافِ أَقْدامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ في فَكاكِ رِقابِهِمْ** »[2] .

## أيّتها الشابّة المسلمة . . أيّها الشابّ المسلم

بهذه الأحاديث الجميلة حول وجوب الصلاة وآثارها الطيّبة على حياتنا الدنيويّة والأُخرويّة ، هل بقي فيك شيء من التردّد للاستجابة إلى دعوة الحقّ ؟ !

لا تتردّد أبداً والقرآن الكريم يُطلِق نداءه إليك : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ**

---

(١) علل الشرائع : ٣٦٢ .

(٢) نهج البلاغة : قطعة من الخطبة ١٨٤ .

**وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[١].

لا تتردّد في التلبية لهذا النداء بتوبة نصوح وأنت تقرأ هذا التحذير الوارد عن رسول الله ﷺ عن ابنته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها، وعلى أبيها، وعلى بعلها، وعلى أبنائها الأوصياء)، أنّها سألت أباها محمّداً ﷺ فقالت: « **يا أَبَتاهُ، ما لِمَنْ تَهاوَنَ بِصَلاتِهِ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ؟**

**قال: يا فاطِمَةُ، مَنْ تَهاوَنَ بِصَلاتِهِ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ ابْتَلاهُ اللهُ بِخَمْسَ عَشَرَةَ خَصْلَةً؛ ستٌّ مِنْها فِي دارِ الدُّنْيا، وَثَلاثٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَثَلاثٌ فِي قَبْرِهِ، وَثَلاثٌ فِي الْقِيامَةِ إِذا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ.**

**فأمّا اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأوّل: يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزّ وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكلّ عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظّ في دعاء الصالحين.**

**وأمّا اللواتي تصيبه عند موته: فأوّلهنّ أنّه يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً، فلو سُقِيَ مِن أنهار الدنيا لم يُرْوَ عطشه.**

**وأمّا اللواتي تصيبه في قبره: فأوّلهنّ: يوكّل الله به ملكاً يُزعجه في قبره، والثانية: يضيّق في قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره.**

**وأمّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأوّلهنّ: أن يوكّل الله به مَلكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية: يُحاسَب حساباً شديداً، والثالثة: لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه، وله عذاب أليم**»[٢].

(١) الأنفال ٨: ٢٤.

(٢) فلاح السائل: ٢٢.

هذا عقاب المتهاون في صلاته والمستخفّ بها، الذي يصلّي حيناً ويتركها حيناً، وأمّا تارك الصلاة ـ والعياذ بالله ـ فقد قال النبيّ الأعظم ﷺ فيه: «**مَن ترك الصلاة لا يرجو ثوابها، ولا يخاف عقابها، فلا أُبالي أيموت يهوديّاً أو نصرانيّاً أو مجوسيّاً**»[(١)].

وكذلك قال الإمام عليّ عليه السلام: «**تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سُئِلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾**[(٢)]»[(٣)].

اللّهمّ جنّب شبابنا من حبائل الشيطان، ووفّقهم إلى صِلتِك بالصلاة وإلى أمْنِك بالإيمان، ولا تجعلهم وآباءهم من معشر الذين سقطوا في الشهوات بإضاعتهم الصلاة، وكانت عاقبتهم الغيّ والعذاب، كما أخبرتَ عنهم في كتابك العظيم: **﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾**[(٤)].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠٢/٨٢.

(٢) المدّثّر ٧٤: ٤٢ و ٤٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٢٤/٨٢.

(٤) مريم ١٩: ٥٩.




# المسجد محراب النجاة المطلوب
# ثقافة مسجديّة مسؤولة

قال الله عزّ وجلّ:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾

التوبة ٩: ١٠٨

«المساجد من أهمّ الأجواء الإيمانيّة والتربويّة التي تُسهم بشكل فعّال في تربية الإنسان وإصلاحه وتغييره، والمسجد خير محيط للإنسان للارتباط بالله سبحانه وتعالى وبعالَم الغيب، حيث يجعل الإنسان يعيش أجواءً معنويّة وروحيّة يتعالى فيها على أثقال الحياة، ويتسامى فيها فكراً وعاطفةً ثمّ سلوكاً.

قال الإمام الحسن عليه السلام: **مَنْ أدامَ الاخْتِلافَ** -أي الرواح المتواصل- **إِلَى الْمَسْجِدِ أَصابَ إِحْدىٰ ثَمانٍ: آيَةً مُحْكَمَةً، وَأَخاً مُسْتَفاداً، وَعِلْماً مُسْتَطْرَفاً، وَرَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، وَكَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى الْهدىٰ، أَوْ تَرُدُّهُ عَنْ رَدىٰ، وَتَرْكَ الذُّنوبِ حَياءً أَوْ خَشْيَةً»**[1].

ولأهمّيّة المسجد في بناء الشخصيّة الرساليّة تظافرت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام على استحباب بناء المساجد، واستحباب الصلاة فيها، ووضعوا برنامجاً متكاملاً في المستحبّات والمكروهات التي ينبغي مراعاتها داخل المسجد، وهي الحصن الواقي الذي يدفع الإنسان للحركة نحو السموّ والتكامل»[2].

المسجد خندق للدفاع عن النفس المطمئنّة.. الداعية إلى الوعي والعلم والثقافة والمعرفة.. وإلى العدل والإنصاف.. وإلى طاعة الله..

المسجد مدرسة لتربية الذات، وتوجيه المجتمع، ونشر قيم الهداية والأخلاق المحمّديّة..

---

(١) تحف العقول: ٢٣٥.

(٢) ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت / السيّد شهاب الدين العذاري: ٢٢.

المسجد ملتقى التعارف والمحبّة والوحدة بين المسلمين بكلّ مذاهبهم الفقهيّة، وبين شيعة أهل البيت عليهم السلام بكلّ مراجعهم الاجتهاديّة، وبين جيران المسجد..

المسجد ـ بهذه الثقافة المسجديّة المسؤولة ـ محرابٌ للحرب على النفس الأمّارة بالسوء.. الأمّارة بالجهل.. الأمّارة بالظلم.. الأمّارة بطاعة الشيطان..

أثبتت دراسات الأمن الاجتماعي أنّ دُورَ العبادة والمساجد والعتبات المقدّسة تؤدّي دَوْراً كبيراً في التقليل من العنف والحالات العدوانيّة بين البشر، وخاصّة فئة الشباب.

ففي زمن الكآبة والخلافات المدمّرة التي لم تَسْلم منها حتّى الأُسرة الواحدة، بل وحتّى الزوجين، كثيراً ما ينتهيان إلى الطلاق بسبب الأمراض النفسيّة المنتشرة، وهي التي تعالجها العبادة الصحيحة والمساجد الروحانيّة لا عيادات الأعصاب والطبّ النفسي وعقاقير وحبوب التخدير!

بهذه المناسبة أذكر في سنة ١٩٩٠م حينما ألجأتنا الظروف السياسيّة في المنطقة إلى معسكر اللاجئين في الدانمارك ـ وكان يسكنها أكثر من ألف لاجئ أكثرهم مسلمون من دول مختلفة ـ كانوا بسبب الغربة وقضاياهم الضاغطة على نفسيّاتهم، وصعوبة انتظار الإقامة يتنازعون بينهم على أبسط الأُمور، وتصل المنازعات أحياناً للضرب بالأيدي، وتكسير محتويات المعسكر، ممّا أساء لصورة الإنسان المسلم وأخلاقه السلميّة المطلوبة. هذا ما عدا مظاهر الفسق التي أخذت تهدّد الفتيان والفتيات.

فاجتمعنا مع جمع من العوائل المتديّنة لبحث سُبل الإنقاذ، فكان شهر رمضان على الأبواب، رتّبنا برامج رمضانيّة متعدّدة النواحي: صلاة جماعة في صالة المعسكر، مسابقات ثقافيّة، مجلس تجويد قرآن، إحياء مناسبات، تقاليد شرقيّة، منع التجاهر بالإفطار، وذلك بتعيين مجموعة من الإخوة لتوزيع الطعام فقط عند

غروب الشمس ، ولمَن يريد الطبخ بنفسه يُقدَّم له ما يحتاجه ضمن صفّ منظّم هادئ . بهذه الأجواء الطيّبة انخفضت نسبة التوتّرات العصبيّة ، والصدامات ، والمشاكل حتّى قال لي مدير المعسكر ـ وهو رجل دانماركي ـ : كيف استطعتم أن تسيطروا على هؤلاء البشر ؟ حتّى قد تعجّب منكم غير المسلمين ؟ ! كما قلّتْ لدينا الشكاوى ومراجعة العيادة !

فقلتُ له ـ ضمن كلام طويل ـ : إنّ هذا من معاجز الإسلام التربويّة .

إنّنا ـ أيّها الأحبّة ـ قد أوقفنا حياتنا لإحياء القيم الدينيّة وإن كان سعينا يتواجه برفض الذين يجهلوننا ، ولكنّ الشمسَ قد علّمتنا أنّ شعاعها مهما حاول البعض منعه فلن يتمكّن ، لأنّ الربّ الحكيم كتب على نفسه النصر للمؤمنين مهما طال الزمن ، وعبث الحاسدون .

لذا أنصح الشباب في كلّ مكان أن ينفتحوا على مَن لم يعرفوه ، فإنّ البطولة تُسجَّل باسمهم هنا ، وليست البطولة أن يدور الشباب حول نفسه وأصدقائه ، ويظنّ أنّ الآخرين ليسوا على حقّ !

اقرأ ثمّ قرّر . . فلعلّك تكتشف ما كنت تبحث عنه من مفاتيح السعادة ، وهي كانت بالقرب منك !

اسئل واستمع للجواب . . فلعلّك تكتشف بطلان معلوماتك ، ولكن تحرّك قبل فوات الأوان !

فلا تغفل أو تتغافل . . ادفعْ عنك غشاء العصبيّة ، ولتسمو روحُك مستوى الحرّيّة ، وخذ الحكمة ولو من لسان عدوّك فضلاً عن أخيك الذي جهلته بأثر الظروف المحيطة بك . .

ولا بدّ للآباء والأُمّهات أن يشجّعوا أولادهم إلى الدّين والصلاة والمسجد وحُبّ العلماء الصالحين والقراءة إن كانوا يريدون أولاداً يريحونهم من مشاكل الفساد

والمخدّرات وفضائح العلاقات الأُسريّة القاتلة ، وإلّا سوف يدفعون الثمن غالياً يوم لا ينفع الندم..

نعم.. وهنا قبل التطرّق إلى روايات في تعزيز الثقافة المسجديّة المطلوبة.. نقدّم استراحة من واقع ليس بمستغرب في بعض المجتمعات الجاهلة !!

قدّم رجلٌ ابناً له إلى القاضي ، فقال : أصلح الله القاضي ، إنّ هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلّي .

فقال له القاضي : ما تقول ـ يا غلام ـ فيما حكاه أبوك عنك ؟

قال : يقول غير الصحيح . إنّي أُصلّي ولا أشرب الخمر !

فقال أبوه : أصلح الله القاضي ، أتكون صلاةٌ بلا تلاوة ؟!

فقال القاضي : يا غلام ، تقرأ شيئاً من القرآن ؟

قال : نعم ، وأُجيدُ القرآن !

قال : اقرأ !

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم (عَلَقَ القلبُ رَبابا.. بعدما شابتْ وشابا.. إنَّ دينَ الله حقّ.. لا أرى فيه ارتيابا)!!

فقال أبوه : والله أيّها القاضي ما تعَلَّم هاتين الآيتين إلّا البارحة ! فقد سرق مصحفاً من بعض جيراننا وحفظهما !

فقال القاضي : قبّحكما الله ! تقرآن كتاب الله ولا تعملان به[1] !

والآن نقرأ معاً في هذه الروايات الواردة عن النبيّ الأكرم وأهل بيته النجباء (عليه وعليهم آلاف التحيّة والثناء):

---

(١) طرائف الحكم / السيّد هادي المدرّسي : ٨٧ ، نقلاً عن المستطرف للأبشيهي .

## ١ ـ أهمّيّة المساجد وفوائدها

قال الرسول الأعظم محمّد ﷺ: «**في التوراة مكتوب: إنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبدٍ تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي، ألا إنّ على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة**»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**عليكم بإتيان المساجد، فإنّها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهّراً طهّره الله من ذنوبه، وكُتِبَ من زوّاره، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء**»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً: «**لا يرجع صاحب المسجد بأقلّ من إحدى ثلاث: إمّا دعاءٍ يدعو به يُدخله الله به الجنّة، وإمّا دعاءٍ يدعو به فيصرف الله عنه بلاءً، وإمّا أخ يستفيده في الله عزّ وجلّ**»[٣].

## ٢ ـ ثواب بناء المساجد

قال الرسول الأعظم ﷺ: «**مَنْ بَنىٰ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ**»[٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنّة**»[٥].

## ٣ ـ آداب التعامل مع المساجد

عن أبي ذرّ.. قلت: يا رسول الله، كيف تَعْمُر مساجد الله؟

---

(١) بحار الأنوار: ٨٣/٣٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ٨٣/٣٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٤/٢٧٥.

(٤) بحار الأنوار: ٧٧/١٢١.

(٥) وسائل الشيعة: ٣/٤٨٥.

قال : **لا ترفع فيها الأصوات ، ولا يُخاض فيها بالباطل ، ولا يُشْتَرى فيها ، ولا يُباع ، واترُكِ اللغو ما دُمْتَ فيها ، فإنْ لم تفعل فلا تلومنّ يوم القيامة إلّا نفسك** »[١] .

وقال النبيّ الأكرم ﷺ : « **لا تجعلوا المساجد طُرقاً حتّى تصلّوا فيها ركعتين** »[٢] .

## ٤ ـ حقّ المسجد على جيران المسجد

قال الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : « **ليس لجار المسجد صلاة إذا لم يَشْهَد المكتوبة في المسجد ، إذا كان فارغاً صحيحاً** » .

أي لا يكتمل أجر صلاة جار المسجد إن لم يحضر المسجد ليصلّي فيه الصلاة الواجبة التي كتبها الله عليه فرضاً ، ذلك إذا كان يستطيع المجيء .

وفي حديث آخر : قال عليه السلام : « **لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد ، إلّا أن يكون له عذر أو به علّة** .

فقيل : ومَن جار المسجد ، يا أمير المؤمنين ؟

قال : **مَن سَمِعَ النداء** » .

وبيّن عليه السلام حدود الجار قائلاً : « **حريم المسجد أربعون ذراعاً ، والجوار أربعون داراً من جوانبها** »[٣] .

## ٥ ـ أجر المشي إلى المساجد ، وأجر المؤذّنين

نقل الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ قوله ـ في حديث طويل ـ : « **مَن مشى إلى مسجدٍ يطلب فيه الجماعة كان له بكلّ خطوة سبعون ألف حسنة ، ويُرفع له من**

---

(١) بحار الأنوار : ٨٥/٧٧.

(٢) بحار الأنوار : ٣٢٨/٧٦.

(٣) هذه الروايات من بحار الأنوار : ٣٥٤/٨٣ و ٣٧٩.

الدرجات مثل ذلك ، وإن مات وهو على ذلك وكّل الله به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ، ويؤنسونه في وحدته ، ويستغفرون له حتّى يُبْعَث .

ألا ومَن أذّن محتسباً يريد بذلك وجه الله عزّ وجلّ أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد ، وأربعين ألف صدّيق ، ويدخل في شفاعته أربعين ألف مسيء من اُمّتي إلى الجنّة .

ألا وإنّ المؤذّن إذا قال : أشهد أن لا إله إلّا الله ، صلّى عليه تسعون ألف مَلك ، واستغفروا له ، وكان يوم القيامة في ظلّ العرش حتّى يَفرغ الله من حساب الخلائق ، ويَكْتُب ثواب قوله : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، أربعين ألف مَلك ، ومَن حافظ على الصفّ الأوّل ، والتكبيرة الأولى ، لايؤذي مسلماً ، أعطاه الله من الأجر ما يُعطى المؤذّنون في الدنيا والآخرة »[١] .

## ٦ ـ أجر الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة

قال النبيّ محمّد ﷺ لأبي ذرّ: **« يا أَبا ذَرّ ، إنَّ اللهَ تَعالىٰ يُعْطِيكَ ما دُمْتَ جالِساً في الْمَسْجِدِ بِكُلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسْتَ دَرَجَةً في الْجَنَّةِ ، وَتُصَلّي عَلَيْكَ الْمَلائِكَةُ ، وَتُكْتَبُ لَكَ بِكُلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسْتَ فِيهِ عَشْرُ حَسَناتٍ ، وَتُمْحىٰ عَنْكَ عَشْرُ سَيِّئاتٍ »**[٢] .

وقال النبيّ ﷺ أيضاً : **« الْجُلُوسُ في الْمَسْجِدِ لاِنْتِظارِ الصَّلاةِ عِبادَةٌ ما لَمْ يُحْدِثْ .**

قيل : يا رسول الله ، وَما الحدث ؟ قالَ ﷺ : **الاغْتِيابُ »**[٣] .

وقال ﷺ : **« كُلُّ جُلُوسٍ في الْمَسْجِدِ لَغْوٌ إلّا ثَلاثَةً : قِراءَةُ مُصَلٍّ ، أَوْ ذِكْرُ اللهِ ،**

---

(١) بحار الأنوار : ٣٣٧/٧٦ .

(٢) ميزان الحكمة ـ باب المسجد ، نقلاً عن بحار الأنوار : الجزء ٨٥ .

(٣) بحار الأنوار : ٣٨٤/٨٣ .

**أوْ سائِلٍ عَنْ عِلْمٍ»[١].**

## ٧ـ المسجد والعالِم والمصحف يشكون يوم القيامة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها، فأوحى الله عزّ وجلّ إليها: وعزّتي وجلالي، لا قبلتُ لهم صلاة واحدة، ولا أظهرت لهم في الناس عدالة، ولا نالتهم رحمتي، ولا جاوروني في جنّتي**»[٢].

وقال أيضاً: «**ثَلاثَةٌ يَشْكونَ إِلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَسْجِدٌ خَرابٌ لَا يُصَلّي فيهِ أَهْلُهُ، وَعالِمٌ بَيْنَ جُهّالٍ، وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ غُبارٌ لَا يُقْرَأُ فيهِ**»[٣].

## ٨ـ أجر صلاة الجماعة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**الصلاة في جماعة تفضُلُ على كلّ صلاة الفرد بأربعة وعشرين درجة تكون خمسة وعشرين صلاة**»[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من صلّى الخمْسَ في جماعة فظنّوا به خيراً**»[٥].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**رفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة أنّ قوماً من جيران المسجد لا يشهدون الصلاة جماعة في المسجد، فقال عليه السلام: ليحضرنَّ معنا صلاتنا جماعة أو ليتحوّلنّ عنّا ولا يجاورونا ولا نجاورهم**»[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ٨٦/٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣٤٨/٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ٣٨٥/٨٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ٢٥/٣، الحديث ٨٥.

(٥) وسائل الشيعة: ٣٧١/٥.

(٦) تنبيه الخواطر: ٣٣١.

## ٩ ـ لماذا صلاة الجماعة؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّما جُعِلَ الْجَماعَةُ وَالاجْتماعُ إِلَى الصَّلاةِ لكي يُعْرَفَ مَنْ يُصَلّي مِمَّنْ لَا يُصَلّي، وَمَنْ يَحْفَظُ مَواقيتَ الصَّلاةِ مِمَّنْ يُضَيِّعُ. وَلَوْلا ذلِكَ لَمْ يُمكنْ أَحَدٌ أَنْ يَشْهَدَ عَلىٰ أَحَدٍ بِصَلاحٍ، لأَنَّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ في جَماعَةٍ فَلا صَلاةَ لَهُ بَيْنَ الْمُسْلمينَ لأَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ: لَا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ في الْمَسْجِدِ مَعَ الْمُسْلمينَ إِلّا مِنْ عِلَّةٍ**»[1].

## ١٠ ـ ينبغي على إمام الجماعة عدم الإطالة

كتب الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر: «**فَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلَا مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ.**

**وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَىٰ الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟**

**فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**»[2].

## ١١ ـ شروط إمام الجماعة في فتاوى المراجع

يشترط في إمام الجماعة ـ مضافاً إلى الإيمان والعقل وطهارة المولد ـ أُمور أهمّها:

**الأوّل:** الرجولة إذا كان المأموم رجلاً، فلا تصحّ إمامة المرأة إلّا للمرأة.

**الثاني:** العدالة، فلا يجوز الصلاة خلف الفاسق، ولا بدّ من إحرازها ولو بالوثوق

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٧٣/٥.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٥٣.

الحاصل من أيّ سبب كان ، مثل : شهادة عدلين ، أو عادل واحد ، أو الشياع المفيد لليقين والاطمئنان.. ويكفي حُسْن ظاهره ، وعدم ثبوت ما يخلّ بعدالته في وقته الحاضر.

**الثالث:** أن يكون الإمام صحيح القراءة للآيات وأذكار الصلاة ، ويؤدّي ألفاظها من مخارجها العربيّة.

تجد تفاصيل هذه الشروط في الرسائل الفقهيّة العمليّة لجميع مراجع الدين (حفظهم الله تعالى)..

والواجب على كلّ مكلّف أن يراجع أحكامه الشرعيّة ويتعلّمها حسب رأي مرجعه الشرعي ، وهي في غالبها أحكام متقاربة.

ومن المفيد أن ننبّه على أنّ فتوى بعض المراجع في جواز الصلاة خلف إمام مساجد إخواننا السنّة قد فتحت الباب لجواز الاقتداء بالأقربين من طريق الأوْلى. فلا يبقى لمقلّدي هؤلاء المراجع عذرٌ ومجالٌ لمناقشة هذه المسألة ما داموا على معيار الوحدة يعملون لا على معيار الحسّاسيّات الشخصيّة أو الفئوية !!

فتأمّل..

## ١٢ ـ كلمة جامعة للمسجديّين

في الكلام عن الثقافة المسجديّة المسنونة نصل هنا إلى كلمة قالها مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام :

**«إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت باب بيت ملكٍ عظيم لا يطأ بساطه إلّا المطهّرون ، ولا يؤذن بمجالسة مجلسه إلّا الصدّيقون ، وهب القدوم إلى بساط خدمة الملك ، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت هيبة الملك ، واعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك..**

واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه ، فإنّك قد توجّهت للعبادة له والمؤانسة ، واعرض أسرارك عليه ، ولتعلم أنّه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين وعلانيتهم ، وكن كأفقر عباده بين يديه ، وأخل قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك ، فإنّه لا يقبل إلّا الأطهر والأخلص .

وانظر من أيّ ديوان يخرج اسمك ، فإن ذقت من حلاوة مناجاته ، ولذيذ مخاطباته ، وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته ، فقد صلحت لخدمته ،فادخل فلك الأمن والأمان ، وإلّا فقف وقوف مضطرّ قد انقطع عنه الحيل ، وقصر عنه الأمل ، وقضى عليه الأجل ، فإذا علم الله عزّ وجلّ من قلبك صدق الالتجاء إليه ، نظر إليك بعين الرحمة والرأفة والعطف ووفّقك لما يحبّ ويرضى ، فإنّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه ، المحترقين على بابه لطلب مرضاته . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾(١) »(٢) .

---

(١) النمل ٢٧ : ٦٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٣٧٣/٨٣ .



# الفصل السادس

## الأخلاق رسالة الدعاة
## هي مفتاح السعادة والفلاح



قال الله عزّ وجلّ :

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

النحل ١٦ : ١٢٥

ما هي الأخلاق ؟

باختصار شديد : هي السلوك الحَسَن المتناسب مع الطرف الآخر..

ولكي تدرك أهمّيّة الأخلاق عند الله وفي الحياة جيّداً يكفيك أن تتصوّر أمامَك إنساناً ليست له أخلاق حسنة ، فكم تنفر منه ، وتفرّ كفرارك من الحيوان المفترس أو الوحش الكاسر أو ذي صورةٍ قبيحة مُرعبة ، ولا يكفي أن يرى هذا الإنسان نفسه (عاقلاً) أو (عابداً) أو (ذاكراً لله) أو (مصلّياً) أو (ملتزماً بالمسجد) !

إنّك بالتأكيد لا تميل إليه ، ولا تقترب منه ، ولا تحاول أن تتصادق معه مهما كان بظاهر الدّين وهو غير متخلّق بأخلاق الدّين..

ولكي تعرف قيمة الأخلاق أكثر.. انظر إلى العكس من ذلك.. جسِّدْ أمامك إنساناً عاقلاً ، رزيناً ، ودوداً ، عطوفاً ، حنوناً ، شهماً ، كريماً ، ناصحاً بالخير ، ومحذّراً من الشرّ.. يعبد الله أيضاً ويذكره كثيراً ، ويصلي في المسجد ، طاهراً ، متعطّراً ، وقوراً ، مؤدّباً ، وهو بهذه الأخلاق الممتازة يخدم الناس قدر المستطاع ، ويصبر على الأذى ، وينتظر جائزته في الجنّة..

إنّه الإنسان الذي تعجبك شخصيّته حتماً..

فهل تريد أن تكون أنت هذا الإنسان ؟

اقرأ معي هذا الحديث النبويّ الشريف أوّلاً.. قال ﷺ : «**أتدرون ما المفلس ؟**

فقيل : المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع له.

فقال: **المفلس من أُمّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ، وَقَذَفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنْ فنِيَتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثمّ طرح في النار، بل قد يقال: إنّ المفلس حقيقة هو هذا»**[١].

ثمّ تعال معي لتنفيذ كلّ ما أتينا به في هذا الكتاب من مفاهيم في العقلائيّة والعقائديّة، والدعوة للعبادة الواعية، وذكر الله بمعناه الهادف، والصلاة بشروطها وآدابها، مع العمل المسجدي الصحيح.. ثمّ إشباع ذلك كلّه بالمفاهيم الأخلاقيّة التي اخترناها لك في هذا الفصل الأخير بأربعة محاور:

**المحور الأوّل:** نبذة من أخلاق الله كما نقلته الأحاديث القدسيّة في مناجاة النبيّ موسى والنبيّ عيسى عليهما السلام.. وأخلاق الله تتجلّى حيث الرحمة الواسعة.. والكرم والفضل واللطف والعطاء اللّامتناهي.. وحيث العفو والمغفرة والخير الدائم والمستمرّ الذي لن ينقطع.

**المحور الثاني:** مقتطفات ممّا جاء في وصايا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الأخلاقيّة لأبي ذرّ الغفاري.. والرسول صلى الله عليه وآله صاحب هذه المقولة: «**تخلّقوا بأخلاق الله**»، وهي الأخلاق التي تجسّدت في شخصيّته صلى الله عليه وآله بشهادة الله له في محكم كتابه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢]، حتّى رقاه الله إلى مستوى الأُسوة قائلاً: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[٣].

وكانت مهمّته الأُولى تدشين النهضة الأخلاقيّة المكمّلة لنهضة الأنبياء من قبله،

---

(١) بحار الأنوار: ٦/٦٩، الحديث ٣.

(٢) القلم ٦٨: ٤.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٢١.

حيث قال: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[١]، وعلى أساسها بنى الرسول ﷺ دعوته الإسلاميّة التي استجاب لها المسلمون على مرّ العصور امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[٢].

**المحور الثالث:** ما اخترناه من وصايا وتعليمات أخلاقيّة راقية، ومواعظ تعكس عظمة الخالق تبارك وتعالى من جهة وتربية الذين صنعتهم لنا أخلاق الله من جهة أُخرى.

**المحور الرابع:** نختم هذا الفصل الأخير بدعاء مكارم الأخلاق، وهو من أروع أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام الواردة في الصحيفة السجّاديّة المشتملة على منظومة واسعة من العقائديّات والأخلاقيّات، وفنّ التعامل مع الناس من المنظور الإسلامي الأصيل.

نبدأ بالمحاور الأربعة واحداً تلو الآخر، وأملنا بالقارئ الكريم أن يتأمّل فيها جيّداً كي يخرج من الكتاب بحصيلة نافعة بإذن الله:

(١) مستدرك الوسائل: ١١/١٨٧، باب استحباب التخلّق بمكارم الأخلاق، الحديث ١/١٢٧٠١.

(٢) الحشر: ٥٩: ٧.

# في المحور الأوّل: أحاديث قدسيّة

إلى النبيّ موسى بن عمران (على نبيّنا وآله وعليه السلام)

**«يا موسى، لَا تُطِلْ في الدُّنْيا أَمَلَكَ فَيَقْسُو قَلْبُكَ، وَقاسي الْقَلْبِ مِنّي بَعيدٌ.**

**يا موسى، أَمِتْ قَلْبَكَ بِالْخَشْيَةِ، وَكُنْ خَلِقَ الثّيابِ، جَديدَ الْقَلْبِ، تَخفىٰ عَلىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَتُعْرَفُ لأَهْلِ السَّماءِ، وَصِحْ إِلَيَّ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنوبِ صِياحَ الْهارِبِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَاسْتَعِنْ بي عَلىٰ ذلِكَ، فَإِنّي نِعْمَ الْمُسْتَعانُ.**

**يا موسى، إِنّي أَنا فَوْقَ الْعِبادِ وَالْعِبادُ دوني، وَكُلٌّ لي دِاخِرونَ، فَاتَّهِمْ نَفْسَكَ عَلىٰ نَفسِكَ، وَلَا تَأْتَمِنْ وَلَدَكَ عَلىٰ دينِكَ، إِلّا أَنْ يَكونَ وَلَدُكَ مِثْلَكَ يُحِبُّ الصّالِحينَ.**

**يا موسى، اغْسِلْ وَاغْتَسِلْ وَاقْتَرِبْ مِنْ عِبادي الصّالِحينَ.**

**يا موسى، كُنْ إِمامَهُمْ في صَلاتِهِمْ، وَفيما يَتَشاجَرونَ، وَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ بِما أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَنْزَلْتُهُ حُكْماً بَيِّناً، وَبُرْهاناً نَيِّراً، وَنوراً يَنْطِقُ بِما في الْأَوَّلينَ، وَبِما هُوَ كائِنٌ في الْآخِرينَ.**

**يا موسى، أُوصيكَ وَصِيَّةَ الشَّفيقِ الْمُشْفِقِ بِابْنِ الْبَتولِ عيسَى بْنِ مَرْيَمَ**

صاحِبِ الْأَتانِ وَالْبُرْنُسِ وَالزَّيْتِ وَالزَّيْتونِ وَالْمِحْرابِ، وَمِنْ بَعْدِهِ بِصاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، الطَّيِّبِ الطّاهِرِ الْمُطَهَّرِ. فَمَثَلُهُ في كِتابِكَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مُهَيْمِنٌ عَلَى الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ راكِعٌ، ساجِدٌ، راغِبٌ، راهِبٌ، إِخْوانُهُ الْمَساكينُ، وَأَنْصارُهُ قَوْمٌ آخَرونَ. وَسَيَكونُ في زَمانِهِ أَزْلٌ وَزَلازِلٌ وَقَتْلٌ، اسْمُهُ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدُ الْأَمينِ مِنَ الْباقينَ الْأَوَّلينَ، يُؤْمِنُ بِالْكُتُبِ كُلِّها، وَيُصَدِّقُ جَميعَ الْمُرْسَلينَ، أُمَّتُهُ مَرْحومَةٌ مُبارَكَةٌ، لَهُمْ ساعاتٌ مُوَقَّتاتٌ يُؤَذّونَ فيها بِالصَّلواتِ، فَبِهِ صَدِّقْ، فَإِنَّهُ أَخوكَ.

يا موسى، إِنَّهُ أَميني، وَهُوَ عَبْدُ صِدْقٍ، مُبارَكٌ لَهُ فيما وَضَعَ يَدَهُ، نُبارِكُ عَلَيْهِ، كَذلِكَ كانَ في عِلْمي وَكَذلِكَ خَلَقْتُهُ، بِهِ أَفْتَحُ السّاعَةَ، وَبِأُمَّتِهِ أَخْتِمُ مَفاتيحَ الدُّنْيا، فَمُرْ ظَلَمَةَ بَني إِسْرائِيلَ أَنْ لا يَدْرُسوا اسْمَهُ، وَلا يَخْذُلوهُ، وَإِنَّهُمْ لَفاعِلونَ، وَحُبُّهُ لي حَسَنَةٌ، وَأَنا مَعَهُ، وَأَنا مِنْ حِزْبِهِ، وَهُوَ مِنْ حِزْبي، وَحِزْبي هُمُ الْغالِبونَ.

يا موسى، أَنْتَ عَبْدي وَأَنا إِلهُكَ، لا تَسْتَذِلَّ الْحَقيرَ الْفَقيرَ، وَلا تَغْبِطِ الْغَنِيَّ، وَكُنْ عِنْدَ ذِكْري خاشِعاً، وَعِنْدَ تِلاوَتِهِ بِرَحْمَتي طامِعاً، فَأَسْمِعْني لَذاذَةَ التَّوْراةِ بِصَوْتٍ خاشِعٍ حَزينٍ، اطْمَئِنَّ عِنْدَ ذِكْري، وَاعْبُدْني وَلا تُشْرِكْ بي، إِنّي أَنا السَّيِّدُ الْكَبيرُ، إِنّي خَلَقْتُكَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ ماءٍ مَهينٍ مِنْ طينَةٍ أَخْرَجْتُها مِنْ أَرْضٍ ذَليلَةٍ مَمْشوجَةٍ فَكانَتْ بَشَراً، فَأَنا صانِعُها خَلْقاً، فَتَبارَكَ وَجْهي، وَتَقَدَّسَ صُنْعي، لَيْسَ كَمِثْلي شَيْءٌ، وَأَنا الْحَيُّ الدّائِمُ لا أَزولُ.

يا موسى، كُنْ إِذا دَعَوْتَني خائِفاً مُشْفِقاً وَجِلاً، وَناجِني حينَ تُناجيني

بِخَشْيَةٍ مِنْ قَلْبٍ وَجِلٍ، وَأَحْيِ بِتَوْراتي أَيّامَ الْحَياةِ، وَعَلِّمِ الْجاهِلينَ مَحامِدي، وَذَكِّرْهُمْ آلائي وَنِعَمي، وَقُلْ لَهُمْ: لَا يَتَمادَوْنَ في غَيٍّ ما هُمْ فيهِ، فَإِنَّ أَخْذي لَهُمْ شَديدٌ.

يا موسى، إِنِ انْقَطَعَ حَبْلُكَ مِنّي لَمْ يَتَّصِلْ بِحَبْلِ غَيْري، فَاعْبُدْني، وَقُمْ بَيْنَ يَدَيَّ مَقامَ الْعَبْدِ الْحَقيرِ. ذُمَّ نَفْسَكَ وَهِيَ أَوْلىٰ بِالذَّمِّ، وَلَا تَتَطاوَلْ عَلىٰ بَني إِسْرائِيلَ بِكِتابي، فَكَفىٰ بِهٰذا واعِظاً لِقَلْبِك مُنيراً، وَهُوَ كَلامُ رَبِّ الْعالَمينَ جَلَّ وَتَعالىٰ.

يا موسى، مَتىٰ ما دَعَوْتَني وَجَدْتَني، فَإِنّي سَأَغْفِرُ لَكَ عَلىٰ ما كانَ مِنْكَ، السَّماءُ تُسَبِّحُ لي وَجَلاً، وَالْمَلائِكَةُ مِنْ مَخافَتي مُشْفِقونَ، وَالْأَرْضُ تُسَبِّحُ لي طَمَعاً، وَكُلُّ الْخَلْقِ يُسَبِّحونَ لي داخِرينَ، ثُمَّ عَلَيْكَ بِالصَّلاةِ، فَإِنَّها مِنّي بِمَكانٍ، وَلَها عِنْدي عَهْدٌ وَثيقٌ، وَأَلْحِقْ بِها ما هُوَ مِنْها، ذَكاةَ الْقُرْبانِ مِنْ طَيِّبِ الْمالِ وَالطَّعامِ، فَإِنّي لَا أَقْبَلُ إِلّا الطَّيِّبَ يُرادُ بِهِ وَجْهي، أَقْرِنْ مَعَ ذٰلِكَ صِلَةَ الْأَرْحامِ، فَإِنّي أَنا اللهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحيمُ، وَالرَّحِمُ أَنا خَلَقْتُها فَضْلاً مِنْ رَحْمَتي لِيَتَعاطَفَ بِها الْعِبادُ، وَلَها عِنْدي سُلْطانٌ في مَعادِ الْآخِرَةِ، وَأَنا قاطِعٌ مَنْ قَطَعَها، وَواصِلٌ مَنْ وَصَلَها، وَكَذٰلِكَ أَفْعَلُ بِمَنْ ضَيَّعَ أَمْري.

يا موسى، أَكْرِمِ السّائِلَ إِذا أَتاكَ بِرَدٍّ جَميلٍ، أَوْ إِعْطاءٍ يَسيرٍ، فَإِنَّهُ يَأْتيكَ مَنْ لَيْسَ بِإِنْسٍ وَلَا جانٍّ، مَلائِكَةُ الرَّحْمٰنِ، يَبْلونَكَ كَيْفَ أَنْتَ صانِعٌ فيما أَوْلَيْتُكَ، وَكَيْفَ مُواساتُكَ فيما خَوَّلْتُكَ، وَاخْشَعْ لي بِالتَّضَرُّعِ، وَاهْتِفْ بِوَلْوَلَةِ الْكِتابِ، وَاعْلَمْ أَنّي أَدْعوكَ دُعاءَ السَّيِّدِ مَمْلوكَهُ لِتَبْلُغَ بِهِ شَرَفَ الْمَنازِلِ،

وَذلِكَ مِنْ فَضْلِي عَلَيْكَ وَعَلىٰ آبائِكَ الْأَوَّلينَ.

يا موسى، لَا تَنْسَني عَلىٰ كُلِّ حالٍ، وَلَا تَفْرَحْ بِكَثْرَةِ الْمالِ، فَإِنَّ نِسْيانِي يُقْسِي الْقُلوبَ، وَمَعَ كَثْرَةِ الْمالِ كَثْرَةُ الذُّنوبِ، الْأَرْضُ مُطيعَةٌ، وَالسَّماءُ مُطيعَةٌ، وَالْبِحارُ مُطيعَةٌ، فَمَنْ عَصاني شَقِيَ، فَأَنا الرَّحْمٰنُ الرَّحيمُ، رَحْمٰنُ كُلِّ زَمانٍ، آتي بِالشِّدَّةِ بَعْدَ الرَّخاءِ، وَبِالرَّخاءِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَبِالْمُلوكِ بَعْدَ الْمُلوكِ، وَمُلْكي دائِمٌ قائِمٌ لَا يَزولُ، وَلَا يَخْفىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ في الْأَرْضِ وَلَا في السَّماءِ، وَكَيْفَ يَخْفىٰ عَلَيَّ ما مِنّي مُبْتَدَؤُهُ؟ وَكَيْفَ لَا يَكونُ هَمُّكَ فِي ما عِنْدي وَإِلَيَّ تَرْجِعُ لَا مَحالَةَ.

يا موسى، اجْعَلْني حِرْزَكَ، وَضَعْ عِنْدي كَنْزَكَ مِنَ الصّالِحاتِ، وَخَفْني وَلَا تَخَفْ غَيْري، إِلَيَّ الْمَصيرُ.

يا موسى، عَجِّلِ التَّوْبَةَ، وَأَخِّرِ الذَّنْبَ، وَتَأَنَّ في الْمَكْثِ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الصَّلاةِ، وَلَا تَرْجُ غَيْري، اتَّخِذْني جُنَّةً لِلشَّدائِدِ، وَحِصْناً لِمُلِمّاتِ الْأُمورِ.

يا موسى، نافِسْ في الْخَيْرِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ الْخَيْرَ كَاسْمِهِ، وَدَعِ الشَّرَّ لِكُلِّ مَفْتونٍ.

يا موسى، اجْعَلْ لِسانَكَ مِنْ وَراءِ قَلْبِكَ تَسْلَمْ، وَأَكْثِرْ ذِكْري بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ تَغْنَمْ، وَلَا تَتَّبِعِ الْخَطايا فَتَنْدَمَ، فَإِنَّ الْخَطايا مَوْعِدُها النّارُ.

ياموسى، أَطِبِ الْكَلامَ لِأَهْلِ التَّرْكِ لِلذُّنوبِ، وَكُنْ لَهُمْ جَليساً، وَاتَّخِذْهُمْ لِغَيْبِكَ إِخْواناً، وَجِدَّ مَعَهُمْ يَجِدُّونَ مَعَكَ.

يا موسى، ما أُريدَ بِهِ وَجْهي فَكَثيرٌ قَليلُهُ، وَما أُريدَ بِهِ غَيْري فَقَليلٌ كَثيرُهُ،

وَإِنَّ أَصْلَحَ أَيّامِكَ الَّذي أَمامَكَ، فَانْظُرْ أَيُّ يَوْمٍ هُوَ فَأَعِدَّ لَهُ الْجوابَ، فَـإِنَّكَ مَوْقوفٌ وَمَسْؤُولٌ، وَخُذْ مَوْعِظَتَكَ مِنَ الدَّهْرِ وَأَهْلِهِ، فَإِنَّ الدَّهْرَ طَويلُهُ قَصيرٌ، وَقَصيرُهُ طَويلٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فانٍ، فَاعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرىٰ ثَوابَ عَمَلِكَ لِكَيْ يَكونَ أَطْمَعَ لَكَ في الْآخِرَةِ لا مَحالَةَ، فَإِنَّ ما بَقِيَ مِنَ الدُّنْيا كَما وَلّىٰ مِنْها، وَكُـلُّ عامِلٍ يَعْمَلُ عَلىٰ بَصيرَةٍ وَمِثالٍ، فَكُنْ مُرْتاداً لِنَفْسِكَ يابْنَ عِمْرانَ، لَعَلَّكَ تَفوزُ غَداً يَوْمَ السُّؤالِ، وَهُنالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلونَ.

يا موسى، طِبْ نَفْساً عَنِ الدُّنْيا، وَانْطَوِ عَنْها، فَإِنَّها لَيْسَتْ لَكَ وَلَسْتَ لَها، ما لَكَ وَلِدارِ الظّالِمينَ إِلَّا لِعامِلٍ فيها بِالْخَيْرِ، فَإِنَّها لَهُ نِعْمَ الدّارُ.

يا موسى، الدُّنْيا وَأَهْلُها فِتَنٌ بَعْضُها لِبَعْضٍ، فَكُلٌّ مُزَيَّنٌ لَهُ ما هُوَ فيهِ، وَالْمُؤْمِنُ زُيِّنَتْ لَهُ الْآخِرَةُ فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْها ما يَفْتُرُ، قَدْ حالَتْ شَهْوَتُها بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الْعَيْشِ، فَأَدْلَجَتْهُ بِالْأَسْحارِ كَفِعْلِ الرّاكِبِ السّابِقِ إِلىٰ غـايَتِهِ يَظِلُّ كَـئيباً وَيُمْسي حَزيناً، فَطوبىٰ لَهُ، أَما لَوْ قَدْ كُشِفَ الْغِطاءُ ماذا يُعايِنُ مِنَ السُّرورِ.

يا موسى، إِذا رَأَيْتَ الْغِنىٰ مُقْبِلاً فَقُلْ: ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُـقوبَتُهُ، وَإِذا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلاً فَقُلْ: مَرْحَباً بِشِعارِ الصّالِحينَ، وَلا تَكُنْ جَبّاراً ظَلوماً، وَلا تَكُـنْ لِلظّالِمينَ قَريناً.

يا موسى، ما عُمْرٌ وَإِنْ طالَ يُذَمُّ آخِرُهُ، وَما ضَرُّكَ ما زُوِيَ عَنْكَ إِذا حُمِدَتْ مَغَبَّتُهُ.

يا موسى، صَرَّحَ الْكِتابُ إِلَيْكَ صَراحاً بِما أَنْتَ إِلَيْهِ صائِرٌ، فَكَيْفَ تَـرْقُدُ

عَلىٰ هـٰذَا الْعُيونُ ؟ أَمْ كَيْفَ يَجِدُ قَوْمٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ لَوْلَا التَّمادي فـي الْـغَفْلَةِ، وَالتَّتابُعَ في الشَّهواتِ، وَمِنْ دونِ هـٰذا جَزِعَ الصِّدّيقونَ ؟

يا موسى، مُرْ عِبادي يَدْعوني عَلىٰ ما كانُوا بَعْدَ أَنْ يُقِرُّوا لي أَنّي أَرْحَـمُ الرّاحمينَ، أُجيبُ الْـمُضْطَرّينَ، وَأَكْشِـفُ السُّـوءَ، وَأُبَـدِّلُ الزَّمـانَ، وَآتـي بِالرَّخاءِ، وَأَشْكُرُ الْيَسيرَ، وَأُثيبُ الْكَثيرِ، وَأُغْنِيَ الْفَقيرَ، وَأَنـا الدّائِـمُ الْـعَزيزُ الْقَديرُ، فَمَنْ لَجَأَ إِلَيْكَ وَانْضوىٰ إِلَيْكَ مِـنَ الْـخاطِئينَ، فَـقُلْ: أَهْـلاً وَسَـهْلاً بِأَرْحَبِ الْفَناءِ نَزَلْتَ بِفِناءِ رَبِّ الْعالَمينَ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَكُنْ لَهُمْ كَأَحَدِهِمْ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِمْ بِما أَنا أَعْطَيْتُكَ فَضْلَهُ، وَقُلْ لَهُمْ فَلْيَسْأَلُـوني مِـنْ فَـضْلي وَرَحْـمَتي، فَـإِنَّهُ لَا يَـمْلِكُها أَحَـدٌ غَـيْري وَأَنـا ذُو الْـفَضْلِ الْـعَظيمِ، كَـهْفُ الْخاطِئِينَ، وَجَليسُ الْمُضْطَرّينَ، وَمُسْـتَغْفِرٌ لِـلْمُذْنِبينَ، إِنَّكَ مِـنّي بِـالْمَكانِ الرَّضِيِّ، فَادْعُني بِالْقَلْبِ النَّقِيِّ، وَاللِّسانِ الصّادِقِ، وَكُنْ كَما أَمَـرْتُكَ، أَطِـعْ أَمْري، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلىٰ عِبادي بِما لَيْسَ مِنْكَ مُبْتَدَؤُهُ، وَتَقَرَّبْ إِلَيَّ فَإِنّي مِنْكَ قَريبٌ، فَإِنّي لَمْ أَسْأَلْكَ ما يُؤْذيكَ ثِقْلُهُ وَلَا حَمْلُهُ، إِنَّما سَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعوني فَأُجيبَكَ، وَأَنْ تَسْأَلَني فَأُعْطِيَكَ، وَأَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيَّ بِما مِـنّي أَخَـذْتَ تَـأْويلَهُ، وَعَلَيَّ تَمامُ تَنْزيلِهِ.

يا موسى، انْظُرْ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّها عَنْ قَريبٍ قَبْرُكَ، وَارْفَـعْ عَـيْنَيْكَ إِلَـى السَّماءِ فَإِنَّ فَوْقَكَ فيها مُلْكاً عَظيماً، وَابْكِ عَلىٰ نَفْسِكَ ما كُنْتَ في الدُّنْـيا، وَتَخَوَّفِ الْعَطَبَ وَالْمَهالِكَ، وَلَا تَغُرَّنَّكَ زِيـنَةُ الدُّنْـيا وَزَهْـرَتُها، وَلَا تَـرْضَ بِالظُّلْمِ، وَلَا تَكُنْ ظالِماً، فَإِنّي لِلظّالِمِ بِمَرْصَدٍ حَتّىٰ أُديلَ مِنْهُ الْمَظْلومَ.

يا موسى ، إِنَّ الْحَسَنَةَ عَشْرَةُ أَضْعافٍ ، وَمِنَ السَّيِّئَةِ الْواحِدَةِ الْهَلاكُ ، وَلَا تُشْرِكْ بي ، لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُشْرِكَ بي ، قارِبْ وَسَدِّدْ ، أُدْعُ دُعاءَ الرّاغِبِ فيما عِنْدي ، النّادِمِ عَلىٰ ما قَدَّمَتْ يَداهُ ، فَإِنَّ سَوادَ اللَّيْلِ يَمْحوهُ النَّهارُ ، كَذلِكَ السَّيِّئَةُ تَمْحوها الْحَسَنَةُ ، وَعَشْوَةُ اللَّيْلِ تَأْتي عَلىٰ ضَوْءِ النّهارِ ، فَكَذلِكَ السَّيِّئَةُ تَأْتي عَلَى الْحَسَنَةِ فَتُسَوِّدُها»[١].

(١) تحف العقول : ٤٩٠ ـ ٤٩٦.

إلى النبيّ عيسى بن مريم (على نبيّنا وآله وعليه السلام)

**يا عيسى، أَنا رَبُّكَ وَرَبُّ آبائِكَ، اسْمي واحِدٌ وَأَنا الْأَحَدُ الْمُتَفَرِّدُ بِخَلْقِ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ صُنْعي، وَكُلٌّ إِلَيَّ راجِعونَ.**

**يا عيسى، أَنْتَ الْمَسيحُ بِأَمْري، وَأَنْتَ تَخْلُقُ مِنَ الطّينِ بِإِذْني، وَأَنْتَ تُحْيي الْمَوْتىٰ بِكَلامي، فَكُنْ إِلَيَّ راغِباً، وَمِنّي راهِباً، وَلَنْ تَجِدَ مِنّي مَلْجَأً إِلّا إِلَيَّ.**

**يا عيسى، أُوصيكَ وَصِيَّةَ الْمُتَحَنِّنِ عَلَيْكَ بِالرَّحْمَةِ حَتّىٰ حَقَّتْ لَكَ مِنّي الْوَلايَةُ بِتَحَرّيكَ مِنّي الْمَسَرَّةَ، فَبورِكْتَ كَبيراً، وَبورِكْتَ صَغيراً حَيْثُ ما كُنْتَ. أَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدي مِنْ أَمَتي. تَقَرَّبْ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ، وَتَوَكَّلْ عَلَيَّ أَكْفِكَ، وَلا تَوَلَّ غَيْري فَأَخْذُلَكَ.**

**يا عيسى، اصْبِرْ عَلَى الْبَلاءِ، وَارْضَ بِالْقَضاءِ، وَكُنْ كَمَسَرَّتي فيكَ، فَإِنَّ مَسَرَّتي أَنْ أُطاعَ فَلا أُعْصىٰ.**

**يا عيسى، أَحْيِ ذِكْري بِلِسانِكَ، وَلْيَكُنْ وُدّي في قَلْبِكَ.**

**يا عيسى، تَيَقَّظْ في ساعاتِ الْغَفْلَةِ، وَأَحْكِمْ لي لَطيفَ الْحِكْمَةِ.**

**يا عيسى، كُنْ راغِباً راهِباً، وَأَمِتْ قَلْبَكَ بِالْخَشْيَةِ.**

**يا عيسى، راعِ اللَّيْلَ لِتَحَرّي مَسَرَّتي، وَاظْمَأْ نَهارَكَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ.**

يا عيسى، إِنَّكَ مَسْؤُولٌ فَارْحَمِ الضَّعيفَ كَرَحْمَتي إِيّاكَ، وَلا تَقْهَرِ الْيَتيمَ.

يا عيسى، ابْكِ عَلىٰ نَفْسِكَ في الْخَلَواتِ، وَانْقُلْ قَدَمَيْكَ إِلىٰ مَواقيتِ الصَّلَواتِ، وَأَسْمِعْني لَذاذَةَ نُطْقِكَ بِذِكْري، فَإِنَّ صَنيعي إِلَيْكَ حَسَنٌ.

يا عيسى، كَمْ مِنْ أُمَّةٍ قَدْ أَهْلَكْتُها بِسالِفِ ذُنوبٍ قَدْ عَصَمْتُكَ مِنْها.

يا عيسى، ارْفِقْ بِالضَّعيفِ، وَارْفَعْ طَرْفَكَ الْكَليلَ إِلَى السَّماءِ، وَادْعُني فَإِنّي مِنْكَ قَريبٌ، وَلا تَذْكُرْني إِلّا مُتَضَرِّعاً إِلَيَّ وَهَمُّكَ واحِدٌ، فَإِنَّكَ مَتىٰ دَعَوْتَني كَذٰلِكَ أُجِبْكَ.

يا عيسى، لا يَغُرَّكَ الْمُتَمَرِّدُ عَلَيَّ بِالْعِصيانِ، يَأْكُلُ رِزْقي، وَيَعْبُدُ غَيْري، ثُمَّ يَدْعوني عِنْدَ الْكَرْبِ فَأُجيبُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ ما كانَ عَلَيْهِ، فَعَلَيَّ يَتَمَرَّدُ، أَمْ بِسَخَطي يَتَعَرَّضُ، وَبي حَلَفْتُ لَآخُذَنَّهُ أَخْذَةً لَيْسَ لَهُ مِنْها مَنْجاً، وَلا دوني مَلْجَأً. أَيْنَ يَهْرُبُ مِنْ سَمائي وَأَرْضي؟

يا عيسى، قُلْ لِظَلَمَةِ بَني إِسْرائيلَ: لا تَدْعوني وَالسُّحْتُ تَحْتَ أَحْضانِكُمْ، وَالْأَصْنامُ في بُيوتِكُمْ، فَإِنّي آلَيْتُ أَنْ أُجيبَ مَنْ دَعاني، وَأَنْ أَجْعَلَ إِجابَتي إِيّاهُمْ لَعْناً عَلَيْهِمْ حَتّىٰ يَتَفَرَّقوا.

يا عيسى، ما خَيْرُ لَذاذَةٍ لا تَدومُ؟ وَعَيْشٍ عَنْ صاحِبِهِ يَزولُ؟

يابْنَ مَرْيَمَ، لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ ما أَعْدَدْتُ لِأَوْلِيائِيَ الصّالِحينَ ذابَ قَلْبُكَ، وَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهِ، فَلَيْسَ كَدارِ الْآخِرَةِ دارٌ تَجاوَرَ فيها الطَّيِّبونَ، وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فيها الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبونَ وَهُمْ مِمّا يَأْتي يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ أَهْوالِها

آمِنونَ، دارٌ لَا يَتَغَيَّرُ فيها النَّعيمُ، وَلَا يَزولُ عَنْ أَهْلِها.

يابْنَ مَرْيَمَ، نافِسْ فيها مَعَ الْمُتَنافِسينَ، فَإِنَّها أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَكِّنينَ. حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ، طُوبىٰ لَكَ - يابْنَ مَرْيَمَ - إِنْ كُنْتَ لَها مِنَ الْعامِلينَ مَعَ آبائِكَ آدَمَ وَإِبْراهيمَ، في جَنّاتٍ وَنَعيمٍ، لَا تَبْغي بِها بَدَلاً وَلَا تَحْويلاً، كَذٰلِكَ أَفْعَلُ بِالْمُتَّقينَ.

يا عيسى، اهْرُبْ إِلَيَّ مَعَ مَنْ يَهْرُبُ مِنْ نارٍ ذاتِ لَهَبٍ، وَنارٍ ذاتِ أَغْلالٍ وَأَنْكالٍ، لَا يَدْخُلُها رَوْحٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْها غَمٌّ أَبَداً، قِطَعٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، مَنْ يَنْجُ مِنْها يَفُزْ، هِيَ دارُ الْجَبّارينَ وَالْعُتاةِ الظّالِمينَ، وَكُلِّ فَظٍّ غَليظٍ.

يا عيسى، بِئْسَتِ الدّارُ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْها، وَبِئْسَ الْقَرارُ دارُ الظّالِمينَ، إِنّي أُحَذِّرُكَ نَفْسَكَ فَكُنْ بي خَبيراً.

يا عيسى، كُنْ حَيْثُ ما كُنْتَ مُراقِباً لي، وَاشْهَدْ عَلَيَّ أَنّي خَلَقْتُكَ وَأَنْتَ عَبْدي، وَأَنّي صَوَّرْتُكَ وَإِلَى الْأَرْضِ أَهْبَطْتُكَ.

يا عيسى، افْطِمْ نَفْسَكَ عَنِ الشَّهَواتِ الْموبِقاتِ، وَكُلُّ شَهْوَةٍ تُباعِدُكَ مِنّي فَاهْجُرْها، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنّي بِمَكانِ الرَّسولِ الْأَمينِ، فَكُنْ مِنّي عَلىٰ حَذَرٍ.

يا عيسى، كُنْتُ خَلَقْتُكَ بِكَلامي، وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ بِأَمْري، الْمُرْسَلُ إِلَيْها روحي جَبْرَئيلُ الْأَمينُ مِنْ مَلائِكَتي، حَتّىٰ قُمْتَ عَلَى الْأَرْضِ حَيّاً تَمْشي، وَكُلُّ ذٰلِكَ في سابِقِ عِلْمي.

يا عيسى، إِنْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ لَمْ يَنْفَعْكَ مَنْ رَضِيَ عَنْكَ، وَإِنْ رَضِيتُ عَنْكَ

لَمْ يَضُرَّكَ غَضَبُ الْمُتَغَضِّبينَ عَلَيْك.

يا عيسى، اذْكُرْني في نَفْسِكَ، وَاذْكُرْني في مَلإِكَ، أَذْكُرْك في مَلإٍ خَيْرٍ مِنَ الْآدَمِيّينَ.

يا عيسى، ادْعُني دُعاءَ الْغَريقِ الَّذي لَيْسَ لَهُ مُغيثٌ.

يا عيسى، لَا تَحْلِفْ بي كاذِباً فَيَهْتَزَّ عَرْشي غَضَباً. الدُّنْيا قَصيرَةُ الْعُمْرِ، طَويلَةُ الْأَمَلِ، وَعِنْدي دارٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعونَ.

يا عيسى، كَيْفَ أَنْتُمْ صانِعونَ إذا أَخْرَجْتُ لَكُمْ كِتاباً يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَشْهَدونَ بِسرائِرَ قَدْ كَتَمْتُموها، وَأَعْمالٍ كُنْتُمْ بِها عامِلينَ.

يا عيسى، قُلْ لِظَلَمَةِ بَني إِسْرائِيلَ: غَسَلْتُمْ وُجوهَكُمْ، وَدَنَّسْتُمْ قُلوبَكُمْ، أَبي تَغْتَرُّونَ؟ أَمْ عَلَيَّ تَجْتَرِئونَ، تُطَيِّبونَ بِالطِّيبِ لِأَهْلِ الدُّنْيا وَأَجْوافُكُمْ عِنْدي بِمَنْزِلَةِ الْجِيَفِ الْمُنْتِنَةِ كَأَنَّكُمْ أَقْوامٌ مَيِّتونَ.

يا عيسى، قُلْ لَهُمْ: قَلِّموا أَظْفارَكُمْ مِنْ كَسْبِ الْحَرامِ، وَأَصِمُّوا أَسْماعَكُمْ مِنْ ذِكْرِ الْخَناءِ، وَأَقْبِلوا عَلَيَّ بِقُلوبِكُمْ، فَإِنّي لَسْتُ أُريدُ صُوَرَكُمْ.

يا عيسى، افْرَحْ بِالْحَسَنَةِ فَإِنَّها لي رِضاً، وَابْكِ عَلَى السَّيِّئَةِ فَإِنَّها شَيْنٌ، وَما لَا تُحِبُّ أَنْ يُصْنَعَ بِكَ فَلَا تَصْنَعْهُ بِغَيْرِكَ، وَإِنْ لَطَمَ أَحَدٌ خَدَّكَ الْأَيْمَنَ فَأَعْطِهِ الْأَيْسَرَ، وَتَقَرَّبْ إِلَيَّ بِالْمَوَدَّةِ جُهْدَكَ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلينَ.

يا عيسى، دُلَّ لِأَهْلِ الْحَسَنَةِ، وَشارِكْهُمْ فيها، وَكُنْ عَلَيْهِمْ شَهيداً، وَقُلْ لِظَلَمَةِ بَني إِسْرائِيلَ: يا أَخْدانَ السُّوءِ، إِنْ لَمْ تَنْتَهوا أَمْسَخْكُمْ قِرَدَةً وَخَنازِيرَ.

يا عيسى، قُلْ لِظَلَمَةِ بَني إِسْرائِيلَ: الْحِكْمَةُ تَبْكي فَرَقاً مِنّي، وَأَنْتُمْ بِالضِّحْكِ تَهْجُرونَ، أَتَتْكُمْ بَراءَتي؟ أَمْ لَدَيْكُمْ أَمانٌ مِنْ عَذابي؟ أَمْ تَعَرَّضونَ لِعُقوبَتي؟ فَبي حَلَفْتُ لأَتْرُكَنَّكُمْ مَثَلاً لِلْغابِرينَ.

ثُمَّ أُوصيكَ ـ يابْنَ مَرْيَمَ الْبِكْرَ الْبَتولِ ـ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلينَ، وَحَبيبي أَحْمَدَ صاحِبِ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ، وَالْوَجْهِ الأَزْهَرِ، الْمُشْرِقِ بِالنُّورِ، الطّاهِرِ الْقَلْبِ، الشَّديدِ الْبَأْسِ، الْحَيِيِّ الْمُتَكَرِّمِ، فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعالَمينَ، وَسَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ يَلْقاني، أَكْرَمُ السّابِقينَ عَلَيَّ، وَأَقْرَبُ الْمُسْلِمينَ مِنّي، الْعَرَبِيُّ الأُمِّيُّ، الدّيّانُ بِديني، الصّابِرُ في ذاتي، الْمُجاهِدُ الْمُشْرِكينَ بِذَبِّهِ عَنْ ديني، وَأَنْ تُخْبِرَ بِهِ بَني إِسْرائِيلَ، وَتَأْمُرَهُمْ أَنْ يُصَدِّقوهُ، وَأَنْ يُؤْمِنوا بِهِ، وَأَنْ يَتَّبِعوهُ وَيَنْصُروهُ.

قالَ: إِلٰهي، مَنْ هُوَ حَتّىٰ أُرْضِيَهُ ذٰلِكَ الرِّضا؟

قالَ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ إِلَى النّاسِ كافَّةً، أَقْرَبُهُمْ مِنّي مَنْزِلَةً، وَأَحْضَرُهُمْ شَفاعَةً. طُوبىٰ لَهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَطُوبىٰ لأُمَّتِهِ، إِنَّهُمْ لَقُوني عَلىٰ سَبيلِهِ، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الأَرْضِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ أَهْلُ السَّماءِ، أَمينٌ مَيْمونٌ، طَيِّبٌ، خَيْرُ الْباقينَ عِنْدي، يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ، إِذا خَرَجَ أَرْخَتِ السَّماءُ عَزالِيَها، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ زَهْرَتَها، حَتّىٰ يَرَوُا الْبَرَكَةَ، وَأُبارِكُ لَهُمْ فيما وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، كَثيرُ الأَزْواجِ، قَليلُ الأَوْلادِ.

يا عيسى، كُلُّ ما يُقَرِّبُكَ مِنّي قَدْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ، وَكُلُّ ما يُباعِدُكَ مِنّي قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْهُ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ.

يا عيسى ، الدُّنيا حُلْوَةٌ ، وَإِنَّما اسْتَعْمَلْتُكَ فيها ، فَجانِبْ فيها ما حَذَّرْتُكَ ، وَخُذْ مِنْها ما أَعْطَيْتُكَ عَفْواً.

يا عيسى ، انْظُرْ في عَمَلِكَ نَظَرَ الْعَبْدِ الْمُذْنِبِ الْخاطِئِ ، وَلَا تَنْظُرْ في عَمَلِ غَيْرِكَ ، كُنْ فيها زاهِداً ، وَلَا تَرْهَبْ فيها فَتَعْطَبَ.

يا عيسى ، اعْقِلْ ، وَتَفَكَّرْ ، وَانْظُرْ في نَواحِي الْأَرْضِ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمينَ.

يا عيسى ، كُلُّ وَصْفي لَكَ نَصيحَةٌ ، وَكُلُّ قَوْلي لَكَ حَقٌّ ، وَأَنا الْحَقُّ الْمُبينُ ، فَحَقّاً أَقولُ : لَئِنْ أَنْتَ عَصَيْتَني بَعْدَ أَنْ أَنْبَأْتُكَ ما لَكَ مِنْ دوني وَلِيٌّ وَلَا نَصيرٌ.

يا عيسى ، أَدِّبْ قَلْبَكَ بِالْخَشْيَةِ ، وَانْظُرْ إِلىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكَ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلىٰ مَنْ فَوْقَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ رَأْسَ كُلِّ خَطيئَةٍ وَذَنْبٍ هُوَ حُبُّ الدُّنْيا ، فَلَا تُحِبَّها ، فَإِنّي لَا أُحِبُّها.

يا عيسى ، أَطِبْ لِي قَلْبَكَ ، وَأَكْثِرْ ذِكْري في الْخَلَواتِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ سُروري أَنْ تُبَصْبِصَ إِلَيَّ ، كُنْ في ذٰلِكَ حَيّاً وَلَا تَكُنْ مَيِّتاً.

يا عيسى ، لَا تُشْرِكْ بي شَيْئاً ، وَكُنْ مِنّي عَلىٰ حَذَرٍ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالصِّحَّةِ ، وَلَا تَغْبِطْ نَفْسَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيا كَفَيْءٍ زائِلٍ ، وَما أَقْبَلَ مِنْها كَما أَدْبَرَ ، فَنافِسْ في الصّالِحاتِ جُهْدَكَ ، وَكُنْ مَعَ الْحَقِّ وَإِنْ قُطِّعْتَ وَأُحْرِقْتَ بِالنّارِ ، فَلَا تَكْفُرْ بي بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْجاهِلينَ ، فَإِنَّ الشَّيْءَ يَكونُ مَعَ الشَّيْءِ.

**يا عيسى، صُبَّ لِيَ الدُّموعَ مِنْ عَيْنَيْكَ، وَاخْشَعْ بِقَلْبِكَ.**

**يا عيسى، اسْتَغِثْ بي في حالاتِ الشِّدَّةِ، فَإِنّي أُغيثُ الْمَكْروبينَ، وَأُجيبُ الْمُضْطَرّينَ، وَأَنا أَرْحَمُ الرّاحِمينِ»**[١].

(١) تحف العقول: ٤٩٦ ـ ٥٠١.

# في المحور الثاني : وصايا الرسول الأعظم ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه

قال أبو ذرّ : « دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده ، فلم أرَ في المسجد أحداً من الناس إلّا رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام إلى جانبه جالس ، فاغتنمتُ خلوة المسجد ، فقلتُ : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمّي ، أوصني بوصيّة ينفعني الله بها .

فقال : نعم ، وأكرم بك ، يا أبا ذرّ ، إنّك منّا أهل البيت ، وإنّي موصيك بوصيّةٍ إذا حفظتها فإنّها جامعة لطرق الخير وسبله ، فإنّك إن حفظتها كان لك بها كِفلان .

**يا أَبا ذَرّ ، اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ عِبادَتِهِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ بِأَنَّهُ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْفَرْدُ فَلَا ثانِيَ مَعَهُ ، وَالْباقِي لَا إِلىٰ غايَةٍ ، فاطِرُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ، وَما فِيهِما وَما بَيْنَهُما مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ اللهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ثُمَّ الْإِيمانُ بِي ، وَالْإِقْرارُ بِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ أَرْسَلَنِي إِلىٰ كافَّةِ النّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ ، وَسِراجاً مُنِيراً ، ثُمَّ حُبُّ أَهْلِ بَيْتِي الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً .**

**وَاعْلَمْ يا أَبا ذَرّ ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ أَهْلَ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَها نَجا ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْها غَرَقَ ، وَمِثْلَ بابِ حِطَّةَ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مَنْ دَخَلَها كانَ آمِناً .**

يا أَبا ذَرّ، احْفَظْ ما أُوْصَيْتُكَ بِهِ تَكُنْ سَعِيداً في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ.

يا أَبا ذَرّ، نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَراغُ.

يا أَبا ذَرّ، اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقْمِكَ، وَغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.

يا أَبا ذَرّ، إِيّاكَ وَالتَّسْويفَ بِأَمَلِكَ، فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ، وَلَسْتَ بِما بَعْدَهُ، فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ تَكُنْ في الْغَدِ كَما كُنْتَ في الْيَوْمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ لَمْ تَنْدَمَ عَلىٰ ما فَرَّطْتَ في الْيَوْمِ.

يا أَبا ذَرّ، كَمْ مِنْ مُسْتَقبِلٍ يَوْماً لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَمُنْتَظِرٍ غَداً لَا يَبْلُغُهُ.

يا أَبا ذَرّ، لَوْ نَظَرْتَ إِلَى الْأَجَلِ وَمَسِيرِهِ لَأَبْغَضْتَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

يا أَبا ذَرّ، كُنْ في الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيباً، وَكَعابِرِ سَبِيلٍ، وَعِدَّ نَفْسَكَ في أَهْلِ الْقُبُورِ.

يا أَبا ذَرّ، إِذا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَساءِ، وَإِذا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّباحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَمِنْ حَياتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْري ما اسْمُكَ غَداً.

يا أَبا ذَرّ، إِيّاكَ أَنْ تَدْرِكَكَ الصَّرْعَةُ عِنْدَ الْغرَّةِ، فَلَا تُمَكَّنْ مِنَ الرَّجْعَةِ، وَلَا يَحْمِدُكَ مَنْ خَلَّفْتَ بِما تَرَكْتَ، وَلَا يَعْذِرُكَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ بِما بِهِ اشْتَغَلْتَ.

يا أَبا ذَرّ، ما رَأَيْتَ كَالنّارِ نامَ هارِبُها، وَلَا مثلَ الْجَنَّةِ نامَ طالِبُها.

يا أَبا ذَرّ، كُنْ عَلىٰ عُمُرِكَ أَشَحَّ مِنْكَ عَلىٰ دِرْهَمِكَ وَدِينارِكَ.

يا أَبا ذَرّ ، هَلْ يَنْتَظِرُ أَحَدٌ إِلَّا غِنىً مُطْغِياً ، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً ، أَوْ مَرَضاً مُضْنِياً ، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً ، أَوْ مَوْتاً مُحَيِّراً ، أَوِ الدَّجّالَ ، فَإِنَّهُ شَرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السّاعَةَ وَالسّاعَةُ أَدْهىٰ وَأَمَرُّ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ شَرَّ النّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ عالِمٌ لا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْماً لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النّاسِ إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ .

يا أَبا ذَرّ ، إِذا سُئِلْتَ عَنْ عِلْمٍ لا تَعْلَمُهُ فَقُلْ : لا أَعْلَمُهُ ، تَنْجُ مِنْ تَبِعَتِهِ ، وَلا تُفْتِ بِما لا عِلْمَ لَكَ بِهِ تَنْجُ مِنْ عذابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ .

يا أَبا ذَرّ ، يَطَّلِعُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النّارِ فَيَقُولُونَ : ما أَدْخَلَكُمُ النّارَ ، وَإِنَّما دَخَلْنا الْجَنَّةَ بِفَضْلِ تَأْدِيبِكُمْ وَتَعْلِيمِكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : إِنّا كُنّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلا نَفْعَلُهُ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ حُقُوقَ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِها الْعِبادُ ، وَإِنَّ نِعَمَ اللهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيها الْعِبادُ ، وَلٰكِنْ أَمْسَوا تائِبِينَ وَأَصْبَحُوا تائِبِينَ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّكُمْ في مَمَرِّ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ في آجالٍ مَنْقُوصَةٍ ، وَأَعْمالٍ مَحْفُوظَةٍ ، وَالْمَوْتُ يَأْتي بَغْتَةً ، وَمَنْ يَزْرَعْ خَيْراً يُوشِكُ أَنْ يَحْصِدَ رَغْبَةً ، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرّاً يُوشِكُ أَنْ يَحْصِدَ نَدامَةً ، وَلِكُلِّ زارِعٍ ما زَرَعَ .

يا أَبا ذَرّ ، لا يُسْبَقُ بَطِيءٌ بِحَظِّهِ ، وَلا يُدْرِكُ حَرِيصٌ ما لَمْ يُقَدَّر لَهُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ خَيْراً فَاللهُ أَعْطاهُ ، وَمَنْ وُقِيَ شَرّاً فَإِنَّ اللهَ وَقاهُ .

يا أَبا ذَرّ ، الْمُتَّقُونَ سادَةٌ ، وَالْفُقَهاءُ قادَةٌ ، ومُجالَسَتُهُم زِيادَةٌ .

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَرىٰ ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ صَخْرَةٍ يَخافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْكافِرَ لَيَرى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ ذُبابٌ مَرَّ عَلىٰ أَنْفِهِ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالىٰ إِذا أَرادَ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ الذُّنوبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُمَثَّلَةً.

يا أَبا ذَرّ، لَا تَنْظُرْ إِلىٰ صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلٰكِن انْظُرْ إِلىٰ مَنْ عَصَيْتَ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ أَشَدُّ تَقَلُّباً وَخيفةً مِنَ الْخَطِيئَةِ مِنَ الْعُصْفُورِ حِينَ يُقْذَفُ بِهِ في شَرَكٍ.

يا أَبا ذَرّ، مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذاكَ الَّذي أَصابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذلِكَ الْمَرْءُ إِنَّما يُوَبِّخُ نَفْسَهُ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّكَ إِذا طَلَبْتَ شَيْئاً مِنَ الْآخِرَةِ وَاتَّبَعْتَهُ تَيَسَّرَ لَكَ، وَإِذا رَأَيْتَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا وَاتَّبَعْتَهُ عَسُرَ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ عَلىٰ حالٍ خشيته.

يا أَبا ذَرّ، لَا تَنْطِقْ فِيما لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ في شَيْءٍ، وَاحْرِزْ لِسانَكَ كَما تَحْرِزُ رِزْقَكَ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ الله جَلَّ ثَناؤُهُ لَيُدْخِلَ قَوْماً الْجَنَّةَ فَيُعْطِيهِمْ حَتّى تَنْتَهي أَمانيهم، وَفَوْقَهُمْ قَوْمٌ في الدَّرَجاتِ الْعُلىٰ، فَإِذا نَظَرُوا إِلَيْهِمْ عَرَفُوهُمْ فَيَقُولُونَ: رَبَّنا إِخوانُنا كُنّا مَعَهُمْ في الدُّنْيا فَبِمَ فَضَّلْتَهُمْ عَلَيْنا؟ فَيُقالُ: هَيْهاتَ، إِنَّهُمْ كانُوا يَجُوعُونَ حِينَ تَشْبَعُونَ، وَيَظْمَؤُونَ حِينَ تَرْوُونَ، وَيَقُومُونَ حِينَ تَنامُونَ،

وَيَشْخَصُونَ حِينَ تخْفِضُونَ.

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْني في الصَّلَاةِ ، وَحَبَّبَها إِلَيَّ كَما حَبَّبَ إِلَى الْجائِعِ الطَّعامَ ، وَإِلَى الظَّمْآنِ الْماءَ ، فَإِنَّ الْجائِعَ إِذا أَكَلَ الطَّعامَ شَبِعَ ، وَالظَّمْآنَ إِذا شَرِبَ الْماءَ رَوِيَ ، وَأَنا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ.

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ بَعَثَ عيسَى بْنَ مَريمَ بِالرَّهْبانِيَّةِ ، وَبُعِثْتُ بِالْحَنيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ، وَحبِّبَت إِلَيَّ النِّساءُ وَالطِّيب ، وَجُعِلَتْ في الصَّلاةِ قرَّةُ عَيْني.

يا أَبا ذَرّ ، أَيُّما رَجُلٍ تَطَوَّعَ في يَوْمٍ اثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً سِوى الْمَكْتُوبَةَ كانَ لَهُ حَقّاً واجِباً بَيْتٌ في الْجَنَّةِ...

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّكَ ما دُمْتَ في الصَّلاةِ فَإِنَّكَ تَقْرَعُ بابَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ يُكْثِرْ قَرْعَ بابِ الْمَلِكِ يُفْتَحْ.

يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ مُؤْمِنٍ يَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ إِلَّا تَناثَرَ عَلَيْهِ الْبِرُّ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرْشِ ، وَوُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يُنادي : يابْنَ آدَمَ ، لَوْ تَعْلَمُ ما لَكَ في صَلاتِكَ وَمَنْ تُناجي ما سَئِمْتَ وَلَا الْتَفَتَّ.

يا أَبا ذَرّ ، طُوبىٰ لِأَصْحابِ الْأَلْوِيَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، يَحْمِلُونَها فَيَسْبِقُونَ النّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ ، أَلَا وَهُمُ السّابِقُونَ إِلَى الْمَساجِدِ بِالْأَسْحارِ وَغَيْرِها.

يا أَبا ذَرّ ، لَا تَجْعَلْ بَيْتَكَ قَبْراً ، وَاجْعَلْ فيهِ مِنْ صَلاتِكَ يضيءُ بِها قَبْرَكَ.

يا أَبا ذَرّ ، الصَّلَاةُ عَمودُ الدِّينِ ، وَاللِّسانُ أَكْبَرُ ، وَالصَّدَقَةُ تَمْحُو الْخَطِيئَةَ ، وَاللِّسانُ أَكْبَرُ.

يا أَبا ذَرّ ، الدَّرَجَةُ في الْجَنَّةِ فَوقَ الدَّرَجَةِ كَما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَرْفَعُ بَصَرَهُ فَيَلْمَعُ لَهُ نُورٌ يَكادُ يَخْطَفُ بَصَرَهُ ، فَيَفْرَحُ ، فَيَقُولُ : ما هٰذا ؟ فَيُقالُ : هٰذا نُورُ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ ، فَيَقُولُ : هٰذا أَخي فُلان ، كُنّا نَعْمَلُ جَمِيعاً في الدُّنيا ، وَقَدْ فُضِّلَ عَلَيَّ هٰكَذا ؟ فَيُقالُ : إِنَّهُ كانَ أَفْضَلَ مِنْكَ عَمَلاً ، ثُمَّ يُجْعَلُ في قَلْبِهِ الرِّضا حَتّى يَرْضىٰ .

يا أَبا ذَرّ ، الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكافِرِ ، وَما أَصْبَحَ فِيها مُؤْمِنٌ إِلَّا وَهُوَ حَزِينٌ ، فَكَيْفَ لَا يَحْزَنُ الْمُؤْمِنُ وَقَدْ أَوْعَدَهُ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ ، أَنَّهُ وارِدٌ جَهَنَّمَ وَلَمْ يَعِدْهُ أَنَّهُ صادِرٌ عَنْها .

يا أَبا ذَرّ ، وَمَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَا يَعْمل بِهِ لَحَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُوتِيَ عِلْماً لَا يَنْفَعُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ نَعَتَ الْعُلَماءَ فَقالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾(١).

يا أَبا ذَرّ ، مَنِ اسْتَطاعَ أَنْ يَبْكي قَلْبُهُ فَلْيَبْكِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُشْعِرْ قَلْبَهُ الْحُزْنَ وَلْيَتَباكَ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ الْقَلْبَ القاسي بَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعالىٰ وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ .

يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ خطيبٍ إِلّا عُرِضت عليه خطبتُه يومَ الْقيامَةِ وما أراد بها .

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ١٠٧ ـ ١٠٩ .

**يا أَبا ذَرّ ، إنَّ صَلاةَ النافلةِ في السرِّ تَفْضُلُ على العَلانِيَةِ كَفضْلِ الفَريضَةِ على النافِلَة .**

**يا أَبا ذَرّ ، ما يَتَقَرَّبُ العبدُ إلى اللهِ بشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ السُّجودِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، اُذْكُرِ اللهَ ذِكْراً خامِلاً.**

قلت: يا رسول الله ، وما الذكر الخامل؟

قال: **الذِّكْرُ الخَفِيُّ .**

**يا أَبا ذَرّ ، يَقولُ اللهُ عزّ وَجلَّ: لا أَجْمَعُ على عَبْدِيَ خَوْفَيْنِ ، ولا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ ، فإذا أَمِنَني أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وإذا خَافَنِي أَمِنْتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ...**

**يا أَبا ذَرّ ، إنَّ العَبْدَ لَيُذْنِبُ فَيَدْخُلُ إلى اللهِ بِذَنْبِهِ ذلِكَ الجَنَّةَ.**

فقلت: وكيف ذلك ، يا رسول الله ؟

قال : **يَكونُ ذلِكَ الذَّنْبُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ تائِباً مِنهُ ، فارّاً إلى اللهِ حتّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ.**

**يا أَبا ذَرّ ، إنَّ الكَيِّسَ مَنْ دانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ المَوْتِ ، والعاجِزُ مَنِ اتَّبَعَ نَفْسَهُ وهَواها ، وتَمَنّى على اللهِ عزَّ وَجَلَّ الأَمانِي...**

**يا أَبا ذَرّ ، وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ الدُّنْيا كانَتْ تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقى الْكافِرَ وَالْفاجِرَ مِنْها شَرْبَةً مِنْ ماءٍ.**

**يا أَبا ذَرّ ، إنَّ الدُّنْيا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ ما فيها إلّا ماآبْتِغيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّ وجَلّ .**

**يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ شَيءٍ أَبْغَضُ إلى اللهِ مِنَ الدُّنيا ، خَلَقَها ثُمَّ أَعْرَضَ عنها**

**فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْها حتّى تَقُومَ السّاعَةُ، وما مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إلى اللهِ تعالى مِنَ الإيمانِ بهِ، وَتركِ ما أَمَرَ أنْ يُترَك.**

**يا أَبا ذَرّ، إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَوْحىٰ إِلىٰ أَخي عِيسىٰ عليه السلام: يا عِيسىٰ، لَا تُحِبَّ الدُّنْيا، فَإِنّي لَسْتُ أُحِبُّها، وَأَحِبَّ الآخِرَةَ، فَإِنَّها دارُ المَعادِ.**

**يا أَبا ذَرّ، إنَّ جَبْرائِيلَ أَتاني بِخَزائِنِ الدُّنْيا عَلىٰ بَغْلَةٍ شَهْباء، فَقالَ: يا مُحَمَّد، إِنَّ هٰذِهِ خَزائِنُ الأَرْضِ وَلَا تَنْقُصُكَ مِنْ حَظِّكَ عِنْدَ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: يا حَبِيبي جَبْرائِيلَ، لَا حاجَةَ لِيَ فِيها، إِذا شَبِعْتُ شَكَرْتُ رَبِّي، وَإِذا جِعْتُ سَأَلْتُهُ.**

**يا أَبا ذَرّ، إذا أَرادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ، وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيا، وَبَصَّرَهُ بِعُيوبِ نَفْسِهِ.**

**يا أَبا ذَرّ، ما زَهِدَ عَبْدٌ في الدُّنْيا إِلَّا أَنْبَتَ اللهُ الحِكْمَةَ في قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِها لِسانَهُ، وَبَصَّرَهُ عُيوبَ الدُّنْيا وَداءَها وَدَواءَها، وَأَخْرَجَهُ مِنْها سالِماً إِلىٰ دارِ السَّلَامِ.**

**يا أَبا ذَرّ، إذا رَأَيْتَ أَخاكَ قَدْ زَهِدَ في الدُّنْيا فَاسْتَمِعْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقي إِلَيْكَ الحِكْمَةَ.**

فقلت: يا رسول الله، من أزهد النّاس؟

فَقالَ: **مَنْ لَمْ يَنْسَ المَقابِرَ وَالبِلىٰ، وَتَرَكَ ما يَفْنَىٰ لِما يَبْقىٰ، وَمَنْ لَمْ يَعِدَّ غَداً مِنْ أَيّامِهِ، وَعَدَّ نَفْسَهُ في المَوْتىٰ.**

**يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَمْ يُوحِ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمالَ ، وَلٰكِنْ أَوْحىٰ إِلَيَّ أَنْ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾**(١) .

**يا أَبا ذَرّ ، إِنِّي أَلْبَسُ الْغَلِيظَ ، وَأَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَرْكَبُ الْحِمارَ بِغَيْرِ سَرْجٍ ، وَأُرْدِفُ خَلْفِي ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي .**

**يا أَبا ذَرّ ، حُبُّ الْمالِ وَالشَّرَفِ مُذْهِبٌ لِدِينِ الرَّجُلِ .**

قال : قلت : يا رسول الله ، الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيراً ، يسْتَبِقون النّاس إلى الجنّة ؟

فَقالَ : **لا ، وَلٰكِنْ فُقَراءُ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُم يَأْتونَ يَوْم الْقِيامَةِ يَتَخَطَّونَ رِقابَ النّاسِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ : كَما أَنْتُمْ حَتّىٰ تُحاسَبُوا ، فَيَقُولُونَ : بِمَ نُحاسَبُ ؟ فَوَاللهِ ! ما مَلَكْنا حَتّىٰ نَجور وَنَعْدِل ، وَلا اُفِيضَ عَلَيْنا فَنَقْبِضُ وَنَبْسُطُ ، وَلٰكِنّا عَبَدْنا رَبَّنا حَتّىٰ أَتانا الْيَقِينُ .**

**يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ الدُّنْيا مَشْغَلَةٌ لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ يَسْأَلُ أَهْلَ الدُّنْيا عَمّا نعموا في حَلالِها ، فَكَيْفَ بِما نعموا في حَرامِها .**

**يا أَبا ذَرّ ، إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ اللهَ جَلَّ ثَناؤُهُ أَنْ يَجعَلَ رِزْقَ مَنْ أَحَبَّني الْكَفافَ ، وَيُعْطي مَنْ أَبْغَضَني الْمالَ وَالْبَنينَ .**

**يا أَبا ذَرّ ، طُوبىٰ لِلزّاهِدِينَ في الدُّنْيا ، الرّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا**

---

(١) الحجر ١٥ : ٩٨ و ٩٩ .

**أَرْضَ اللهِ بِساطاً، وتُرابَها فِراشاً، وَماءَها طِيباً، وَاتَّخَذُوا الْكِتابَ شِعاراً، وَالدُّعاءَ للهِ دِثاراً، وَقرضوا الدُّنْيا قَرْضاً.**

**يا أَبا ذَرّ، إِنَّ حَرَثَ الآخِرَةِ الْعَمَلُ الصّالِحُ، وَحَرَثَ الدُّنْيا الْمالُ وَالْبَنُونَ.**

**يا أَبا ذَرّ، إِنَّ رَبِّي أَخْبَرَني فَقالَ: وَعِزَّتي وَجَلالي، ما أَدْرَكَ الْعابِدُونَ دَرْكَ الْبُكاءِ عندي شيئاً، وَإِنِّي لَأَبْني لَهُمْ في الرَّفِيقِ الْأَعْلىٰ قَصْراً لَا يُشارِكُهُم فِيهِ أَحَدٌ.**

قال قلت: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أكيس ؟

قال: **أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْراً، وَأَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْداداً.**

**يا أَبا ذَرّ، إِذا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَتَحَ الْقَلْبُ وَاسْتَوْسَعَ.**

قلت: فما علامة ذلك، بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ؟

قال: **الْإِنابَةُ إِلىٰ دارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجافِي عَنْ دارِ الْغُرُورِ، وَالْاسْتِعْدادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزولِهِ.**

**يا أَبا ذَرّ، اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُرِي النّاسَ أَنَّكَ تَخْشى اللهَ فَيُكْرِمُوكَ وَقَلْبُكَ فاجِرٌ.**

**يا أَبا ذَرّ، إِنَّ للهِ مَلائِكَةً قِياماً مِنْ خِيفَتِهِ ما رَفَعوا رُؤُوسَهُمْ حتّىٰ يُنْفَخَ فـي الصُّورِ النَّفْخَةَ الآخِرَةَ، فَيقولونَ جَميعاً: سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ ما عَبَدْناكَ كَما يَنْبَغي لَكَ أَنْ تُعْبَد، وَلَو كانَ لِرَجُلٍ عَمَلُ سَبْعينَ نَبِيّاً لاسْتَقَلَّ عَمَلَهُ مِنْ شِدَّةِ ما يَرىٰ يَوْمَئِذٍ، وَلَو أَنَّ دَلْواً صُبَّ مِن غِسْلِين فـي مَطْلَعِ الشَّمْسِ لَغَلَتْ مِنْهُ جَماجِمُ مَنْ في مَغْرِبِها، وَلَوْ أَنَّ زَفَراتِ جَهَنَّمَ زَفَرَتْ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ**

وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلّا خَرَّ جاثِياً عَلىٰ رُكْبَتَيْهِ، يَقولُ: رَبِّ نَفْسي نَفْسي حَتّىٰ يَنْسىٰ إِبْراهيمُ إِسْحاقَ عليهما السلام يقولُ: يا رَبِّ، أَنا خَليلُكَ إِبْراهيمُ لَا تَنْسَنِي.

يا أَبا ذَرّ، لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِساءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ مِنْ سَماءِ الدُّنْيا في لَيْلَةٍ ظَلْماءَ لَأَضاءَتْ لَها الأَرْضُ أَفْضَلَ مِمّا يُضِيءُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ...

يا أَبا ذَرّ، اخْفِضْ صَوْتَكَ عِنْدَ الْجَنائِزِ، وَعِنْدَ الْقِتالِ، وَعِنْدَ القُرْآنِ.

يا أَبا ذَرّ، إِذا تَبِعْتَ جَنازَةً فَلْيَكُنْ عَقْلُكَ فيها مَشْغولاً بِالتَّفَكُّرِ وَالْخُشُوعِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لاحِقٌ بِهِ.

يا أَبا ذَرّ، اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِذا فَسَدَ فَالْمِلْحُ دَواؤُهُ، فَإِذا فَسَدَ الْمِلْحُ فَلَيْسَ لَهُ دَواءٌ ـ قال الشيخ: هذا المثل لعلماء السوء ـ وَاعْلَمْ أَنَّ فِيكُمْ خَلَّتَيْنِ: الضَّحْكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ، وَالْكَسَلُ مِنْ غَيْرِ سَهَرٍ.

يا أَبا ذَرّ، رَكْعَتانِ مُقْتَصِرَتانِ في تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ ساهٍ.

يا أَبا ذَرّ، الْحَقُّ ثَقيلٌ مُرٌّ، وَالْباطِلُ خَفيفٌ حُلْوٌ، وَرُبَّ شَهْوَةِ ساعَةٍ تُورِثُ حُزْناً طَويلاً...

يا أَبا ذَرّ، حاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحاسَبَ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسابِكَ غَداً، وَزِنْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ، وَتَجَهَّزْ لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُ، لَا تَخْفىٰ عَلَى اللهِ خافِيَةٌ...

يا أَبا ذَرّ، أتحبّ أن تدخل الجنّة؟

قلت: نعم، فداك أبي.

قال: **فَاقْصِرْ مِنَ الْأَمَلِ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِك. وَاسْتَحِ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَياءِ.**

قال: قلت: يا رسول الله، كلّنا نستحي من الله.

قال: **لَيْسَ كَذلِكَ الْحَياءُ، وَلكِنَّ الْحَياءَ مِنَ اللهِ أَنْ لَا تَنْسى الْمَقابِرَ وَالْبِلىٰ، وَالْجَوْفَ وَما وَعىٰ، وَالرَّأْسَ وَما حَوىٰ، فَمَنْ أَرادَ كَرامَةَ الْأَجْرِ فَلْيَدَعْ زِينَةَ الدُّنْيا، فَإِذا كُنْتَ كَذلِكَ أَصَبْتَ وِلايَةَ اللهِ.**

**يا أَبا ذَرّ، يَكْفي مِنَ الدُّعاءِ مَعَ الْبِرِّ ما يَكْفِي الطَّعامَ مِنَ الْمِلْحِ.**

**يا أَبا ذَرّ، مَثَلُ الَّذي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمَلٍ، كَمَثَلِ الَّذي يَرْمي بِغَيْرِ وَتَرٍ.**

**يا أَبا ذَرّ، إِنَّ اللهَ يُصْلِحُ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ، وُلْدَهُ وَوُلْدَ وُلْدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فـي دُوَيْرَتِهِ وَالدُّورِ حَوْلَهُ ما دامَ فِيهِم.**

**يا أَبا ذَرّ، إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يُباهِي الْمَلائِكَةَ بِثَلاثَةِ نَفَرٍ: رَجُلٍ يُصْبِحُ فـي الْأَرْضِ فَرْداً، فَيُؤَذِّنُ ثُمَّ يُصَلّي، فَيقولُ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: انْظُروا إِلىٰ عَبْدي يُصَلّي وَلَا يَراهُ أَحَدٌ غَيْرِي، فَيَنْزِلُ سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ وراءَهُ وَيَسْتَغْفِرونَ لَهُ إِلى الْغَدِ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ، وَرَجُلٍ قامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلّىٰ وَحْدَهُ فَسَجَدَ وَنامَ وَهُوَ ساجِدٌ، فَيَقولُ تَعالىٰ: انْظُروا إِلىٰ عَبْدِي، روحُهُ عِنْدِي، وَجَسَدُه في طاعَتي ساجِدٌ، وَرَجُلٍ في زَحْفٍ فَرَّ أَصْحابُهُ وَثَبَتَ وَهُوَ يُقاتِلُ حَتّىٰ يُقْتَلَ.**

**يا أَبا ذَرّ، ما مِنْ رَجُلٍ يَجْعَلُ جَبْهَتَهُ في بُقْعَةٍ مِنْ بِقاعِ الْأَرْضِ إِلّا شَهِدَتْ لَهُ بِها يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَما مِنْ مَنْزِلٍ نَزَلَهُ قَوْمٌ إِلّا وَأَصْبَحَ ذلِكَ الْمَنْزِلُ يُصَلّي**

عَلَيْهِم أَوْ يَلْعَنُهُم.

يا أَبا ذَرّ، ما مِنْ صَباحٍ وَلَا رَواحٍ إِلّا وَبِقاعُ الْأَرْضِ يُنادِي بَعْضُها بَعْضاً: يا جارَةُ، هَلْ مَرَّ بِكِ الْيَوْمَ ذاكِرٌ لِلّهِ تَعالىٰ، أَو عَبْدٌ وَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلَيْكِ ساجِداً لِلّهِ تَعالىٰ؟ فَمِنْ قائِلَةٍ: لا، وَمِن قائِلَةٍ: نَعَمْ، فَإِذا قالَتْ: نَعَمْ، اهْتَزَّتْ وَانْشَرَحَتْ وَتَرىٰ أَنَّ لَها فَضْلاً على جارَتِها...

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ الأَرْضَ لَتَبْكي عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذا ماتَ أَرْبَعينَ صَباحاً.

يا أَبا ذَرّ، إِذا كانَ الْعَبْدُ في أَرْضٍ قَفْرٍ فَتَوَضَّأَ أَوْ تَيَمَّمَ ثُمَّ أَذَّنَ وَأَقامَ وَصَلّىٰ، أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلائِكَةَ فَصَفُّوا خَلْفَهُ صَفّاً لا يُرىٰ طَرَفاهُ، يَرْكَعونَ بِرُكوعِه، وَيَسْجُدونَ بِسُجودِهِ، وَيُؤَمِّنونَ عَلىٰ دُعائِهِ.

يا أَبا ذَرّ، مَن أَقامَ وَلَمْ يُؤَذِّنْ، لَمْ يُصَلِّ مَعَهُ إِلّا الْمَلَكانِ اللَّذانِ مَعَهُ.

يا أَبا ذَرّ، ما مِنْ شابٍّ يَدَعُ لِلّهِ الدُّنْيا وَلَهْوَها، وَأَهْرَمَ شَبابَهُ في طاعَةِ اللهِ، إِلّا أَعْطاهُ اللهُ أَجْرَ اثْنَيْنِ وَسَبْعينَ صِدِّيقاً.

يا أَبا ذَرّ، الذّاكِرُ في الْغافِلينَ كَالمُقاتِلِ في الفارِّينَ.

يا أَبا ذَرّ، الْجَليسُ الصّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَليسِ السُّوءِ، وَإِمْلاءُ الْخَيرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلاءِ الشَّرِّ.

يا أَبا ذَرّ، لا تُصاحِبْ إِلّا مُؤْمِناً، وَلا يَأْكُلْ طَعامَكَ إِلّا تَقِيٌّ، وَلا تَأْكُلْ طَعامَ الْفاسِقِينَ.

يا أَبا ذَرّ، أَطْعِمْ طَعَامَكَ مَنْ تُحِبُّهُ في اللهِ، وَكُلْ طَعامَ مَنْ يُحِبُّكَ في اللهِ

عَزَّ وَجَلَّ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ لِسانِ كُلِّ قائِلٍ، فَلْيَتَّقِ اللهَ امْرُؤٌ وَلْيَعْلَمْ ما يَقُول.

يا أَبا ذَرّ، اتْرُكْ فُضُولَ الْكَلَامِ، وَحَسْبُكَ مِنَ الْكَلَامِ ما تَبْلُغُ بِهِ حاجَتَكَ.

يا أَبا ذَرّ، كَفىٰ بِالْمَرْءِ كِذْباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَهُ.

يا أَبا ذَرّ، ما مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسانِ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ تَعالىٰ إِكْرامَ الْعِلْمِ والعُلَماءِ، وَذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَإِكْرامَ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ، وَإِكْرامَ السُّلْطانِ الْمُقْسِطِ.

يا أَبا ذَرّ، مَنْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَما يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَما يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ.

يا أَبا ذَرّ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ؟

قلت: بلى، يا رسول الله.

قال: إِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، إِحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَإِذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، فَقَدْ جَرَى الْقَلَمُ بِما هُوَ كائِنٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَهَدُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يُكْتَبْ لَكَ ما قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهَدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ ما قَدَرُوا عَلَيْهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّضا في الْيَقِينِ فَافْعَلْ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ في الصَّبْرِ عَلىٰ ما تَكْرَهُ

**خَيْراً كَثِيراً ، وَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً .**

**يا أَبا ذَرّ ، اسْتَغْنِ بِغِناءِ اللهِ يُغْنِكَ اللهُ .**

فقلت: وما هو ، يا رسول الله؟

فقال: **غَداءُ يَوْمٍ وَعَشاءُ لَيْلَةٍ ، فَمَنْ قَنَعَ بِما رَزَقَهُ اللهُ فَهُو أَغْنَى النّاسِ .**

**يـا أَبـا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ تَـبارَكَ وَتَـعالىٰ يـقول: لَا يَـنْظُرُ إِلىٰ صُـوَرِكُم وَلَا إِلىٰ أَمْوالِكُمْ ، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلىٰ قُلُوبِكُم وَأَعْمالِكُمْ .**

**يا أَبا ذَرّ ، التَّقوىٰ التَّقوىٰ هاهُنا ،** ـوَأَشارَ إِلىٰ صَدْرِهِ ـ.

**يا أَبا ذَرّ ، أَرْبَعٌ لَا يُصِيبُهُنَّ إِلَّا مُؤْمِنٌ : الصَّمْتُ وَهُوَ أَوَّلُ الْعِبادَةِ ، وَالتَّواضُعُ للهِ سُبْحانَهُ ، وَذِكْرُ اللهِ تَعالىٰ في كُلِّ حالَةٍ ، وَقِلَّةُ الشَّيْءِ يَعْني قِلَّةَ الْمالِ .**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ مَلَكَ ما بَيْنَ فَخِذَيْهِ وَبَيْنَ لَحْيَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ .**

قلت: يا رسول الله ، إنّا لنؤخذ بما تنطق به ألسنتنا؟

قال: **يا أَبا ذَرّ ، وَهَلْ يُكِبُّ النّاسَ عَـلىٰ مَـناخِرِهِمْ فـي النّـارِ إِلّا حَـصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ، إِنَّكَ لَا تَزالُ سالِماً ما سَكَتَّ ، فَإِذا تَكَلَّمْتَ كُتِبَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ .**

**يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِها رِضْوانُهُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ في الْمَجْلِسِ لِيُضْحِكَهُمْ بِها فَيَهْوِي في جَهَنَّمَ ما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ .**

**يا أَبا ذَرّ ، وَيْلٌ لِلَّذي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ ، وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَـهُ ، وَيْلٌ لَهُ .**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ صَمَتَ نَجا ، فَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ ، وَلَا تَخْرُجَنَّ مِنْ فِيكَ كِذْبَةٌ أَبَداً.**

قلت: يا رسول الله ، فما توبة الرجل الذي يكذب متعمّداً؟

قال: **الاسْتِغْفارُ وَالصَّلَواتُ الخَمْسُ تَغْسِلُ ذلِكَ.**

**يا أَبا ذَرّ ، إِيّاكَ وَالغيبَةُ ، فَإِنَّ الغيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا.**

قلت: يا رسول الله ، وما ذاك بأبي أنت وأُمّي؟

قال ﷺ : **لِأَنَّ الرَّجُلَ يَزْني فَيَتُوبُ إِلَى اللهِ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَالْغِيْبَةُ لَا تُغْفَرُ حَتّىٰ يَغْفِرَها صاحِبُها.**

**يا أَبا ذَرّ ، سِبابُ الْمُسْلِمِ فُسوقٌ ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعاصِي اللهِ ، وَحُرْمَةُ مالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ.**

قلت : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟

فقال ﷺ : **ذِكْرُكَ أَخاكَ بِما يَكْرَهُهُ.**

قلت: يا رسول الله ، فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟

قال ﷺ : **اعْلَمْ إِذا ذَكَرْتَهُ بِما هُوَ فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِذا ذَكَرْتَهُ بِما لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ.**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ ذَبَّ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمن الغِيْبَةَ كانَ حَقُّهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النّارِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، مَن اغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ فَنَصَرَهُ ، نَصَرَهُ**

**اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنْ خَذَلَهُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ خَذَلَهُ اللهُ في الدُّنيا وَالْآخِرَةِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ قَتّاتٌ.**

قلت : ما القتّات ؟.

قال ﷺ : **النَّمّامُ.**

**يا أَبا ذَرّ ، صاحِبُ النَّمِيمَةِ لَا يَسْتَرِيحُ مِنْ عَذابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الْآخِرَةِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ كانَ ذا وَجْهَيْنِ وَلِسانَيْنِ في الدُّنْيا فَهُوَ ذو لِسانَيْنِ في النّارِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، الْمَجالِسُ بِالْأَمانَةِ ، وَإِفْشاؤُك سِرَّ أَخِيكَ خِيانَةٌ ، فاجْتَنِبْ ذلِكَ ، وَاجْتَنِبْ مَجْلِسَ الْعَشيرَةِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، تُعْرَضُ أَعْمالُ أَهْلِ الدُّنْيا عَلَى اللهِ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ في يومِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، يُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا عَبْداً كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْناءَ ، فَيقالُ : اتْرُكُوا عَمَلَ هـٰذَينِ حَتّىٰ يَصْطَلِحا.**

**يا أَبا ذَرّ ، إِيّاكَ وَالهجران لأَخِيكَ المؤمن ، فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يُتَقَبَّلُ مَعَ الْهِجْرانِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجالُ قِياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ.**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ ماتَ وَفي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَتوبَ قَبْلَ ذلِكَ.**

فقال رجل : يا رسول الله ، إنّي ليعجبني الجمال حتّى وددت أنّ علاقة سوطي ، وقبال نعلي حسن ، فهل ترهب على ذلك ؟

فقال ﷺ : **كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟**

قال : أجده عارفاً للحقّ ، مطمئنّاً إليه .

قال ﷺ : **لَيْسَ ذلِكَ بِالْكِبْرِ ، وَلٰكِنَّ الْكِبْرَ أَنْ تَتْرُكَ الْحَقَّ ، وَتَتَجاوَزَهُ إِلىٰ غَيْرِهِ ، وَتَنْظُرَ إِلى النّاسِ فَلَا تَرىٰ أَحَداً عِرْضَهُ كَعِرْضِكَ ، وَلَا دَمَهُ كَدَمِكَ . يا أَبا ذَرّ ، أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلِ النّارَ الْمُسْتَكْبِرُونَ .**

فقال رجل: وهل ينجو من الكِبْر أحدٌ يا رسول الله؟

قال: **نَعَمْ ، مَنْ لَبِسَ الصُّوفَ ، وَرَكِبَ الحِمارَ ، وَحَلَبَ العَنْزَ ، وَجالَسَ المَساكِينَ ...**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ تَعالىٰ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ...**

**يا أَبا ذَرّ ، سَيَكونُ ناسٌ مِنْ أُمَّتِي يُولَدُونَ في النَّعيمِ وَيَغْذَوْنَ بِهِ ، هِمَّتُهُم أَلوانُ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ، وَيُمْدَحُونَ بِالْقَوْلِ ، أُولٰئِكَ شِرارُ أُمَّتي .**

**يا أَبا ذَرّ ، مَنْ تَرَكَ لِبْسَ الجَمالِ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَواضُعاً لِلّهِ ، كَساهُ اللهُ حُلَّةَ الكَرامَةِ .**

**يا أَبا ذَرّ ، طُوبىٰ لِمَنْ تَواضَعَ لِلّهِ تَعالىٰ في غَيْرِ مَنْقَصَةٍ ، وَأَذَلَّ نَفْسَهُ في غَيْرِ مَسْكَنَةٍ ، وَأَنْفَقَ مالاً جَمَعَهُ في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَخالَطَ أَهْلَ الْفِقْرِ وَالْحِكْمَةِ. طُوبىٰ لِمَنْ صَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَتْ عَلانِيَتُهُ ، وَعَزَلَ عَنِ النّاسِ شَرَّهُ. طُوبىٰ لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ...**

قال أبو ذرّ ﷺ : « ودخلتُ يوماً على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس وحده ، فاغتنمت وحدته ، فقال : **يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحَيَّةً** .

قلت : وما تحيّته ، يا رسول الله ؟

قال : **رَكْعَتانِ تَرْكَعُهُما** .

ثمّ التفتُّ إليه ، فقلتُ : يا رسول الله ، أمرتني بالصلاة ، فما الصلاة ؟

قال : **خَيْرُ مَوْضوعٍ ، فَمَنْ شاءَ أَقَلَّ ، وَمَنْ شاءَ أَكْثَرَ** .

قلت : يا رسول الله ، أيّ الأعمال أحبّ إلى الله ( عزّ وجلّ ) ؟

قال : **الْإِيمانُ بِاللهِ ، ثُمَّ الْجِهادُ في سَبيلِهِ** .

قلت : يا رسول الله ، أيّ المؤمنين أكملهم إيماناً ؟

قال : **أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً** .

قلت : فأيّ المؤمنين أفضل ؟

قال : **مَنْ سَلَمَ الْمُسْلِمونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسانِهِ** .

قلت : فأيّ الهجرة أفضل ؟

قال : **مَنْ هَجَرَ السّوءَ** .

قلت : فأيّ اللَّيْلِ أَفْضَلُ ؟

قال : **جَوْفُ اللَّيْلِ الْغابِرِ** .

قلت : فأيّ الصلاة أفضل ؟

قال : **طولُ الْقنوتِ.**

قلت : فأيّ الصدقة أفضل ؟

قال : **جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ إِلىٰ فَقيرٍ في سِرٍّ.**

قلت : فما الصوم ؟

قال : **فَرْضٌ مُجْزٍ وَعِنْدَ اللهِ أَضْعافُ ذٰلِكَ.**

قلت : فأيّ الزكاة أفضل ؟

قال : **أَعْلَاها ثَمَناً ، وَأَنْفَسَها عِنْدَ أَهْلِها.**

قلت : فأيّ الجهاد أفضل ؟

قال : **مَنْ عَقَرَ جَوادَهُ ، وَأُهْرِقَ دَمَهُ.**

قلت : وأيّ آيةٍ أنزلها الله عليك أعظم ؟

قال : **آيَةُ الْكُرْسيِّ.**

قال : قلت : يا رسول الله ، فما كانت صُحُف إبراهيم ﷺ ؟

قال : **كانَتْ أَمْثالاً كُلُّها ، وكانَ فيها : أَيُّها الْـمَلِكُ الْـمُسَلَّطُ الْـمُبْتَلىٰ ، إِنّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيا بَعْضَها عَلىٰ بَعْضٍ ، وَلكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنّي دَعْوَةَ الْمَظْلومِ ، فَإِنّي لَا أَرُدّها وَإِنْ كانَتْ مِنْ كافِرٍ أَوْ فاجِرٍ فُجُورُهُ عَلىٰ نَفْسِهِ. وَكانَ فيها أَمْثالٌ :**

**وَعَلَى الْعاقِلِ ما لَمْ يَكُنْ مَغْلوباً عَلىٰ عَقْلِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ساعاتٌ : ساعَةٌ يُناجي فيها رَبَّهُ ، وَساعَةٌ يَتَفَكَّرُ في صُنْعِ اللهِ (تَعالىٰ) ، وساعَةٌ يُحاسِبُ فيها**

**نَفْسَهُ فيما قَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَساعَةٌ يَخْلو فيها بِحاجَتِهِ مِنَ الْحَلالِ فـي الْـمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.**

**وَعَلَى الْعاقِلِ أَنْ لا يَكُونَ ظاعِناً إِلَّا فـي ثَـلاثٍ: تَـزَوُّدٍ لِـمَعادٍ، أَوْ مَـرَمَّةٍ لِمَعاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ في غَيْرِ مَحْرَمٍ.**

**وعَلَى الْعاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصيراً بِزَمانِهِ، مُقْبِلاً عَلىٰ شَأْنِهِ، حـافِظاً لِـلسانِهِ، فَإِنَّ مَنْ حَسَبَ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إِلَّا فيما يَعْنيهِ.**

قلت: يا رسول الله، فما كانت صُحُف موسى عليه السلام؟

قال: **كانَتْ عِبَراً كُلَّها، وفيها:**

**عَجَبٌ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنّارِ ثُمَّ ضَحِكَ.**

**عَجَبٌ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَح.**

**عَجَبٌ لِمَنْ أَبْصَرَ الدُّنيا وتَقَلُّبَها بِأَهْلِها حالاً بَعْدَ حالٍ ثُمَّ هُوَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْها.**

**عَجَبٌ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسابِ ثُمَّ لَمْ يَعْمَل!**

قلت: يا رسول الله، فهل في الدنيا شيء ممّا كان في صُحُف إبراهيم وموسى عليهما السلام ممّا أنزل الله عليك؟

قال: **اقْرَأْ يا أَبا ذَر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾**[1].

---

(١) الأعلى ٨٧: ١٤ ـ ١٩.

قلت : يا رسول الله ، أوصني .

قال : **أُوْصيكَ بتقوى اللهِ ، فَإِنَّهُ رَأْسُ أمرِكَ كُلِّه .**

فقلت: يا رسول الله ، زدْني .

قال : **عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَذِكْرِ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ، فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ في السَّماءِ ، وَنُورٌ لَكَ في الْأَرْضِ .**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **عَلَيْكَ بِالْجِهادِ ، فَإِنَّهُ رَهْبانِيَّةُ أُمَّتي .**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ ، إِلَّا مِنْ خَيْرٍ ، فَإِنَّهُ مُطْرِدُ الشَّيْطانَ عَنْكَ ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلىٰ أُمورِ دينِكَ .**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **إِيّاكَ وَكَثْرَةِ الضَّحِكِ ، فَإِنَّهُ يُميتُ الْقَلْبَ ، وَيُذْهِبُ بِنُورِ الْوَجْهِ .**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **انْظُرْ مَنْ هُوَ تَحْتَكَ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدري نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ .**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **صِلْ قَرابَتَكَ وَإِنْ قَطَعوكَ ، وَأَحِبَّ الْمَساكينَ ، وَأَكْثِرْ مُجالَسَتَهُمْ .**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كانَ مُرّاً.**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **لَا تَخَفْ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ.**

قلت : يا رسول الله ، زدْني .

قال : **يا أبا ذَرّ ، لِيَحْجِزْكَ عَنِ النّاسِ ما تَعْرِف مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَجِدْ عَلَيْهِمْ فيما تَأْتي ، فَكَفَىٰ بِالرَّجُلِ عَيْباً أَنْ يَعْرِفَ مِنَ النّاسَ ما يَجْهَل مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَجِدُ عَلَيْهِمْ فيما يَأْتي.**

قال : ثمّ ضرب على صدري وقال : **يا أَبا ذَرّ ، لَا عَقْلَ كَالتَّدْبيرِ ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلْق**»[١].

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ٥٢٥ ـ ٥٤١ ، الحديث ١ و ٢.

# في المحور الثالث: خطوات عمليّة أخلاقيّة

إذا قرّرت أن تكون إنساناً جديداً بكلّ المفاهيم المذكورة.. تُبْ إلى الله من أعماق قلبك وأنت نادم، وتطهّر بغُسلٍ وأنت صادق، وتعال إلى صبغة قال عنها ربُّك الكريم: ﴿ **صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾[1].

وهنا خطوات عمليّة أخلاقيّة هامّة جدّاً نستلهمها من تعاليم النبيّ وأهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام).

## ١ ـ الحياء من الله والنفس والناس

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**رَحِمَ اللهُ مَنْ اسْتَحْيا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَياءِ، فَحَفِظَ الرَّأْسَ وَما حَوىٰ، وَالْبَطْنِ وَما وَعىٰ، وَذَكَرَ الْمَوْتِ وَالْبلىٰ، وَعَلِمَ أَنَّ الْجَنَّةَ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكارِهِ، وَالنّارَ مَحفوفَةٌ بِالشَّهَواتِ**»[2].

فعند كلّ موقف تقِفهُ مع نفسك وغيرك تذكّر أنّ الحياء أصل في الهداية، وركن من أركان الاستمراريّة والاستقامة.

## ٢ ـ حُسْن الخُلْق أم سوء الخُلْق؟

عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إنَّ جَبْرَئِيلَ الرّوحُ**

(١) البقرة ٢: ١٣٨.

(٢) تحف العقول: ٢٩١.

**الأَمينُ نَزَلَ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعالَمينَ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلْقِ، فَإِنَّ سُوءَ الْخُلْقِ يُذْهِبُ بِخَيْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ»**[١].

انتخب واحداً من الإثنين.. والأوّل لمَن يريد أن يكون الأوّل في حياته..

## ٣ ـ قبول النصيحة الواعظة، والمحاسبة الذاتيّة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَا تَزالُ بِخَيْرٍ ما كانَ لَكَ واعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ، وَما كانَتِ الْمُحاسَبَةُ لَها مِنْ هَمِّكَ**»[٢].

فلا ترفض نصيحة أحد.. (انظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى مَن قال)، فلعلّ الحكمة أحياناً تخرج من لسان مشرك..

## ٤ ـ حتّى لا يستغلّك ذوو المآرب

يجب أن تنسف منك صفات الجهّال وعلاماتهم، أنّهم يتحرّكون نحو المطامع بشدّة، فالمصالح الأنانيّة تجذبهم وليست المبادئ، إنّهم يعيشون سجناء الأماني الفارغة، وهم معلّقون بمن يخدعهم بالوعود الكاذبة، يقولون لهم يمين يمين.. يسار يسار..

وهذه حال الأغنام ـ حاشاك ـ وحتّى الأغنام أحياناً تأخذ حرّيّتها وتخرج عن سيطرة الراعي وعصاه المرفوعة!

ولأنّ العقل فارغ عن قيم الوحي، ولا يقرأ الجاهل ليفهم فيكون قلبه بيد الذين يجنّدون الجهّال لأهدافهم الخاصّة. فلا تَكُنْ مِنْهُمْ، وهذا إمامك عليّ عليه السلام يكشف

---

(١) الجواهر السنيّة / الحرّ العاملي: ١٣٧.

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ١١٠.

لك الحقيقة قائلاً: **«إِنَّ قُلوبَ الجهّالِ تَسْتَفِزّها الأَطْماعُ، وَتَرْهَنُها المُنىٰ، وَتَسْتَعْلِقُها الخدائعُ»**(١).

## ٥ ـ انْفع الناس، وكن مع المظلومين

قال رسول الله ﷺ: **«الخَلْقُ عيالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الخَلقِ إلى اللهِ مَنْ نَفَعَ عِيالَ اللهِ، وأدخل على أهْلِ بَيْتِهِ سُروراً»**.

وسئل ﷺ: «مَنْ أحبُّ النّاس إلى الله؟ قال: **أَنْفَعُ النّاسِ لِلنّاسِ**».

وقال رسول الله ﷺ: **«خَصْلَتانِ مِنَ الْخَيْرِ لَيْسَ فَوْقَهما شَيْءٌ مِنَ الْبِرِّ: الإِيمانُ باللهِ، وَالنَّفْعُ لِعِبادِ اللهِ»**(٢).

هذا على الصعيد العامّ، وهناك رسالة خاصّة لذوي المناصب أو الوجاهات، حيث قال رسول الله ﷺ: **«إنّ اللهَ تَعالىٰ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ في جاهِهِ كَما يَسْأَلُ في مالِهِ، فَيَقولُ: يا عَبْدي رَزَقْتُكَ جاهاً، فَهَلْ أَعَنْتَ بِهِ مَظْلوماً، أَوْ أَعَنْتَ بِهِ مَلْهوفاً»**(٣).

وهي الرسالة التي قلّ مَن يقرأها أو يفهمها في عصر المادّيّات والأنانيّات.

## ٦ ـ برُّ الوالدين وضرورة العفاف

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«بِرُّوا آباءَكُمْ يَبَرُّكُمْ أَبناؤُكُمْ، وَعِفُّوا مِنْ نِساءِ النّاسِ تُعَفُّ نِساؤُكُمْ»**(٤).

---

(١) تحف العقول: ٢١٩.

(٢) الكافي: ٢/١٦٤، الحديث ٦ و ٧. تحف العقول: ٣٥.

(٣) الرسالة السعديّة / العلّامة الحلّي: ١٦٠.

(٤) تحف العقول: ٢٦٧.

قيل : إنّ رجلاً وضع والده العجوز في سلّة ليأخذه إلى صحراء ويرميه فيها ، وإذا بولده الصغير ذي النباهة والضمير يلتفت إليه ويقول : أبي لا تنس أن تعيد السلّة معك لأنّي سوف أحتاج إليها يوم تكبُر فأضعك فيها وأرميك في الصحراء كما ترمي جدّي الآن . .

وأمّا العفّة . . فهذه بيد الغيرة التي أصبح الكلام عنها في زماننا كلاماً في الفراغ ! إلّا عند الذين أبَوْا أن تكون للشيطان في نُطفِهم شراكة . .

## ٧ ـ مراجعة يوميّة لتقييم السلوك

قال الإمام الكاظم عليه السلام : **« لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُحاسِبْ نَفْسَهُ في كُلِّ يَوْمٍ ، فَإِنْ عَمِلَ حَسَناً اسْتَزادَ مِنْهُ ، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهُ وَتابَ إِلَيْهِ »**[١] .

خذْ دفتراً واعملْ فيه جدولين ، أحدهما تحته قائمة الحسنات ، والآخر قائمة السيّئات ، ثمّ سجّلْ ما يصدر عنك من حسنة أو سيّئة في كلّ جدول من أوّل جلوسك من النوم حتّى ساعة نومك ، فلا تنام إلّا وأنت قد شكرتَ الله على حسناتك ، وطلبتَ منه أن يوفّقك في اليوم الثاني للمزيد منها ، وأنت حاسبتَ نفسك على السيّئات أيضاً ، واستغفرتَ منها وأنت لا تريد العودة إليها في يومك الثاني .

## ٨ ـ الجلوس مع الصالحين

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : **« مُجالَسَةُ الصّالِحينَ داعِيَةٌ إِلَى الصَّلاحِ »**[٢] .

لتأخذ منهم تجاربهم في الصلاح والإصلاح ، سيّما العلماء الذين صَقَلَتْهُم

---

(١) الكافي : ٢/٤٥٣ .

(٢) تحف العقول : ٢٠٥ .

حوادث الزمان ، وامتزجتْ سيرتهم بعطر الدين العظيم .

## ٩ ـ اجتناب هؤلاء المضرّين

قال الإمام عليّ عليه السلام : **«إِيَّاكَ وَمُصادَقَةَ الْأَحْمَقِ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ ؛ وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَمُصادَقَةَ الْفاجِرِ ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ ؛ وإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّهُ كَالسَّرابِ : يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ»**[١] .

لا بدّ لك من فرز الذين يحومون حولك . اكتشفْ الأوبئة قبل أن يصلك الوباء ، فندامة ما وراء قضبان السجن أو على أسرّة المستشفيات أو مغاسل الموتى لن تُرْجِع لك ما سلبته منك الذئاب . .

## ١٠ ـ اجتناب الغيبة قولاً وسماعاً

قال الإمام الصادق عليه السلام : **«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلَا يَقْعُدَنَّ في مَجْلِسٍ يُغْتابُ فيهِ إِمامٌ ، أَوْ يُنْتَقَصُ فيهِ مُؤْمِنٌ»**[٢] .

اجعل نفسك مكان الذي تغتابه الآن ! !

ثمّ إنْ شئتَ قرّر في أكل لحمه وهو لحمك ، لأنّ المسلمين إخوة . .

فإنْ كنتَ مسلماً فلا تأكل من لحم أخيك بلسانك الحادّ ، وأمّا أن تنهش فيه بسفك دمه وقتله وتفجيره فهذا عملٌ وحشيّ دنيء جبان ، ومآل الذين يقومون به إلى جهنّم وبئس المصير ؟ !

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٥٧/١٨ .

(٢) مجموعة ورّام : ٢١٠/٢ .

## ١١ ـ تعزيز العلاقات الداخليّة والتزاور العائلي

عن الإمام أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق عليهما السلام، قالا: **«أيّما مؤمنٍ خَرَجَ إلىٰ أخيهِ يَزورهُ عارفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَمُحِيَتْ عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَرُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ، فَإِذا طَرَقَ الْبابَ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ السَّماءِ، فَإِذا الْتَقَيا وَتَصافَحا وَتَعانَقا أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِما بِوَجْهِهِ، ثُمَّ باهىٰ بِهِما الْمَلائِكَةَ فَيَقولُ: انْظروا إلىٰ عَبْدَيَّ تَزاوَرا وَتَحابّا فيَّ، حَقٌّ عَلَيَّ أَنْ لَا أُعَذِّبَهُما بِالنّارِ بَعْدَ ذٰلِكَ الْمَوْقِفِ»**(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«تَزاوروا، فَإِنَّ في زِيارَتِكُمْ إِحْياءً لِقُلوبِكُمْ، وَذِكْراً لأَحاديثِنا، وَأَحاديثُنا تَعْطِفُ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِها رَشَدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُموها ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ، فَخُذوا بِها، وَأَنا بِنَجاتِكُمْ زَعيمٌ»**(٢).

التزاور يذيب الحواجز النفسيّة التي تصنعها ألسنة النمّامين، وهو الأمر المغيَّب لديهم بالطبع!!

ولكن قليل من عباد الله الشكور، الذين لا يستوحشون في طريق الحقّ لقلّة سالكيه.. فيحطّمون قانون المقاطعة الجاهليّة بإرادة أخلاقيّة منتصرة. قال عنها الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: **«حَدَّثني جِبْرَئيلُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ مَلَكاً، فَأَقْبَلَ حَتّىٰ وَقَفَ عَلىٰ بابِ دارٍ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ.**

**فقالَ لَهُ الْمَلَكُ: ما حاجَتُكَ؟**

**قالَ: أَخٌ لي مُسْلِمٌ زُرْتُهُ في اللهِ تَعالىٰ.**

**فَقالَ لَهُ الْمَلَكُ: ما جاءَ بِكَ إِلّا ذاكَ؟**

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٣١/١٢، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) الكافي: ١٨٦/٢.

**قال: ما جاءَ بي إلّا ذاك.**

**قال: فَإِنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ وَهُوَ يُقرِؤُكَ السَّلامَ وَيَقولُ: وَجَبَتْ لَكَ الْجَنَّةُ.**

**وَقالَ الْمَلَكُ: إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقولُ: أَيُّما مُسْلِمٍ زارَ مُسْلِماً فَلَيْسَ إِيّاهُ زارَ، إِيّاي زارَ، وَثَوابُهُ عَلَيَّ الْجَنَّةَ»**[١].

## ١٢ ـ تفعيل مبدأ التوافق الإسلامي العامّ

فقد أوصى الإمام الصادق عليه السلام شيعته أن: **«كُونُوا لِمَن انْقَطَعْتُمْ إِلَيْهِ زَيْناً، وَلاَ تَكُونوا عَلَيْهِ شَيْناً، صَلُّوا في عَشائِرِهِمْ، وَعُودُوا مَرْضاهُمْ، وَاشْهَدُوا جَنائِزَهُمْ...»**[٢].

فليس هناك ما يمنع الاخوّة الإسلاميّة بين السنّة والشيعة.. لا سيّما مع التأكيدات العديدة الواردة عن النبيّ الأكرم وأئمّة أهل البيت والصحابة الصالحين، خاصّة ونحن في زمن الهجمة العالميّة على الإسلام، ومكوّنات الأُمّة كلّها، ولقد استوعب أئمّتنا الأطهار عليهم السلام هذه التحدّيات على مرّ التاريخ، فأمروا المسلمين، وخاصّة أتباعهم من الشيعة والموالين أن: **«كُونوا دُعاةً لِلنّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ لِيَرَوا مِنْكُمُ الْوَرَعَ وَالاجْتِهادَ، وَالصَّبْرَ وَالْخَيْرَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ داعِيَةٌ»**[٣].

هذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، كما ورد عن جدّه الإمام عليّ عليه السلام قوله الرائع: **«احْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ»**[٤].

إنّها معلومة رائدة في علم النفس التربوي، لو أراد أيّ مسلم من خلالها أن يمارس

---

(١) الجواهر السنيّة / الحرّ العاملي: ١٢٨.

(٢) الكافي: ٢/٢١٩.

(٣) الكافي: ٢/٧٨.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ١٠٦.

عمليّة البناء الأُسري والاجتماعي العامّ، وصناعة السِّلم الأهلي الشامل، وإزالة النزعة العدوانيّة في جيل الشباب خاصّة.. على أن نجعل الإنصاف شرط تداوم الاخوّة وتأليف القلوب، وقد قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: **«مَعَ الْإِنْصافِ تَدومُ الاخوَّةُ»**.

وقال أيضاً: **«الْإِنْصافُ يَأْلَفُ الْقُلوبَ»**(١).

حقّاً لو كان الإنصاف سلوكاً لما كانت هناك نزاعات بين شيعي وشيعي، ولا بين سنّي وسنّي، ولا بين شيعي وسنّي، ولا بين حاكم ومحكوم، ولا بين العمّال المستضعفين وأصحاب العمل، ولا بين فلان وفلان، ولا فلانة وفلانة!

## ١٣ ـ ثقافة التعايش الإنساني

قال النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله: **«أَمَرَني رَبّي بِمُداراةِ النّاسِ كَما أَمَرَني بِأَداءِ الْفَرائِضِ»**(٢).

وقال أيضاً: **«ثَلاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنَّ فيهِ لَمْ يَتِمّ لَهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعاصي اللهِ، وَخُلُقٌ يُداري بِهِ النّاسِ، وَحِلْمٌ يَرُدّ بِهِ جَهْلَ الْجاهِلِ»**(٣).

وهذه خطوة رساليّة عميقة المعنى، ورفيعة الأداء والمغزى.. ويبيّن لها رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث آخر تكملة هامّة بقوله: **«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمانِ بِاللهِ مُداراةُ النّاسِ في غَيْرِ تَرْكِ الْحَقِّ»**(٤).

فالحقّ بعد إحرازه، والتأكّد منه بدقّة علميّة عقليّة شرعيّة، يجب أن لا يكون

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٣٩٤.

(٢) الكافي: ١١٧/٢.

(٣) المصدر المتقدّم: ١١٦.

(٤) تحف العقول: ٢٩.

ضحيّة التلاعب السياسي والمصلحي، وإنّما تجب المرونة والتدرّج نحوه وفق مبدأ الرفق بما يخدم الحقّ، ولو في نهاية المطاف. فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: **«مَنِ اسْتَعْمَلَ الرِّفْقَ لانَ لَهُ الشَّديدُ»**[١].

كما ورد عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام: **«مَنْ كانَ رَفيقاً في أَمْرِهِ نالَ ما يُريدُ مِنَ النّاسِ»**[٢].

## ١٤ ـ الدّين بالحقّ وليس بالرجال

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: **«مَنْ دَخَلَ في هـٰذَا الدّينِ بِالرِّجالِ، أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجالُ، وَمَنْ دَخَلَ فيهِ بِالْكِتابِ والسُّنَّةِ زالَتِ الْجِبالُ قَبْلَ أَنْ يَزولَ»**[٣].

حينما تكون معايير الحقّ رجالاً أحببناهم عبر صدْفة التاريخ، أو الوراثة، أو شاشات التلفاز، أو لقاءات المصالح، أو علاقات المصاهرة والقرابة والجوار، فإنّنا نميل حيثما يميل هؤلاء الرجال دون أن يكون للدين الحقّ أو للعقل المستقلّ قيادة ميدانيّة في موارد الحبّ والبغض وحدودهما!! وكم من الرجال مالوا إلى نار جهنّم فمال معهم المائلون.

لذلك فإنّ تقديس الرجال بمعنى عدم أخذ المعايير الدينيّة ميزاناً لتقييم أفكارهم وأدائهم أمرٌ في غاية الخطورة على عاقبة الإنسان التابع، وهو سلوك يتّخذه الأشخاص الضعفاء والشعوب المهزومة في حياتها غالباً، إذ ينظر الفرد الضعيف إلى مَن هو أعلى منه بطلاً منقذاً!! فيتعصّب له من دون تفكير، ويذهب إلى حدّ

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٢٤٤.

(٢) الكافي: ١٢٠/٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ٣٠٧/١٧.

التضحية من أجله بالروح والدم ولم يَرْعَ في ذلك أيّ قصدٍ لله ، وإذا به يأتي يوم القيامة فيرى بطله من المفلسين !!

فلكي تثبت على الدين في كلّ متقلّبات الزمان ، ولا يكون مصيرك مثل مصير الذين طلّقوا الدين لمجرّد زلّة الرجال الذين أعجبوهم ، فإنّ عليك أنْ تصحِّح معاييرك لمعرفة الدين الحقّ فتجعلها هي الدين الحقّ نفسه .

ثمّ اجعل تقييمك للرجال من خلال هذا الميزان .. فهنالك بمقدار ما يلتقي الرجال (المراجع والعلماء والشخصيّات السياسيّة والأصدقاء والأقارب) بالمعايير أيّدهم ، وبمقدار ما لا يلتقون معها توقّف عن التأييد .

وهنا تكون قد وزّعت تأييدك لكلّ الرجال في موارد التقائهم بالمعايير التي تعلّمتها من دينك الحقّ ، فلا تُبتلى بعصبيّة ولا صنميّة ولا طائفيّة ولا قراءة من جانب واحد ، ولا فتن سياسيّة يحاسبك الله عليها غداً حساباً عسيراً .. حيث لا يفيدك هناك اعتذار ولا ندم ، ولا ينفعك الرجال الذين صفّقتَ لهم بلا معايير .. بل تكون قد وضعتَ كلّ شيء في ميزان الحقّ فأبرأتَ به ذمّتك عند الله يوم القيامة .

هذه الآليّة لو يتّخذها الفرد المسلم سوف يعيش حقّانيّاً وحُرّاً ومستقلّاً وبعيداً عن الاستغلال الحزبي والتكتّلاتي ، والخلافات الخالية عن القيم الأخلاقيّة والأهداف النبيلة .

ولا تنطبق هذه القاعدة على الرجال الذين ﴿ **لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ** ﴾[1] ، لأنّهم قد طهّرهم الله من أنواع الرجس ، وجعلهم القدوة والأُسوة ، وأمرنا بأخذ المعايير منهم ، والميزان كذلك ، وهم النبيّ محمّد وأهل بيته الذين عصمهم الله من الزلل .

---

(١) النور ٢٤ : ٣٧.

وقال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١]، وهذه فلسفة اعتقادنا في عصمة النبيّ والأئمّة الاثني عشر من أهل بيته (عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام).

خُذْ حرّيّتك لأنّها ملكك الخاصّ بضوابط الدّين والأخلاق وقيم الإنسانيّة، فاقرأ لكلّ مَن تشاء، وقلّد كلّ مرجع اجتمعت فيه شرائط الفتوى والتقليد، وأيّد كلّ من تحبّ من العلماء والشخصيّات السياسيّة وغيرهم، واتّبع أيّ مذهب، واستمع إلى دعاته، وافعلْ ما تقتنع به في السير على دعواتهم.. ولكن !!

ولكن بعد ما تزن ذلك في ميزان كتاب الله وسنّة الرسول المصدّقة من أهل بيته المطهّرين بإرادة الله الملك الحقّ المبين.

هذا إذا كنت تريد رضا الله فقط والعمل بكلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَا يُعْرَفَانِ بِأَقْدَارِ الرِّجَالِ، وَبِإِعْمَالِ الظَّنِّ، اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ، وَاعْرِفِ الْبَاطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ**»[٢].

## ١٥ ـ شجاعة اتّخاذ القرار

إذا كان القرار لله، كُنْ شجاعاً في اتّخاذه، ولا تخش أحداً إلّا الله، وهو القائل: ﴿**وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً**﴾[٣].

وأمّا لو كان قرارك لغير الله فنوصيك بالجُبْن فيه !!

والآن حيث تدور بنفسك وتفكّر هل تقرّر لله من أجل تغيير شجاع لمسارك إلى

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) أنساب الأشراف / البلاذري: ٢٣٨ و ٢٣٩.

(٣) النساء ٤: ٦. الأحزاب ٣٣: ٣٩.

الحقّ فقط.. تذكّرْ جيّداً قول ربّك العزيز الغفور الرحيم: ﴿**قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[١]، فإنّ الذي يفيدك في الدنيا وفي الآخرة معاً هو الله وحده فقط.. وهو على كلّ شيء قدير..

(١) الأنعام ٦: ٩١.

# في المحور الرابع: دعاء مكارم الأخلاق

أيّها القارئ العزيز: في الدعاء الذي ورد في الصحيفة السجّاديّة بعنوان (دعاء مكارم الأخلاق ومَرْضِيّ الأفعال) ستجد برنامجاً متكاملاً في التربية الروحيّة والأخلاق الاجتماعيّة، وجميع ما تحتاجه من المبادئ الإنسانيّة في حياتك وعلاقاتك، ويا ليتنا جميعاً نضع فقرات هذا الدعاء العظيم منهجَ عَمَلِنا في الحياة كي نودّع جميع أشكال العُقد النفسيّة، والأمراض الاجتماعيّة، والمشاكل السياسيّة، والأزمات الاقتصاديّة، والتناطح المذهبي والمرجعي والفئوي والقومي والعنصري، فنكون ذلك النموذج الجميل للمجتمع الإسلامي الصالح، والأُسرة السعيدة، والفرد المتوازن الهادف، والوطن المزدهر، والأُمّة التي أخرجها ربّها لتكون خيراً للنّاس في العالم..

اقرأه عزيزي القارئ بتمعّن في معانيه، واجْعَلْه الدعاء المفضّل عندك لتحاول العمل بنقاطه التربويّة:

**اللّٰهُمَّ صلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمَاني أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِيني أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتي إِلىٰ أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلي إِلىٰ أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ. اللّٰهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِيني، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.**

**اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُني الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْني**

بمَا تَسْأَلُني غداً عَنْهُ ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامي فِيمَا خَلَقْتَني لَهُ ، وَأَغْنِني وَأَوْسِعْ عَلَيَّ في رِزْقِك ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ ، وَأَعِزَّني وَلَا تَبْتَلِيَني بِالْكِبْرِ ، وَعَبِّدْني لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتي بِالْعُجْبِ ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلىٰ يَدَيَّ الْخَيْرَ وَلَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ ، وَهَبْ لي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَلَا تَرْفَعْني في النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَهَا ، وَلَا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظَاهِراً إِلَّا أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدَرِها.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَمَتِّعْني بِهُدىً صَالِحٍ لَا أَسْتَبْدِلُ بِهِ ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لَا أَزِيغُ عَنْهَا ، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لَا أَشُكُّ فِيهَا ، وَعَمِّرْني مَا كَانَ عُمْرِي بِذْلَةً في طَاعَتِك ، فَإِذَا كَانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْني إِلَيْك قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُك إِلَيَّ ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُك عَلَيَّ.

اللّٰهُمَّ لَا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتَهَا ، وَلَا عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إِلَّا حَسَّنْتَهَا ، وَلَا أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلَّا أَتْمَمْتَهَا.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَبْدِلْني مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الْأَدْنَيْنَ الْوَلَايَةَ ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ ، وَمِنْ خِذْلَانِ الْأَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلَابِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلَاوَةَ الْأَمَنَةِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لي يَداً عَلىٰ مَنْ ظَلَمَني، وَلِسَاناً عَلىٰ مَنْ خَاصَمَني، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَني، وَهَبْ لي مَكْراً عَلىٰ مَنْ كَايَدَني، وَقُدْرَةً عَلىٰ مَنِ اضْطَهَدَني، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَني، وَسَلَامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَني، وَوَفِّقْني لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَني، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَني.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْني لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَني بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيءَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَني إِلىٰ حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّني بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْني زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، في بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ وَالْإِفْضَالِ عَلىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي، وَأَكْمِلْ ذٰلِكَ لي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِي الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلَا تَبْتَلِيَني بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا الْعَمىٰ عَنْ

سَبِيلِكَ، وَلَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ، وَلَا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالْاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلَا بِالتَّضَرُّعِ إِلىٰ مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقَّ بِذٰلِكَ خِذْلَانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللّٰهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي والتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلىٰ عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرىٰ عَلىٰ لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هَجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ، أَوْ شَهادَةِ بَاطِلٍ، أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ، أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلَا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلَا أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلَا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلَا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

اللّٰهُمَّ إِلىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلىٰ عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلىٰ تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلَا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلىٰ نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ،

فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

اللّٰهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكىٰ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضىٰ. اللّٰهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلىٰ، وَاجْعَلْنِي عَلىٰ مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَسَلَامَةَ الْمِرْصَادِ. اللّٰهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

اللّٰهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ، فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلَالِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الْإِرْشَادِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ لِأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الْأَعْمَالُ لِأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلَايَةِ،

وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلَا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلَا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لَا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلَا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الْاكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ، فَلَا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلَا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ. اللّٰهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمّا أَرْهَبُ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَىٰ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعْمَالٍ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ.

اللّٰهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَىٰ بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلَىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

**اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلىٰ أَحَدٍ بَعْدَهُ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ**

# وعند الفراغ من هذا الكتاب !

تمّ تأليف هذا الكتاب مع مراجعته الأخيرة في ليلة الثالث عشر من شهر رجب الخير سنة ١٤٢٨هـ ذكرى مولد الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك في مدينة قم المقدّسة بجوار حرم كريمة أهل البيت عليهم السلام السيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام ، وعمدتُ أن تتمّ مراحل تأليفه كلّها وأنا في حال الوضوء ، وجالساً على جهة القبلة غالباً ، عسى أن يجعل الله تعالى فيه نفحة من نفحاته الغيبيّة ، فيكون لي سنداً ليوم فقري .. وأنا الوحيد في قبري .. وبين يديه عزّ وجلّ يُحتسَب أجري .

﴿ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (١)

ولمّا وقع الفراغ منه عند هذه الكلمات في الدقائق الأخيرة انتبهتُ إلى تاريخ البدء فيه ، وكان ٢٠ جمادى الثانية مولد السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وبين المولدَيْن المباركَين ٢٣ يوماً كنتُ أكتب من رحيق الذكرى العطرة من كوثر النبوّة إلى جوهر الولاية ، ثبّتنا الله على أجر المودّة لرسول الحقّ سيّدنا محمّد الذي أنقذنا من ظلمة الضلالة ، وأدخلنا إلى نور الهداية ..

ثمّ راجعت الآية ١٤ من سورة الرعد التي استلهمتُ منها اسم الكتاب .. (له دعوة الحقّ ) .. فأخذتني الآيات بعدها إلى الآية ٢٩ والتي لم أقرأها ولم أكن أقصدها من حين البدء في التأليف حتّى الانتهاء .. وإذا أرى ما كتبته بين هاتين الدفّتين يلتقي

---

(١) القصص ٢٨ : ٦٠ . الشورى ٤٢ : ٣٦ .

بالآيات نفسها ويدور في إطارها، وكأنّه شرحٌ وتفسيرٌ لها !!

أرجو أن يكون هذا التوفيق غير المقصود جزءاً من تسديدات الله لهذا العبد الصغير، وأن يجعل لهذا الكتاب حاضراً جميلاً بين القرّاء الكرام، ومستقبلاً زاهراً في الجيل القادم على بركة الله.

وفي هذا السطر الأخير.. إن كنتُ أطلب أمراً فإنّي أطلب أن يراجع القارئ الكريم تلك الآيات من السورة كي يتأكّد بنفسه مدى التطابق التلقائي بين ما ورد في الكتاب وما يقرؤه من الآيات المباركات.. وليكن هذا حافزاً إضافيّاً آخر للمضيّ على هدي القرآن الهادي إلى سبيل الحقّ، وليس بعد الحقّ إلّا الضلال المبين، ونعوذ بالله العظيم من شرّ الشياطين من الأوّلين والآخرين..

وخير ما أختم به كتابي هذا هو قول ربّنا عزّ وجلّ:

**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُم سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِن عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ***

لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِن عِندِ اللهِ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ * وَإِنَّ مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَلِلهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِم نَفعاً ولَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِم قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ * لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ

---

(١) آل عمران ٣: ١٩٠ ـ ٢٠٠.

أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[١].

---

(١) الرعد ١٣: ١٤ ـ ٢٩.

## سماحة العلاّمة الشيخ
## عبدالعظيم المهتدي البحراني
## سيرته الذاتيّة ومؤلّفاته

وُلِد سنة في ١٩٦٠م بمملكة البحرين.

التحق بحوزة النجف الأشرف سنة ١٩٧٤م.

عاش في إيران منذ ١٩٨٠م طالباً ومدرّساً في الحوزة العلميّة بمدينة قم المقدّسة وطهران ومشهد المقدّسة.

تحرّك خلالها داعياً إسلاميّاً متنقّلاً في أوروبا وأفريقيا والدول العربيّة ومؤسّساً لعدّة مشاريع إسلاميّة.

بطلب من المرحوم العلّامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين، صاغ مقترحات للمصالحة الوطنيّة (بين السلطة البحرينيّة والمعارضة)، وقد اعتمدها الشيخ شمس الدين في لقائه بعاهل البلاد سنة ١٩٩٧م بدعوة رسميّة.

عاد إلى وطنه سنة ٢٠٠١م مع الانفراجات السياسيّة في مملكة البحرين حاملاً معه ملفّ المبعدين البحرينيّين الذين حصل أكثرهم على الجنسيّة البحرينيّة.

أوّل مَن نادى لتأسيس (مجلس علمائي موحّد) الجامع لكلّ الأطياف الشيعيّة في البحرين، ناشداً من خلاله المصالحة البينيّة أوّلاً لمسح الخلافات، ومنع اجترارها على حساب القيم والأجيال القادمة. وذلك نزولاً إلى ضرورات مرحلة ما بعد الانفراج السياسي في البحرين.

هو الآن رئيس جمعية أهل البيت عليهم السلام في محافظة المحرّق، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، ورئيس حوزة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله العلميّة في منطقة عراد بالمحرّق.

له مؤلّفات تجاوزت الستّين كتاباً ودراسة، ومئات المقالات والمقابلات الصحفيّة،

ولقاءات ومحاضرات على فضائيّات (الأنوار) و(العالم والكوثر في الجمهوريّة الإسلاميّة) وقناة مملكة البحرين.

يرى نظريّة التعاطي مع الدولة في سبيل تحقيق الممكن من حقوق الشعب ، وأنّ الوحدة التعاونيّة سبيل الجميع إلى وطن آمن للجميع. وشعاره في ذلك ثلاث مبادئ: المحبّة ، والعدالة والعقلنة.

## مؤلّفاته:

١ حقائق للتأمّل.

٢ ـ الحسين مدرسة الأجيال (طبعتان)

٣ ـ رسالة الاخوّة والتآلف

٤ ـ العلم والعلماء في الكتاب والسنّة

٥ ـ أحكامك في البلاد الأجنبيّة (طبعتان)

٦ ـ علماء البحرين دروس وعبر

٧ ـ فلاح الزائرين

٨ ـ حتّى تحيا المقدّسات (مترجم إلى الأردو)

٩ ـ مذكّرات الشيخ بهلول (مترجم إلى الفارسيّة)

١٠ ـ قصص وخواطر من أخلاقيّات علماء الدين (١٢ طبعة مكرّرة)

١١ ـ آية الله الحائري المهاجر إلى الله

١٢ ـ أربعون حديثاً... (٣ طبعات)

١٣ ـ اثنتا عشرة عيناً

١٤ ـ حوار بين الحاجّ والشباب

١٥ ـ كلمات من نور

١٦ ـ معراج الصائمين

١٧ ـ من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام (طبعتان)

١٨ ـ لمستقبل أفضل (مترجم إلى الإنجليزيّة) (٣ طبعات)

١٩ ـ نقدّم لكم قدوة (طبعتان)

٢٠ ـ الحرّيّة ولابديل (طبعتان)

٢١ ـ تجربة الوحدة والتعايش

٢٢ ـ ماذا تعرف عن أحكام الحجّ (طبعتان)

٢٣ ـ أخلاق التعدّديّة

٢٤ ـ التسقيط (صدر الطبعة الثانية بتغييرات كثيرة تحت عنوان: لكيلا نسقط!)

٢٥ ـ اعلم يا بنيّ

٢٦ ـ ولاتكن من الغافلين

٢٧ ـ عالم ومتعلّم

٢٨ ـ رسالة المقابر

٢٩ ـ المحبّة والعدالة والعقلنة

٣٠ ـ الاختلاف.. وثقافة التعايش (بتغييرات واسعة عن الطبعة الأُولى التي كانت بعنوان: وعي التعامل مع الاختلاف)

٣١ ـ الإمام المهدي.. أمل الإنقاذ العالمي (طبعتان)

٣٢ ـ سمعت يقولون (٤ طبعات)

٣٣ ـ مختارات من أحاديث النبيّ المختار صلى الله عليه وآله

٣٤ ـ أُمّ البنين.. رسالة إلى المرأة المسلمة (٤ طبعات)

٣٥ ـ شؤون علمانيّة بين السائل والمجيب (طبعتان)

# سيصدر قريباً

٥٨ ـ رؤى في الطريق إلى الحسين عليه السلام

٥٩ ـ ما هي بطاقَتُك الأخلاقيّة؟

٦٠ ـ مبادئ في الأمن الاجتماعي

٦١ ـ أوراق من حياتي..

٦٢ ـ المبعدون.. قصّة العودة إلى البحرين

٦٣ ـ السلام عنوان الإسلام

# المحتويات

## الفصل الثالث



## الفصل الرابع



## الفصل الخامس

## الفصل السادس